العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

ج٣ و٤ س ٥٦

رمضان وشوال ١٤٤١ هـ

أيار - حزيران/مايو - يونيو ٢٠٢٠ م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

- [لسَوْفَ] في القرآن الكريم دراسة لتوجيهات المفسّرين والمعْربين
- أبو علي المنطقي: حياته وما تبقى من شعره (١)
- دور نور الدين محمود زنكي في توحيد مصر وبلاد الشام لمواجهة الصليبيين
- مكتبة الصّغاني ونوادرها (١)
- بريد العرب: كتاب (نتائج الفكر في النحو) بين تحقيقين
- أعلام العرب: العلامة المحقق يحيى بن وهيب الجبوري (٢)

arab@hamadaljasser.com

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الأول والثاني – السنة ٥٦

رمضان وشوال ١٤٤١هـ

أيار – حزيران/مايو – يونيو ٢٠٢٠م

رئيس التحرير

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخراشيّ

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. أسعد بن سليمان بكر عبده

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع

أ. د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق

مدير التحرير

أ. هارون بن فهد العتيبيّ

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ – شارع أبي دجانة – حي صلاح الدين – وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ – ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) – **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر – حي الورود – الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) – **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

رد مد (ISSN) : ۲۶۷۱- ۱۳۱۹

الفهرس

[لسَوْفَ] في القرآن الكريم دراسة لتوجيهات المفسّرين والمعْربين	د. محمد إبراهيم الفيومي	١٦١
أبو علي المنطقي: حياته وما تبقى من شعره (١)	أ. د. محمد الساير	٢١١
دور نور الدين محمود زنكي في توحيد مصر وبلاد الشام لمواجهة الصليبيين	د. أحمد الزبيدي	٢٤١
مكتبة الصّغاني ونوادرها (١)	د. أحمد خان	٢٥٧
بريد العرب: كتاب (نتائج الفكر في النحو) بين تحقيقين	د. محمد عاطف التراس	٢٩١
أعلام العرب: العلامة المحقق يحيى بن وهيب الجبوري (٢)	أ.د. محمد محمود الدروبي	٢٩٧

[السَوْفَ] في القرآن الكريم ـ دراسة لتوجيهات المفسّرين والمعْربين

د. محمد إبراهيم الفيومي

عضو هيئة التدريس في جامعة الطائف

مقدمة

الحمد لله شرف اللغة العربية وأهلَها بالقرآن، والصلاة والسلام على النبيّ العربيّ العدناني وبعد:

فتفخرُ اللغةُ العربيَّةُ على لغات الدنيا قاطبةً بارتباطها بكتاب الله الخالد «القرآنِ الكريم»، ذلكَ الارتباطُ الذي يبثُّها حياةً لا تنفدُ، وتجددًا لا ينضبُ؛ فالمفرداتُ والتراكيبُ القرآنيَّةُ معينٌ ثرٌّ، ومنهلٌ عذبٌ، يزدادُ فيضًا كلمَا نهلَ منهُ الواردونَ وعبُّوا.

وقولُ المرءِ في كتابِ اللهِ سبحانه وتعالى ليسَ جرأةً عليه، عياذًا باللهِ، وإنَّما محاولةٌ لتدبُّرِ آياته؛ امتثالًا لأمرِ ربِّنا سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾٨٢ النساء،و٢٤محمد، وَ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾١٨٦المؤمنون، وكلُّنا متعبِّدونَ بمَا يَسّرَهُ اللهُ لنَا، وبما يسَّرَنا اللهُ لهُ، والباحثُ ـ في علوم اللغة العربيّة ـ مطالبٌ بتدبُّرِ آيات القرآنِ الكريم، ودراسة أساليبِه، في ضوءِ ما أوتيَ منْ أدواتٍ، مستعينًا بمَا قالَهُ أسلافُهُ منْ أهلِ العلمِ بكتابِ اللهِ تعالى، وبفنونِ اللغةِ العربية.

منْ هذا المنطلقِ كانتْ فكرةُ هذا البحثِ؛ محاولةٌ لدراسةِ أسلوبٍ تكررَ في

كتابِ اللهِ تعالى بضعَ مراتٍ؛ حيثُ تدخلُ لامٌ على «سَوْفَ»، ويليها فعلٌ مضارعٌ. نعرضُ ونناقشُ معالجةَ المفسرينِ ومعربي القرآنِ الكريمِ إياه؛ فعمدةُ هذا البحثِ كتبُ معاني القرآنِ الكريمِ وتفسيرِهِ وإعرابِهِ قديمها وحديثها.

وقَوامُهُ ثلاثة مباحث:

١. الآياتُ في كتبِ التفسيرِ ومعاني القرآنِ الكريمِ.

٢. الآياتُ في مصنفات إعرابِ القرآنِ الكريمِ.

٣. قراءات قرآنية للآيات الكريمة.

يسبقُ المباحثَ مقدمةٌ يطالعها ناظراك، يعقبُها تمهيدٌ يُحصي الآياتِ القرآنيَّةَ الكريمةَ موضعَ الدراسةِ، ويتذيَّلُ البحثَ خاتمةٌ تشتملُ على أهمِّ النتائجِ، ثمَّ فهرسٌ للمصادرِ والمراجعِ، وفهرسٌ لمحتوياتِ البحثِ.

والمنهجُ المعتمَدُ في هذا البحثِ منهجٌ تاريخيٌّ نقديٌّ، يعرضُ ما في كتبِ التفسيرِ وإعراب القرآنِ الكريمِ ـ ما تيسّر منها ـ عرضًا تاريخيًّا حسْبَ وفاةِ مؤلِّفيها بما يفصح عن التأثر والتأثير، ويتناولُها بالدَّرسِ والنقدِ والتوجيه.

وبعدُ، فاللهمَّ إنّي أستعينُ بكَ في فهمِ كتابِكَ، وأتوكَّلُ عليكَ في تبيُّنِ مرادِكَ، وأستغفرُكَ لما يتملكُني من عيِّ البشرِ، ويستولي عليَّ منْ نقصِ الخلقِ، وعذري أنَّكَ أمرْتَ عبادَكَ بتدبُّرِ كتابِكَ، ورجائي أنْ تمدَّني بتوفيقِكِ وكرمِكَ، وتشملَني بعفوِكَ وسترِكَ. اللهمَّ آمين.

تمهيد

وردتْ «سوفَ» في كتابِ اللهِ تعالى في اثنين وأربعينَ موضعًا[1]، دخلتْ عليها اللامُ في أربعةِ مواضعَ منها، فهذا التّركيبُ ﴿لَسَوْفَ﴾ إنَّما وردَ في أربعِ آياتٍ قرآنيَّةٍ كريمةٍ، منها ثلاثة مواضع سبقت بعاطفٍ:

- أولُها قولُهُ تعالى:

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ[2] أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾٦٦مريم.

- وثانيها قولُهُ تعالى على لسانِ فرعونِ مصرَ يُخاطبُ السَّحرةَ حينَ آمنوا بنبيِّ اللهِ سيدنا موسى عليه السلام:

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾٤٩الشعراء.

- وثالثُها قولُهُ تعالى يصفُ عبدَهُ الأتقى[3]:

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾٢١الليل.

- وآخرُها قولُهُ تعالى مخاطبًا نبيَّنا محمدًا ﷺ:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾٥الضُّحَى.

المبحث الأول

الآيات في كتب التفسير ومعاني القرآن الكريم

في هذا المبحثِ نعرضُ ما جاءَ في كتبِ التفسيرِ ومعاني القرآنِ الكريمِ ـ ما تيسرَ لي منْ قديمِها وحديثِها ـ ممَّا يتّصلُ بتوجيهِ تركيبِ «لسوفَ» في أربعِ الآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ، مرتّبًا الآياتِ القرآنيةَ الكريمةَ حسَبَ ترتيبِ ورودِها في المصحفِ الشريفِ، وكتبَ التفسيرِ حسبَ وفاةِ مؤلفيها:

الآية الأولى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾٦٦مريم

١ـ نقـلَ إمامُ علماءِ التأويلِ[٤] أبو الحسـنِ عليُّ بنُ أحمـدَ الواحديُّ (ت٤٦٨هـ) فيها ما يلي:

(وقـالَ صـاحبُ النظم: «اللامُ ـ في قوله: ﴿لَسَوْفَ﴾ ـ لامُ تأكيد يؤكَّدُ بها ما بعدَها من الخبر، وهذا الإنسانُ كافرٌ لا يؤمنُ بالبعث، والكلامُ محكيٌّ عنهُ، فلمَ حُكي عنـهُ بالتأكيـد وهوَ منكرٌ لـهُ، ومنْ أنكرَ شـيئًا لمْ يؤكِّدْهُ؟!". قـالَ: "والجوابُ أنَّ هذا مـنْ بابِ الحكايةِ والمجازاة، كأنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لهُ: "لسـوفَ تُخـرجُ بعدَ الموتِ حيًّا"، فقالَ حاكيًا ومعارضًـا لكلامه: ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَـوْفَ أُخْـرَجُ حَيًّا﴾، ولا يذهبُ مذهبَ التَّأكيد، وإنَّما يذهبُ مذهبَ الحكايةِ والمعارضـةِ والمجازاةِ لكلامه، كما تقولُ العربُ: «رأيتُ زيدًا»، فيقولُ السَّـامعُ: «منْ زيـدًا؟»، وإذا قالَ: «مررتُ بزيدٍ»، قالَ: «مَنْ زيدٍ؟» بالخفضِ؛ أتبعوا آخرَ الكلامِ أولَهُ على الحكايةِ والمجازاة») [٥].

ـ أفاد النصُّ أنَّ اللامَ ـ في الآيةِ الكريمة ـ لامُ تأكيد، الأمرُ الذي يُثيرُ تسـاؤلًا: كيفَ يؤكِّد المنكرُ وقوعَ ما يجحدُهُ؟! ـ والجوابُ[٦] أنَّهُ يُحمَلُ على بابِ الحكايةِ والمجازاة، ومثَّلَ لهُ بحكايةِ المفردِ المسـتفهَمِ عنهُ بـ«مَنْ»؛ يُلزمُهُ السَّائلُ حركتَهُ الإعرابيَّةَ في جملةِ المخبرِ، حكايةً لقوله. والحكايةُ أسـلوبٌ عربيٌّ فصـيحٌ عقدَ لهُ النَّحويُّونَ بابًا، والمرادُ بهَا: «إيرادُ لفظِ المتكلِّمِ على حسبِ مَا أوردَهُ»[٧].

ـ ففي الآيـةِ الكريمةِ طيٌّ وإيجازٌ بالحذف، قرينتُهُ التَّوكيدُ الواردُ على لسـانِ المنكرِ، يكررُ كلامَ مخاطَبِهِ على سـبيلِ التندّرِ، والإنكارِ والاسـتبعادِ لحدوثِ ما ذكرَهُ لهُ محدِّثُهُ.

٢ـ وقالَ أبو القاسمِ محمودُ بنُ عمرَ، جارُ اللهِ الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ):

(فـإنْ قلـتَ: لامُ الابتداءِ الداخلةُ على المضـارعِ تُعطي معنى الحالِ، فكيفَ جامعتْ حرفَ الاستقبال؟ قلتُ: لمْ تجامعْهَا إلا مخلَّصَةً للتوكيد، كما أُخلصَت الهمزةُ في «يا اللّه» للتعويض، واضمحلَّ عنها معنى التّعريف. و«مَا» في «إذا ما» للتَّوكيد أيضًا، فكأنَّهـمْ قالُوا: «أحقًّا أنَّا سـنُخرَجُ أحياءً حينَ يتمكَّنُ فينا المـوتُ والهلاكُ؟! على وجهِ الاستنكارِ والاستبعاد») [٨].

ـ ويُفهمُ ـ من نصِّ العلَّامةِ الزّمخشريِّ ـ ما يلي:

– أنَّ دخولَ لام الابتداءِ على الفعلِ المضارعِ يُجرّدُه للحاليَّة؛ فينتفي معها احتمالُ الصَّرفِ إلى المضيِّ (الذي يتحقَّقُ معَ «لمْ»)، واحتمالُ الصَّرفِ إلى الاستقبالِ (الذي يتحقَّقُ معَ السّينِ و«سوفَ»).

– وذلك يُوهمُ بظاهرِ تناقضٍ في هذا التَّركيبِ الذي اشتملتْهُ الآيةُ القرآنيَّةُ الكريمةُ ونحوُها، حينَ اجتمعَ مجرِّدٌ للحاليَّةِ «لامُ الابتداءِ»، ومخلِّصٌ للاستقبالِ «سوفَ»!

– فلجأَ الزَّمخشريُّ إلى التَّأويلِ؛ لصرفِ ظاهرِ هذا التناقضِ، فأبانَ أنَّ اللامَ ـ في الآيةِ القرآنيَّةِ الكريمةِ ـ قدْ تجردتْ لتوكيدِ معنى الفعلِ بعدَها، فهي ذاتُ فائدتين: التوكيدُ وتخليصُ المضارعِ للحالِ، فتجردتْ هنا للتوكيدِ، ولا تتأتى إفادتُها الحاليّةَ؛ لوجودِ «سوْفَ» التي تخلِّصُ الفعلَ للاستقبالِ.

– وتابعَهُ ــ على عادتهما ــ البيضاويُّ(ت٦٨٥هـ)، وأبو السعود(ت٩٨٢هـ)؛ فذكرا[٩] أنَّ اللامَ ـ في الآيةِ الكريمةِ ـ مخلَّصةٌ للتوكيدِ، مجرَّدةٌ عنْ معنى الحالِ.

– فإنْ قيلَ: ولمَ جُرّدت اللامُ، دونَ «سوفَ»؟! ـ أجيبَ[١٠]: لأنَّ اللامَ إذا جُردتْ من الحالِ بقيَ لها التوكيدُ، أمَّا «سوفَ» فليسَ لها معنىً سوى الاستقبالِ، فإذا جُردتْ منهُ أُلغيتْ.

– وساقَ الزمخشريُّ مثالًا توضيحيًّا[١١] لما ساقَهُ؛ فـ «أل» ـ في لفظِ الجلالةِ «اللّه» ــ للتّعريفِ، والتّعويضِ عن الهمزةِ المحذوفةِ اعتباطًا من الأصلِ «الإلـه»، فإذا نوديَ لفظُ الجلالةِ «يا أللّه»[١٢] تمحَّضتْ «أل» للتّعويضِ؛ لئلّا يجتمعَ معرِّفانِ، ولذا قُطِعتْ بعدَ وصلٍ[١٣].

– وثمةَ رأيٌ آخر[١٤] في لفظِ الجلالةِ: أنَّهُ من الولَه؛ لأنَّ العقولَ تتحيَّرُ في عظمتِه، ثمَّ قدِّمت العينُ. ورأى ابنُ مالكٍ أنَّ لفظَ الجلالةِ علَمٌ وُضعَ أصلًا بالألفِ واللامِ.

– وقدْ تعقَّبَ ابنُ الحاجب(ت٦٤٦هـ) الزمخشريَّ، فأملى[١٥] ــ في توجيهِ هذهِ الآيةِ القرآنيةِ الكريمةِ ـ مبيِّنًا أنَّها لامُ تأكيدٍ، وليستْ لامَ ابتداءٍ.

٣. وقالَ أمينُ الدينِ أبو عليٍّ الفضلُ بنُ الحسنِ الطبرسيُّ(ت٥٤٨هـ):

(ما بعدَ لامِ الابتداءِ لا يعملُ فيما قبلَهُ، ودخلتْ ﴿مَا﴾للتوكيدِ)[١٦]. فهوَ يوافقُ ما سطَّرهُ العلَّامةُ الزَّمخشريُّ.

٤.وقالَ ابنُ عطيّةَ (ت٥٤٢هـ) أبو محمدٍ عبدُ الحقِّ بنُ غالبٍ:

(واللامُ ـ في قولِه: ﴿لَسَوْفَ﴾ـ مجلوبةٌ على الحكايةِ لكلامٍ تقدّمَ بهذا المعنى، كأنَّ قائلًا قالَ للكافرِ: «إذا متَّ ـ يا فلانُ ـ لَسَوفَ تُخرَجُ حيًّا»، فقرّرَ الكافرُ على الكلامِ على جهةِ الاستبعادِ، وكرّرَ اللامَ حكايةً للقولِ الأولِ)[١٧].

٥. وقالَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ القرطبيُّ(ت٦٧١هـ): (وَاللَّامُ ـ في ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ـ للتَّأكيدِ، كَأَنَّهُ قيلَ لَهُ: "إِذَا مَا متَّ لَسَوْفَ تُبعثُ حيًّا"، فقال: ﴿أَئِذَا مَا متُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾؟! قَالَ ذَلكَ مُنْكرًا، فَجَاءَت اللَّامُ في الْجَوَابِ كَمَا كَانَتْ في القولِ الأولِ، ولوْ كانَ مبتدئًا لَمْ تَدْخُلِ اللَّامُ؛ لِأَنَّهَا لِلتَّأْكِيدِ وَالْإِيجَابِ، وَهُوَ مُنْكِرٌ لِلْبَعْثِ)[١٨].

ـ وظاهرٌ أنَّ معالجةَ ابنِ عطيّةَ(ت٥٤٢هـ)والقرطبيِّ(ت٦٧١هـ)ـ للآيةِ القرآنيّةِ الكريمةِ ـ تتفقُ كلتاهما وما نقلَهُ الواحديُّ (ت٤٦٨هـ) في تفسيرِه «الوسيطِ» عنْ صاحبِ «النظمِ».

٦. وفي معالجةِ أبي حيَّانَ أثيرِ الدينِ محمدِ بنِ يوسفَ الغرناطيِّ(ت٧٤٥هـ) ـ في تفسيرِه[١٩] ـ للآيةِ القرآنيَّةِ الكريمةِ نجدُ ما يلي:

- ذكرَ أنَّ اللامَ لامُ الابتداءِ.

- نقلَ نصَّ الزمخشريِّ(ت٥٣٨هـ) في تفسيرِه «الكشافِ»، وتعقبهُ بأمورٍ:

ـ تجريدُ اللامِ الفعلَ المضارعَ بعدَها للحالِ ليسَ محلَّ اتفاقِ النحْويينَ، وإنَّما هوَ رأيٌ لبعضِ النّحويينَ.

- وعلى مذهبِ من لا يرى أنَّها تُعطي معنى الحالِ يزولُ التَّعارضُ المتوهَّمُ.

- وتنظيرُهُ بنحوِ: «يا أللهُ» لا يُسلّمُ لهُ؛ لأنَّ ذلكَ على مَذْهبِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الأَصلَ

فيه «إِلَهٌ». وَأَمَّا على مَذْهب مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ أَصلهُ «لَاهٌ» ـ فَلَا تَكُونُ الهمزةُ فيه للتَّعويض؛ إِذْ لَمْ يُحْذَفْ مِنْهُ شَيْءٌ. وأردفَ: (وَلَوْ قُلْنَا: إِنَّ أَصْلَهُ «إِلَهٌ»، وَحُذِفَتْ فَاءُ الكلمة ـ لَمْ يَتَعَيَّنْ أَنَّ الهمزَةَ فيه ـ في النِّدَاء ـ للتَّعْويض؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ لِلْعِوَضِ من المحذُوف لَثَبَتَتْ دَائِمًا في النِّدَاء وَغَيْرِه، وَلَمَّا جَازَ حذفُها في النِّداء؛ قَالُوا: «يَا للَّه» بِحَذْفِهَا، وَقَدْ نَصُّوا على أَنَّ قَطْعَ هَمْزَةِ الوصلِ في النِّدَاء شَاذٌّ).

– ثمَّ نقلَ نصَّ ابن عطيةَ (ت٥٤٢هـ)، وتعقَّبَهُ بقوله: (وَلَا يُحْتَاجُ إِلَى هَذَا التَّقْدِير، وَلَا أَنَّ هَذَا حِكَايَةٌ لِقَوْلٍ تَقَدَّمَ، بَلْ هَذَا مِنَ الْكَافِرِ اسْتِفْهَامٌ فِيهِ مَعْنَى الْجَحْدِ وَالْإِنْكَارِ).

– وإذا كانَ لهُ وجهٌ في تعقبِه الزمخشريَّ فإنَّ للتقديرِ والحكايةِ اللذينِ سطَّرهما ابنُ عطيَّة وجهًا؛ يستقيمُ بهما وجودُ لام الابتداءِ المؤكِّدةِ لمضمونِ الجملةِ المقرَّةِ بالبعثِ في عبارةِ كافرٍ جاحدٍ للبعثِ! واللهُ أعلمُ.

٧. وقالَ الآلوسيُّ الكبيرُ شهابُ الدينِ أبو الثَّناءِ محمودُ بنُ عبدِ اللهِ الحسينيُّ (ت١٢٧٠هـ):

(واللامُ هنا لمجردِ التَّوكيد؛ ولذا ساغَ اقترانُها بحرفِ الاستقبالِ، وهذا على القولِ بأنَّها إذا دخلت المضارعَ خلَّصتْهُ للحالِ، وأمَّا على القولِ بأنَّها لا تخلِّصُهُ فلا حاجةَ إلى دعوى تجريدِها للتَّوكيدِ، لكنَّ الأولَ هوَ المشهورُ) [٢٠]. ويُلحظُ ـ في نصِّ الآلوسيِّ ـ أمرانِ:

– أولُهما أنَّهُ أفادَ توجيهَهُ هذا منْ سلفيهِ الزّمخشريِّ، وأبي حيانَ الأندلسيِّ.

– والآخرُ أنَّهُ نصَّ على أنَّ المشهورَ أنَّ اللامَ إذا دخلت المضارعَ خلصتْهُ للحالِ.

٨. وقالَ جلالُ الدينِ محمدُ بنُ أحمدَ المحليُّ (ت٨٦٤هـ):

(و﴿مَا﴾ زائدةٌ للتَّأكيدِ، وكذا اللامُ) [٢١].

فاللامُ عندَهُ زائدةٌ، والغرضُ منْ زيادتِها: «تأكيدُ مضمونِ الجملةِ».

٩. وقالَ الشّيخُ التّونسيُّ محمدُ الطاهرُ بنُ عاشورٍ (ت١٩٧٣م):

(وَقَدْ دَخَلَتْ لَامُ الِابْتِدَاءِ ـ في قَوْلِه: ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ٦٦مريم ـ على

الْمُضَارِعِ الْمُسْتَقْبَلِ بِصَرِيحِ وُجُودِ حَرْفِ الاسْتِقْبَالِ، وَذَلِكَ حُجَّةٌ لِقَوْلِ ابْنِ مَالِك بِأَنَّ لَامَ الابْتِدَاءِ تَدْخُلُ عَلَى الْمُضَارِعِ الْمُرَادِ بِهِ الاسْتِقْبَالُ وَلَا تُخَلِّصُهُ لِلْحَالِ. وَيَظْهَرُ أَنَّهُ ـ مَعَ الْقَرِينَةِ الصَّرِيحَةِ ـ لَا يَنْبَغِي الاخْتِلَافُ فِي عَدَمِ تَخْلِيصِهَا الْمُضَارِعَ لِلْحَالِ. وإِنْ صَمَّمَ الزَّمَخْشَرِيُّ عَلَى مَنْعِه، وَتَأَوَّلَ مَا هُنَا بِأَنَّ اللَّامَ مَزِيدَةٌ لِلتَّوْكِيدِ، وَلَيْسَتْ لَامَ الابْتِدَاءِ، وَتَأَوَّلَهُ فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾٥الضُّحَى بِتَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: «وَلَأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى»؛ فَلَا تَكُونُ اللَّامُ دَاخِلَةً عَلَى الْمُضَارِعِ، وَكُلُّ ذَلِكَ تكلّفٌ لَا مُلجئَ إِلَيْهِ)[٢٢].

وعقَّب ـ على قوله تعالى على لسان يعقوبَ عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾١٣ يوسف ـ بقوله رحمه الله:

(وَإِنَّمَا ذَكَرَ يَعْقُوبُ أَنَّ ذَهَابَهُمْ بِهِ غَدًا يُحْدِثُ بِهِ حُزْنًا مُسْتَقْبَلًا؛ لِيَصْرِفَهُمْ عَنِ الْإِلْحَاحِ فِي طَلَبِ الْخُرُوجِ بِهِ؛ لِأَنَّ شَأْنَ الِابْنِ الْبَارِّ أَنْ يَتَّقِيَ مَا يُحْزِنُ أَبَاهُ)[٢٣]، وعلَّق ـ في هامشه على كلمة «مستقبلًا» ـ بقوله:

(ذهبَ جمعٌ كثيرٌ من النُّحَاة ـ فيهم الزَّمَخْشَرِيُّ في «الْكَشَّاف» و«الْمفصَّل» ـ إِلَى أَنَّ لَامَ الابْتِدَاءِ إذا دخلت على الْمُضَارِع تُخلصُهُ لزمن الْحَال، وَخَالفهُم كثيرٌ من الْبَصرِيّينَ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ ذَلِك غَالبٌ، لَا مطردٌ؛ فَهَذِهِ الْآيَةُ وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾٦٦مريم ـ تشهدانِ لعدمِ اطِّرادِ هَذَا الحكم).

ومعالجةُ الشَّيخِ الطَّاهرِ ـ للتّركيبِ الواردِ في الآيةِ الكريمةِ ـ تتلخّصُ فيما يلي:

– تخليصُ لامِ الابتداءِ الفعلَ المضارعَ بعدَها للحالِ محلُّ خلافٍ بينَ النَّحويينَ؛ فقالَ به كثيرونَ، منهم الزّمخشريُّ، وخالفَهمْ كثيرٌ من البصريّينَ، ووافقَهمْ ابنُ مالكٍ[٢٤].

– واختارَ الشيخُ المذهبَ الأخيرَ، مبيّنًا:

ـ أنَّ تخليصَ لامِ الابتداءِ الفعلَ المضارعَ بعدَها للحالِ غالبٌ، لا مطردٌ.

ـ ويشهدُ لذلكَ آيتا سورتي يوسفَ ومريمَ.

ـ والقولُ باطّرادِ تخليصِها المضارعَ للحالِ ألجأَ الزمخشريَّ للتأويلِ والتقديرِ المتكلَّفِ، دونَ حاجةٍ.

لكنَّ نسبةَ الشيخِ نفيَ حملِ اللام على الابتداءِ إلى الزمخشريِّ ـ ليسَ صحيحًا؛ فنصُّ الزمخشريِّ صريحٌ في أنَّها لامُ الابتداءِ تجردتْ للتوكيدِ.

الآية الثانية

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٤٩ الشعراء

١ـ قالَ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ السّريِّ الزّجّاجُ (ت٣١٦هـ):

(اللامُ دخلتْ على «سوفَ» بمعنى التَّوكيدِ، ولم يُجزِ الكوفيّونَ: «إنَّ زيدًا لَسَوفَ يَقومُ»، وقدْ جاءَ دخولُ اللامِ على «سوفَ»، وذلك أنَّ اللامَ مُؤَكِّدَةٌ)[٢٥].

ـ تأوَّلَ الزَّجَّاجُ دخولَ اللام على «سوفَ» ـ في الآيةِ القرآنيةِ الكريمةِ ـ بأنَّها مؤكِّدةٌ، فساغَ اقترانُها بحرفِ الاستقبالِ، وأضافَ أنَّ الكوفيّينَ منعوا دخولَ لامِ الابتداءِ على «سوفَ» في الجملةِ الفعليَّةِ الواقعةِ خبرًا لإنَّ وأخواتِها.

٢ـ وقالَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ القرطبيُّ (ت٦٧١هـ):

(وَاللَّامُ ـ في قَوْلِه: ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ ـ لَامُ تَوْكِيد، وَكَثِيرًا مَا تَدْخُلُ في خَبَرِ «إنَّ»، إلَّا أَنَّ الْكُوفِيِّينَ لَا يُجِيزُونَ: «إنَّ زَيْدًا لَسَوْفَ يَقُومُ». وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ جَائِزٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وَهَذِهِ لَامُ التَّوْكِيدِ بِعَيْنِهَا، وَقَدْ دَخَلَتْ عَلَى «سَوْفَ». قالهُ النَّحاسُ)[٢٦].

ـ فاللامُ لامُ توكيدٍ، يغلبُ اقترانُ خبرِ «إنَّ» بها.

ـ وقدْ منعَ الكوفيُّونَ دخولَها على خبرِ «إنَّ» إذا كانَ جملةً فعليةً مبدوءةً بـ«سوفَ».

ـ واقترانُ لامُ التَّوكيدِ بـ«سوفَ» ـ في الآيةِ القرآنيّةِ الكريمةِ ـ يُبطلُ قولَ الكوفيّينَ، ويُجيزُ ما منعوهُ.

ـ وُيحسَبُ للعلَّامةِ أبي عبدِ اللهِ القرطبيّ رحمه اللهُ نسبةُ القولِ إلى صاحبِهِ أبي جعفرٍ النّحَّاسِ(ت٣٣٨هـ) رحمهما اللهُ.

٣ـ وقالَ أبو حيَّانَ أثيرُ الدينِ محمدُ بنُ يوسفَ الغرناطيُّ(ت٧٤٥هـ):

(ولمْ يُؤكَّد الفعلُ الواقعُ جوابًا للقسَـم المحذوف؛ لأنّهُ فُصلَ بينَ اللام المتلقَّى بها القسـمُ وبينَهُ بالجارِّ والمجرور. ولوْ تأخَّرَ لكانَ: «لَتُحْشَـرُنَّ إلَيْـه»، كقولِه: ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُـهُ﴾. وسـواءً كانَ الفصـلُ بمعمولِ الفعلِ كهذا، أوْ بـ«سَـوْفَ»، كقولِه: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾٤٩الشعراء، أوْ بـ«قَدْ» كقولِ الشَّاعر:

كذبْتِ لقدْ أُصبي على المرءِ عِرسَهُ وأَمنعُ عِرسي أن يُزَنَّ بها الخالي[٢٧]

قالَ أبو عليٍّ: الأصلُ دخولُ النُّونِ فرقًا بينَ لامِ اليمينِ ولامِ الابتداء، ولامُ الابتداءِ لا تدخلُ على الفضـلات، فبدخولِ لامِ اليمينِ على الفضلةِ وقعَ الفصلُ، فلمْ يُحتجْ إلى النّـونِ. وبدخولِها على «سـوفَ» وقعَ الفرقُ، فلـمْ يُحتجْ إلى النّـونِ؛ لأنَّ لامَ الابتداءِ لا تدخلُ على الفعلِ إلَّا إذا كان حالًا، أمّا إذا كانَ مستقبلًا فلا)[٢٨].

ـ ويفيدُنا نصُّ أبي حيَّانَ أمورًا:

. أنَّ الـلامَ ــ في الآيـةِ الكريمةِ ـ لامُ جوابِ القسـمِ المقدَّرِ، بدليـلِ دخولِها على الفضلةِ «سوفَ»، وليستْ لامَ الابتداءِ؛ لأنَّ لامَ الابتداءِ لا تدخلُ على الفضلاتِ.

. وإنَّما لمْ يؤّكّد الفعلُ معها بالنّونِ؛ لأنَّهُ فُصلَ بينها وبينَ اللامِ بـ«سوفَ».

ـ وفيما يتَّصلُ بما نقلَهُ أبو حيَّانَ عن الفارسيِّ (ت٣٧٧هـ) أفيدُ ما يلي:

.أثيرُ الدينِ كثيرُ النَّقلِ عن الفارسيِّ في تفسيرِه، وفي سائرِ كتبِه.

.لمْ أوفَّـقْ إلى نصِّ الفارسـيِّ بحرفِه فيما راجعتُ مـنْ مطبوعِ كتبِه، لكنَّ ثمَّةَ ما يقاربُهُ في تذكرتِه، وذلك في تعقيبِه على قولِه تعالى: ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَـرُونَ﴾١٥٨آل عمران، قالَ:

(لمْ تدخـل النُّـونُ هنـا؛ لأنَّها إنَّما تدخلُ لتفصـلَ هـذه اللامَ مـنْ لامِ الابتداء، ولا حاجةَ هنا إلى الفصـلِ لارتفـاعِ اللبسِ؛ لأنَّ الدَّاخلةَ عليها اللامُ هنا فضَـلةٌ، ولامُ

الابتداء لا تدخلُ الفضلات، وكذلك لمْ تدخلْ في ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ ٥الضحى؛ لأنَّ «سَوْفَ» تدلُّ على أنَّها ليستْ بلام ابتداء، فالموضعانِ سواءٌ)[٢٩].

. و«لامُ اليمين» مصطلحٌ دارَ في بعض كتب الأولينَ[٣٠]، فاستعملَهُ ـ مثلًا ـ سيبويه، وابنُ السراج. وهوَ دائرٌ في تعبير بعض أعلام الكوفيينَ: الفراء، وثعلب، وابن الأنباريِّ؛ يعنونَ به «لامَ القسم».

٤. وقالَ الآلوسيُّ الكبيرُ شهابُ الدينِ أبو الثَّناء محمودُ بنُ عبد اللّه الحسينيُّ(ت١٢٧٠هـ):

(واللامُ، قيلَ: للابتداء، دخلت الخبرَ لتأكيد مضمون الجملة، والمبتدأُ محذوفٌ، أيْ: «فلأنتمْ سوفَ تعلمونَ»، وليستْ للقسم؛ لأنَّها لا تدخلُ على المضارع إلَّا معَ النّونِ المؤكِّدة، وجمعها معَ «سوفَ»؛ للدلالة على أنَّ العلمَ كائنٌ لا محالةَ، وإنْ تأخّرَ لداع. وقيلَ: هيَ للقسَم، وقاعدةُ التّلازم بينَها وبينَ النّونِ فيمَا عدا صورةَ الفصلِ بينَها وبينَ الفعل بحرف التَّنفيس، وصورةَ الفَصلِ بينهما بمعمولِ الفعل، كقوله تعالى: ﴿لَإِلَى اللّه تُحْشَرُونَ﴾١٥٨آل عمران، وقالَ أبو عليٍّ: هيَ اللامُ التي في «لأقومنَّ»، ونابتْ «سوف» عنْ إحدى نوني التّأكيد، فكأنَّهُ قيلَ: «فَلَتَعْلَمُنَّ»)[٣١].

- فصَّلَ العلّامةُ الآلوسيُّ الوجهينِ المحتملينِ في هذه اللام، مبيِّنًا أنَّ لكلٍّ مختاريه:

.الوجه الأولُ: أنّ اللامَ للابتداء، دخلت الخبرَ لتأكيد مضمونِ الجملة.

فإنْ قيلَ: لامُ الابتداء تختصُّ بالجملة الاسميَّة. أجيبَ: المبتدأُ محذوفٌ، والتقدير: «فلأنتمْ سوفَ تعلمونَ».

وإنْ قيلَ: بدلًا منْ تقدير مبتدأ محذوفٍ تُجعلُ اللامُ للقسم! أجيب: لامُ القسم لا تدخلُ على المضارع إلَّا معَ النّونِ المؤكِّدة.

فإن استُشكِلَ: كيفَ يَجتمعَ مجرِّدٌ للحاليَّة «لامُ الابتداء»، ومخلِّصٌ للاستقبال» سوف»؟!

ـ أجيبَ: في ذلك لطيفةٌ قرآنيَّةٌ أفادَها الآلوسيُّ من الزمخشريِّ في تعقيبه على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾٥الضحى؛ ذلك أنَّ جمعَ اللام مع «سوفَ» يفيدُ أنَّ العلمَ كائنٌ لا محالةَ، وإنْ تأخّرَ لداعٍ.

.والوجه الآخر: أنَّ اللامَ للقسَم.

فإنْ قيلَ: لامُ القسم لا تدخلُ على المضارع إلَّا معَ النّونِ المؤكِّدة. أجيبَ: قاعدةُ التّلازم بينَ اللام والنّون يُستثنى منها صورتانِ: صورةُ الفصلِ بينَها وبينَ الفعلِ بحرفِ التّنفيس «سَوْفَ»، وصورةُ الفصلِ بينهما بمعمولِ الفعلِ، كقوله تعالى: ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾١٥٨ آل عمران.

واحتذى أبا حيَّانَ في نقلِ نصٍّ للفارسيّ يفيدُ أنَّ اللامَ لامُ القسم، ونابتْ «سوفَ» عنْ إحدى نوني التّأكيدِ «الثقيلةِ أو الخفيفةِ». ونصُّ ما سطّره الفارسيُّ في تذكرته، قالَ:

(لأنَّ السّينَ و«سَوْفَ» بمنزلةِ حرفِ المضارعة، يدلُّ على ذلك قولُهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ٥الضحى، فجرى هذا مَجْرى «لَتَفْعَلَنَّ») [٣٢].

٥.وقالَ الشيخُ: محمدُ رشيدُ بن عليٍّ رضا(ت١٩٣٥م):

(أَقُولُ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذِهِ اللَّامَ لَامُ الِابْتِدَاءِ، وَأَنَّ فَائِدَتَهَا الْأُولَى الْمُتَّفَقَ عَلَيْهَا تَوْكِيدُ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ) [٣٣].

٦.وقالَ الشَّيخُ التونسيُّ محمدُ الطاهرُ بنُ عاشورٍ(ت١٩٧٣م):

ـ اختيارٌ صريحٌ للرأيِ القائلِ بأنَّ اللامَ ـ في الآيةِ الكريمةِ ـ لامٌ واقعةٌ في جوابِ قسَمٍ مضمرٍ، والتقدير «واللَّه أعلمُ بمرادِه»: فبعزّتي.

وقبلَ أنْ نتجاوزَ هذه الآيةَ الكريمةَ لا بدَّ أنْ نقفَ وقفةً معَ سياقها؛ لنتبيَّنَ طرفًا منْ جمالِ التَّعبيرِ القرآنيِّ وبلاغته، حينَ نستحضرُ تهديدَ فرعونَ للسحرة[٣٤] في سورتي الأعراف والشعراء، ثمَّ يكونُ السّؤالُ: لمَ زادَ اللامَ في سورةِ الشّعراءِ خاصةً؟ ـ يجيبُنا الخطيبُ الإسكافيُّ(ت٤٢٠هـ):

(وأمَّا اختصاصُ سورةِ الشّعراءِ بقوله: ﴿فَلَسَوْفَ﴾ وزيادةِ اللامِ ـ فلتقريبِ ما خوَّفهمْ بهِ منْ اطّلاعهمْ عليهِ وقربِهِ منهمْ، حتَّى كأنَّهُ ـ في الحالِ ـ موجودٌ؛ إذ اللامُ للحالِ، فالجمعُ بينَها وبينَ «سوفَ» التي للاستقبالِ إنَّما هو لتحقيقِ الفعلِ، وإدنائه منَ الوقوعِ، كما قالَ تعالى: ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾١٢٤النحل، فجمعَ بينَ اللامِ وبينَ يومِ القيامةِ، كمَا جمعَ بينهَا وبينَ «سوفَ»، على ما قالَهُ عزّ وجل: ﴿ومَا أَمْرُ السَّاعَةِ إلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾٧٧النحل. وقدْ بيَّنا أنَّ سورةَ الشّعراءِ أكثرُ اقتصاصًا لأحوالِ موسى عليه السلام في بعثِه، وابتداءِ أمرِه، وانتهاءِ حالِه معَ عدوِّه، فجَمعتْ لفظَ الوعيدِ المبهمَ معَ اللفظِ المقرِّبِ لهُ المحقِّقِ وقوعَهُ إلى اللفظِ المفصحِ بمعناهُ، ثمَّ وقعَ الاقتصارُ في السّورةِ التي لمْ يُقصدْ فيها من اقتصاصِ الحالِ ما قُصدَ في سورةِ الشُّعراءِ على ذكرِ بعضِ مَا هوَ في موضعِ البسطِ والشَّرحِ؛ وهو التَّعريضُ بالوعيدِ معَ الإفصاحِ بهِ)[٣٥].

وقدْ نقلَ كلامَهُ الشيخُ: محمد رشيد رضا (ت١٩٣٥م)، وذيَّلهُ بقوله:

(أَقُولُ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذِهِ اللَّامَ لَامُ الِابْتِدَاءِ، وَأَنَّ فَائِدَتَهَا الْأُولَى الْمُتَّفَقَ عَلَيْهَا تَوْكِيدُ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، وَقَدْ سَكَتَ الْإِسْكَافِيُّ عَنِ التَّعْلِيلِ بِهَا عَلَى ظُهُورِهَا، وَعَدَمِ خَفَاءِ شَيْءٍ مِنْ شَوَاهِدِهَا، وَاقْتَصَرَ عَلَى تَوْجِيهِ مَا ذَكَرُوا لِهَذِهِ اللَّامِ مِنْ مَعْنَى الْحَالِ؛ إِذْ قَالُوا: إِنَّ الْفَائِدَةَ الثَّانِيَةَ لَهَا تَخْلِيصُ مَعْنَى الْمُضَارِعِ لِلْحَالِ، نَقَلَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي الْمُغْنِي[٣٦]، وَقَالَ: إِنَّ ابْنَ مَالِكٍ اعْتَرَضَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾١٢٤النحل، وَبِقَوْلِ يَعْقُوبَ عليه السلام فِيمَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾١٣يوسف؛ فَإِنَّ الذَّهَابَ كَانَ مُسْتَقْبَلًا، فَلَوْ كَانَ الْحُزْنُ حَالًا لَزِمَ تَقَدُّمُ الْفِعْلِ فِي الْوُجُودِ عَلَى فَاعِلِهِ، مَعَ أَنَّهُ أَثَرُهُ، قَالَ: «وَالْجَوَابُ عَنِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْحُكْمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، فَنُزِّلَ مَنْزِلَةَ الْحَاضِرِ الْمُشَاهَدِ، وَأَنَّ التَّقْدِيرَ فِي الثَّانِي «قَصَدَ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ»، وَالْقَصْدُ حَالٌ) اهـ.

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ تَعْبِيرَ الْإِسْكَافِيِّ ـ فِي هَذِهِ الْفَائِدَةِ ـ أَوْسَعُ مِنَ التَّعْبِيرِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ وَغَيْرُهُ وَأَبْعَدُ عَنِ الْإِشْكَالِ؛ فَقَدْ قَالَ هُوَ: إِنَّ مَعْنَى الْحَالِ فِيهَا عِبَارَةٌ عَنْ تَحْقِيقِ الْفِعْلِ وَإِدْنَائِهِ مِنَ الْوُقُوعِ، وَهُوَ يَصْدُقُ بِجَعْلِ الْمُضَارِعِ لِلْحَالِ حَقِيقَةً، أَوْ بِجَعْلِ

مَعْنَى الاسْتقْبَال فيه قَريبًا جدًّا، حَتَّى كَأَنَّهُ حَالٌ، وَلَا يَردُ عَلَى هَذَا مَا يَردُ عَلَى قَوْلهمْ: «تَخْليصُ مَعْنَى الْمُضَارع للْحَال»، وَجَوَابُهُمْ عَن الْآيَتَيْن يَظْهَرُ فِي تَعْبيرهمْ، كَمَا يَظْهَرُ فِي تَعْبيره هُوَ بغَيْر تَكَلُّف مَا.

ثُمَّ إنَّهُ لَا بُدَّ فِي صدْق التَّعْبير بقَوْله: ﴿فَلَسَوْفَ﴾ منْ كَوْن فرْعَوْنَ ذَكَرَ - فِي وَعيدهمُ الْمُسْتَقْبَلَ - أَنَّهُ قَريبٌ، وَأَنَّهُ قَطْعِيٌّ لَا مَرَدَّ لَهُ، سَوَاءً قَالَهُ عَلَى سَبيلِ الْإيضَاح، أَوْ عَلَى سَبيلِ الاسْتدْرَاك.

وَرُبَّ جُمْلَة - أَوْ جُمَل طَويلَة - تُؤَدَّى فِي الْقُرْآن بجُمْلَة قَصيرَة أَوْ كَلمَة أَوْ حَرْف فِي كَلمَة "كَاللَّام هُنَا"، وَهَذَا منْ دَقَائق إيجَاز الْقُرْآن، وَهُوَ ضَرْبٌ منْ ضُرُوب إعْجَازه اللَّفْظيَّة فِي غَيْر الْأُسْلُوب وَالنَّظْم، وَكُلُّهَا دُونَ إعْجَازه فِي بَيَان حَقَائق الشَّرْع وَالْعلْم)[٣٧].

وحقيقةً، يلفتُ النّظرَ - في سياقِ سورتي الأعراف والشعراء[٣٨] - أنَّ ثمَّةَ حوارًا حكاهُ القرآنُ بينَ فرعونَ والسّحرة، وانتهت القصةُ بوعيد شديد منْ فرعونَ لهؤلاء المارقينَ؛ لفظُهُ في سورة الأعراف: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾١٢٣، ١٢٤، وفي سورة الشعراء: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾٤٩.

وإنَّكَ إذا تأملْتَ صدرَ الحوار - في السُّورتين - تشعرُ أنَّ آيةَ سورة «الشعراء» تتطلبُ اللامَ معَ «سوفَ» دونَ آية سورة «الأعراف»؛ ففي سورة «الشعراء» أظهرَ المخاطَبَ بالفعل «قالوا»؛ إنَّهُ فرعونُ نفسُهُ: ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ﴾؛ ليُظهرَ ثقةَ السَّحرة وتدللَهمْ على فرعونَ ذاته، الأمرُ الذي منحَهُ الثّقةَ الكاملةَ في النصرِ على خَصمه والقدرة على قهره، وبقيت القضيةُ في تحصيل الأجر والعطايا والمنح والهبات، الأمرُ الذي استدعى تأكيدًا منْ فرعونَ للوعد، واقرأ: ﴿فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾٤١، ٤٢الشعراء. منْ هنا كانَ السّياقُ مستدعيًا للتأكيد باللام في الوعيد والتهديد.

بخلاف سورة «الأعراف»، فلمْ ينصّ على المخاطَب، وكانَ تأكيدُ فرعونَ أقلَّ درجةً في الوعد، وفي الوعيد، واقرأ: ﴿وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾١١٣، ١١٤الأعراف.

الآية الثالثة

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ ٢١الليل

١ـ قالَ السَّمينُ الحلبيُّ شهابُ الدّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ يوسفُ(ت٧٥٦هـ):

(قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ هذا جوابُ قَسَمٍ مضمرٍ)[٣٩].

٢ـ وقالَ أبو السعودِ محمدُ بنُ محمدٍ العماديُّ(ت٩٨٢هـ):

(جوابُ قَسَمٍ مضمرٍ، أيْ: «وباللّه لسوفَ يَرْضَى»)[٤٠].

٣. وقالَ الآلوسيُّ الكبيرُ شهابُ الدينِ أبو الثَّناءِ محمودُ بنُ عبدِ اللّهِ الحسينيُّ(ت١٢٧٠هـ):

(وقولُهُ تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ جوابُ قسمٍ مضمَرٍ، أيْ: «وباللّهِ لسوفَ يرضَى»)[٤١].

٣. وقال محمدُ بنُ عليٍّ الشوكانيُّ(ت١٢٥٠هـ):

(اللامُ هيَ الموطِّئة للقسمِ، أيْ: «وتاللّهِ لسوفَ يرضى بما نعطيهِ من الكرامةِ والجزاءِ العظيم»)[٤٢].

٤ـ وقالَ العلّامةُ التونسيُّ محمدُ الطاهرُ بنُ عاشورٍ(ت١٩٧٣م):

(وَاللَّامُ: لَامُ الِابْتِدَاءِ لِتَأْكِيدِ الْخَبَرِ)[٤٣].

- فاللامُ ـ في الآيةِ القرآنيةِ الكريمةِ ـ تحتملُ وجهين:

. أنْ تكونَ لامًا واقعةً في جوابِ قسمٍ مقدَّرٍ.

. أنْ تكونَ لامَ ابتداءٍ؛ لتأكيدِ مضمونِ الخبرِ.

الآية الرابعة الأخيرة

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ٥الضحى

١ـ ساقَ أبو القاسم محمودُ بنُ عمرَ، جارُ اللهِ الزمخشريُّ(ت٥٣٨هـ) فَنقلتين في معالجته هذه الآيةَ الكريمةَ، قال:

(فإنْ قلتَ: ما هذه اللامُ الدَّاخلةُ على «سَوْفَ»؟ ـ قلتُ: هيَ لامُ الابتداء المؤكِّدةُ لمضمون الجملة، والمبتدأُ محذوفٌ، تقديرُهُ: «ولأنتَ سوفَ يُعطيكَ»، كما ذكَرنا ـ في ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ ـ أنَّ المعنى: «لأنَا أقسمُ»؛ وذلكَ أنَّها لا تخلو منْ أنْ تكونَ لامَ قسم أو ابتداء، فلامُ القسم لا تَدخلُ على المضارع إلَّا معَ نون التّأكيد، فبقيَ أنْ تكونَ لامَ ابتداء، ولامُ الابتداء لا تدخلُ إلَّا على الجملة من المبتدأ والخبر، فلا بدَّ منْ تقدير مبتدأ وخبر، وأنْ يكونَ أصلُهُ: «ولأنتَ سوفَ يُعطيكَ».

فإنْ قلتَ: ما معنى الجمع بينَ حرفي التّوكيد والتّأخير؟ قلتُ: معناهُ أنَّ العطاءَ كائنٌ لا محالةَ وإنْ تأخَّرَ؛ لما في التَّأخير من المصلحة)[٤٤].

ـ فالزمخشريُّ أوجبَ أنَّها لامُ الابتداء المؤكِّدةُ لمضمون الجملة. لكنَّ ثمَّةَ إشكالًا: هذه اللامُ دخلتْ على حرف يليه فعلٌ مضارعٌ، ولامُ الابتداء مختصَّةٌ بالجملة الاسمية؟! ـ هنا لجأَ الزَّمخشريُّ للتّقدير، فاللامُ دخلتْ على جملة اسميَّة، حُذفَ المبتدأُ فيها؛ استغناءً بضمير الخطاب الدَّال عليه في جملة الخبر، ومسارعةً إلى بيان العقبى والمآل، والتقديرُ: «ولأنتَ سوفَ يُعطيكَ».

ـ وما سطَّرهُ في توجيه قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾١القيامة قوله:

(وقرئ: «لَأُقْسِمُ»، على أنّ اللامَ للابتداء، و«أُقْسِمُ» خبرُ مبتدأ محذوف، معناه: «لَأَنَا أُقْسِمُ». قالوا: ويعضِّدُهُ أنَّهُ في الإمام بغير ألف)[٤٥] ... وهنا أمور:

– قالَ الزجّاجُ(ت٣١٦هـ): (وهذه القراءةُ[٤٦] قليلةٌ، وهيَ ـ في العربيَّة ـ بعيدةٌ[٤٧]. وحكى ابنُ الشَّجريِّ(ت٥٤٢هـ) أنَّ بعضَهمْ ضعَّفَ هذه القراءةَ؛ لأنَّ الألفَ ثابتةٌ في مصحف الإمام[٤٨].

– وحملُ اللام على الابتداء، وتقديرُ مبتدأ محذوف ذكرَهُ ابن جني(ت٣٩٢هـ) في توجيه القراءة، قالَ: (وينبغي أنْ تكونَ هذه اللامُ لامَ الابتداء، أيْ: «لأنا أُقسمُ بيوم القيامة»، وحُذفَ المبتدأ للعلم به، على غرة حال الحذف والتَّوكيد. فهذا هو الذي ينبغي أنْ يُحتملَ عليه هذه القراءةُ)[٤٩].

– وثمَّةَ توجيهٌ آخرُ للقراءة يَحملُ اللامَ على أنَّها لامُ القسم[٥٠]، والفعلُ المضارعُ للحالِ[٥١]، أوْ هوَ للاستقبالِ، وحُذفت النونُ جوازًا[٥٢] كما حُذفت اللامُ جوازًا في قولِ الشاعرِ:

وقتيلِ مُرّةَ أَثْأَرَنَّ فإنَّهُ فِرْعٌ وإنّ أخَاهمُ لمْ يُثأَرِ[٥٣]

أوْ حُذفتْ[٥٤] اعْتِمَادًا عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ خَبَرَ اللَّهِ صِدْقٌ، أوْ حملًا للجملةِ الاسميةِ على الفعليَّةِ.

قال الدماميني(ت٨٢٧هـ): (وإنَّما قدَّرَ البصريونَ هنا مبتدأً؛ لأنَّهمْ لا يُجيزونَ لمنْ قصدَ الحالَ أنْ يقسمَ إلَّا على الجملةِ الاسميةِ، فإذًا قراءةُ ابن كثيرٍ صحيحةٌ، إمَّا على أنْ تُجعل اللامُ داخلةً على الفعلِ الحاليّ، فتمتنعُ النونُ، أوْ تجعلَها داخلةً على مبتدأٍ محذوفٍ، فتمتنعُ النونُ أيضًا، فعلى كلٍّ تقديرٍ لا إشكالَ فيها ألبتَّةَ)[٥٥].

ـ وإنَّما منعَ الزمخشريُّ حملَ اللام ـ في الآيةِ الكريمةِ ـ على أنَّها لامُ القسم؛ لأنَّها لا تَدخلُ إلَّا على المضارعِ المختومِ بنونِ التّوكيد؛ للتَّوكيدِ، ولإعلامِ السَّامعِ أنَّ هذا فعلٌ مستقبلٌ، وليسَ للحالِ[٥٦].

ـ وقدْ تعقّبهُ ابنُ الحاجبِ(ت٦٤٦هـ)؛ لعدمِ وجودِ مبتدأٍ في الجملة، ولا يتأتَّى تقديرُ مبتدأٍ محذوفٍ (على ما اختاره الزمخشري في توجيه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾٥الضحى، وتكونُ اللامُ داخلةً على خبرِه؛ لأنَّهُ فاسدٌ منْ غيرِ جهةٍ[٥٧]:

–فهوَ بمنزلةِ حذفِ جزءِ الكلمة؛ ذلكَ أنَّ اللامَ معَ المبتدأ كـ«قدْ» معَ الفعلِ، و«إنْ» معَ الاسم؛ فكما لا يُحذفُ الفعلُ والاسمُ، وتبقى «قدْ» و«إنْ» بعدَ حذفِهما، فكذلكَ لا تبقى اللامُ بعدَ حذفِ الاسمِ.

–ويؤدي إلى تركيبٍ لا يخفى ضعفُهُ؛ إذ التقديرُ: «لَزيدٌ لَسوفَ يقومُ».

–وفي التقديرِ مخالفةٌ للأصلِ، بالتزامِ إضمارٍ دونَ حاجةٍ.

ـ وكذا تعقَّبَهُ ابنُ هشام(ت٧٦١هـ) بقوله: (وَإِنَّمَا يضعفُ قَولُ الزَّمَخْشَرِيِّ أَنَّ فِيهِ تكلفينِ لغيرِ ضَرُورَةٍ، وهُما تَقْدِيرُ مَحْذُوفٍ، وخلعُ اللَّامِ عَنْ معنى الحَال؛ لِئَلَّا

يجْتَمعَ دَليلا الحَالِ والاستقبالِ ..... وَقَولُهُ: «إنَّ لَامَ الْقسمِ مَعَ الْمُضَارعِ لَا تفارقُ النُّونَ» ـ مَمْنُوعٌ، بل تَارَةً تجبُ اللَّامُ وتمتنعُ النُّونُ....) [٥٨].

٢. وقالَ أمينُ الدينِ أبو عليٍّ الفضلُ بنُ الحسنِ الطبرسيُّ(ت٥٤٨هـ):

(ولمْ يقلْ: «ويُعْطِينَّكَ» ـ وإنْ كانَ جوابَ القسمِ ـ لأنَّ النونَ إنَّما تدخلُ لتؤذنَ بأن اللامَ لامُ القسمِ لا لامُ الابتداءِ، وقدْ حصلَ ههُنَا العلمُ بأنَّ هذه اللامَ للقسمِ لا للابتداءِ؛ لدخولِه على «سوفَ»، ولامُ الابتداءِ لا تدخلُ على «سوفَ»؛ لأنَّ «سوفَ» تختصُّ بالأفعالِ، ولامُ الابتداءِ إنَّما تدخلُ على الأسماءِ) [٥٩].

وقالَ: (واللامُ في ﴿وَلَسَوْفَ﴾ لامُ الابتداءِ المؤكدةُ لمضمونِ الجملةِ، والمبتدأُ محذوفٌ، والتقديرُ: "ولأنتَ سوفَ يعطيكَ"، وليسَ بلامِ القسمِ؛ لأنها لا تدخلُ على المضارعِ إلَّا معَ نونِ التوكيدِ) [٦٠].

وثمَّةَ تعقيبٌ يوجِّهَ التعارضَ عندَ الطبرسيِّ في تفسيريه، ويبيِّنُ سببَ تغيرِ رأيِه:

. حملُهُ اللامَ في «مجمعُ البيانِ» على أنَّها لامُ القسمِ؛ لدخولِ اللامِ على «سوفَ» تابعَ فيه أبا عليٍّ الفارسيَّ(ت٣٧٧هـ) في قولِه: (وكذلك لمْ تدخلْ في ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ ٥الضحى؛ لأنَّ «سَوْفَ» تدلُّ على أنَّها ليستْ بلامِ ابتداءٍ) [٦١].

. لكنْ لأنَّ الطبرسيَّ حينَ ظفرَ بنسخةٍ منْ تفسيرِ «الكشَّاف» لمعاصرِه الزّمخشريِّ(ت٥٣٧هـ) اختصرهُ في تفسيرِه «الكاف الشّاف»، ثمَّ عادَ فجمعَ بينَ تفسيريه ـ «مجمع البيان»، و«الكاف الشاف» بطلبِ ولدِه ـ في تفسيرِه «جوامع الجامع»؛ فتجدُهُ تابعَ الزمخشريَّ في حملِ اللامِ على أنَّها للابتداءِ، وفي التعليلِ لذا.

٣.واكتفى فخرُ الدِّينِ الرازيُّ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرَ(ت٦٠٦هـ) بنقلِ[٦٢] نصِّ الزمخشريِّ، دون تعقيبٍ عليه أو زيادةٍ.

٤.واختصرَهُ ناصرُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ البيضاويُّ(ت٦٨٥هـ)، فقالَ:

(واللامُ للابتداءِ، دخلَ الخبرَ بعدَ حذفِ المبتدأِ، والتقديرُ: «ولأنتَ سوفَ يُعطيكَ»، لا للقَسمِ؛ فإنَّها لا تَدخلُ على المضارعِ إلَّا مَع النُّونِ المؤكِّدةِ، وجمعَها معَ «سوفَ»؛ للدلالةِ على أنَّ الإعطاءَ كائنٌ لا محالةَ، وإنْ تأخَّرَ لحكمةٍ) [٦٣].

٥. وكذا تابعَ الزمخشريَّ أبو حيَّانَ أثيرُ الدين محمدُ بنُ يوسفَ الغرناطيُّ(ت٧٤٥هـ)، قالَ: (وَاللَّامُ فِي ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ لَامُ ابْتِدَاءٍ أُكِّدَتْ مَضْمُونَ الْجُمْلَةِ، وَكَذَا فِي ﴿وَلَسَوْفَ﴾ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ، أَيْ: «وَلَأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ»[٦٤].

٦. وأطالَ النَّفَسَ السَّمينُ الحلبيُّ شهابُ الدّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ (ت٧٥٦هـ) في هذهِ الآيةِ القرآنيّةِ الكريمةِ[٦٥]:

. فرجَّحَ أنّها لامُ القسمِ.

. ونقلَ نصَّ الزمخشريِّ(ت٥٣٨هـ)، مبيِّنًا أنَّ ما ردّدهُ يُختارُ منهُ أنَّها لامُ القسمِ، وذلكَ منْ جهتينِ:

- أنَّهُ استبعدَ لامَ القسمِ؛ لخلوِّ المضارعِ منْ نونِ التوكيدِ. والنَّحويونَ يستثنُونَ - من لزومِ النونِ للمضارعِ بعدَها - ابتداءَ الفعلِ المضارعِ بحرفِ تنفيسٍ.

- وأنَّهُ ذكرَ أنَّ لامَ الابتداءِ تُجرّدُ الفعلَ المضارعَ بعدَها للحاليَّةِ. وهذا متعذّرٌ هنا لتعيُّنِ الفعلِ للاستقبالِ؛ لدخولِ «سَوْفَ» عليهِ.

. ثمَّ نقلَ نصًّا عنْ شيخهِ أبي حيَّانَ لمْ أجدْهُ في تفسيرهِ المطبوعِ، يفيدُ أنَّهُ يجيزُ - في هذهِ اللامِ - أنْ تكونَ اللامَ التي يُتلقَّى بها القسمُ.

٧. ونقلَ محمدُ بنُ عليٍّ الشّوكانيُّ(ت١٢٥٠هـ) التوجيهينِ المحتملينِ في اللامِ:

(قيلَ: هيَ لامُ الابتداءِ، دَخلتْ على الخبرِ لتأكيدِ مضمونِ الجملةِ، والمبتدأُ محذوفٌ، تقديرُهُ: «ولأنتَ سوفَ يُعطيكَ»، وليستْ للقسمِ؛ لأنَّها لا تدخلُ على المضارعِ إلا معَ النُّونِ المؤكِّدةِ، وقيلَ: هيَ للقسَمِ، قالَ أبو عليٍّ الفارسيُّ: ليستْ هذهِ اللامُ هيَ التي في قولكَ: «إنَّ زيدًا لقائمٌ»، بلْ هيَ التي في قولكَ: «لأقومَنَّ»، ونابتْ «سَوْفَ» عنْ إحدى نوني التَّأكيدِ، فكأنَّهُ قالَ: «ولنُعطينَّكَ»، أيْ: إنَّ العطاءَ كائنٌ لا محالةَ، وإنْ تأخَّرَ لِمَا في التَّأخيرِ من المصلحةِ)[٦٦].

٨. وكذا فصَّلَ القولَ[٦٧] فيها الآلوسيُّ الكبيرُ شهابُ الدينِ أبو الثَّناءِ محمودُ الحسينيُّ(ت١٢٧٠هـ)، فبيَّنَ أنَّ - في توجيهِ اللامِ في هذهِ الآيةِ الكريمةِ - قولينِ:

.الأول: صـرّحَ جمـعٌ بأنَّ اللامَ هنـا ابتدائيّةٌ؛ لتأكيدِ مضـمونِ الجملةِ، وبعدَها مبتدأٌ محذوفٌ، أيْ: «ولأنْتَ سوفَ يعطيكَ».

. وأُوردَ عليهِ:

١ـ أنَّ التَّأكيدَ يقتضي الاعتناءَ، والحذفُ ينافيه؛ ولذا قالَ ابنُ الحاجبِ(ت٦٤٦هـ): إنَّ المبتـدأَ المؤكَّـدَ باللام لا يُحذَفُ، وإنَّ الـلامَ معَ المبتدأِ كـ«قدْ» معَ الفعـلِ، و«إنْ» معَ الاسـم، فكمَا لا يُحذَفُ الفعلُ والاسـمُ ويبقيانِ بعد حذفِهما، كذلك لا يُحذَفُ المبتدأُ وتبقى اللامُ[٦٨].

٢.وأنَّهُ يلزمُ التَّقديرُ، والأصلُ عدمُهُ.

٣.وأنَّ الـلامَ لتخليصِ المضـارعِ للحـالِ، وهوَ هنـا مقرونٌ بحـرفِ التَّنفيسِ والتّأخيرِ، فيلزمُ التّنافي.

. وردّ[٦٩] تلكَ الاعتراضاتِ بما يلي:

١. المؤكَّـدُ الجملـةُ، لا المبتـدأُ وحـدَهُ، حتى ينـافيَ تأكيدُهُ حذفَـهُ. وكلامُ ابنِ الحاجـبِ ليسَ حجّةً على الفارسـيِّ(ت٣٧٧هـ) وأمثالِـهِ، و«أنْ» يُحذَفَ معها الاسـمُ كثيرًا، وكذا «قدْ» يُحذَفُ بعدَها الفعلُ.

معَ أنَّهُ لوْ سُـلِّمَ فقـدْ يُفرَّقُ ـ كما قالَ الطَّيبيُّ(ت٧٤٣هـ) ـ بـينَ «أنْ» و«قَدْ» وهذه «اللام» بأنَّهما يؤثّرانِ في المدخولِ عليه معَ التّأكيد، بخلافِ هذه اللام فإنَّ مقتضـاها أنْ تؤكِّدَ مضـمونَ الجملةِ لا غـيرُ، وهوَ باقٍ وإنْ حُذفَ المبتـدأُ[٧٠]، فالقياسُ قياسٌ معَ الفارقِ.

٢.والنَّحْويّونَ يقدّرونَ كثيرًا في الكلام، كمَا قدَّروا المبتدأَ في نحوِ: «قمتُ وأصكُّ عينَهُ»، وهوَ لأجلِ الصّناعةِ دونَ المعنى، كما فيما نحنُ فيهِ.

٣.واللامُ المؤكِّدةُ لا نُسـلِّمُ أنَّها لتخليصِ المضـارعِ للحالِ، بلْ هيَ لمطلقِ التّأكيدِ فقطْ، ويُفهَمُ معها الحالُ بالقرينةِ؛ لأنّهُ أنسـبُ بالتّأكيدِ. وعلى تسـليمِ أنّها لتخليصه للحـالِ يجـوزُ أنْ يُقالَ: إنَّها تجـردتْ للتَّأكيدِ هنا بقرينةِ ذكرِ «سَـوْفَ» بعدَها. والمرادُ

تأكيدُ المؤخَّر، أعني: الإعطاءَ، لا تأكيدَ التَّأخير، فالمعنى أنَّ الإعطاءَ كائنٌ لا محالةَ وإنْ تأخَّرَ لحكمةٍ[٧١].

وعلى تسليم أنَّها للأمرين، ولا تَجرُّدَ - يجوزُ أنْ يُقالَ: نُزِّلَ المستقبلُ - أعني الإعطاءَ الذي يعقبُهُ الرّضا لتحقق وقوعه - منزلةَ الواقع الحالي، نظيرَ ما قيلَ في قوله تعالى: ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ ١٢٤النحل، وقيلَ: يَحسنُ هذا جدًّا فيما نحنُ فيه، على القولِ بأنَّ الإعطاءَ قدْ شُرِعَ فيه عندَ نزولِ الآيةِ، بناءً على أحدِ أوجهها.

.والوجهُ الآخرُ: جزمَ غيرُ واحدٍ بأنَّ هذهِ اللامَ للقسمِ، قالَ الآلوسيُّ: «وهوَ حسنٌ في نظري».

وذكر أنَّهُ اعتُرض بأنَّ لامَ القسم لا تدخلُ على المضارعِ إلّا معَ النُّونِ المؤكِّدة، وأجابَ بأنَّهُ لا يخفى أنَّ هذا أحدُ مذهبينِ للنَّحْويِّينَ، والآخرُ أنَّهُ يُستثنى - منْ لزومِ النّونِ للمضارعِ بعدَ لام القسم - حالاتٌ، منها ما قُرنَ بحرفِ تنفيسٍ، ففي «مغني اللبيبِ»[٧٢] أنَّهُ تَجبُ اللامُ، وتمتَنعُ النونُ فيهِ كقولِه:

فوربِّي لسوفَ يُجزَى الذي أسـ ـلفَهُ المرءُ سيِّئًا أو جميلا[٧٣]

وعليه لا يتّجهُ الاعتراضُ. معَ أنَّ الممنوعَ بدونِ النونِ في جوابِ القسم، لا في المعطوفِ عليهِ - كما هُنا - فإنَّهُ يُغتفرُ في التّابعِ ما لا يُغتفَرُ في المتبوعِ، وإنَّما ذُكرتَ اللامُ تأكيدًا للقسَمِ وتذكيرًا بهِ.

قالَ الآلوسيُّ: (وبالجملة، هذا الوجهُ أقلُّ دغدغةً من الوجهِ السّابق، ولا يُحتاجُ فيهِ إلى توجيه جميعِ اللام مع «سَوْفَ»؛ إذْ لمْ يقلْ أحدٌ منْ علماءِ العربيَّةِ بأنَّ اللامَ القسَميّةَ مخلِّصةٌ المضارعَ للحالِ، كما لا يَخفى على منْ تتَّبعَ كتبَهمْ)[٧٤].

. وبيَّنَ الآلوسيُّ أنَّ ظاهرَ كلامِ أبي الفتحِ إسماعيلَ بنِ مصطفى، الفاضلِ الكلنبوي(ت١٢٠٥هـ) أنَّ اللامَ هنا موضوعٌ للدلالةِ على الحالِ، ووُجِّهَ الجمعُ - على تقديرِ كونِها قَسَميةً في الآيةِ - بأنَّها محمولةٌ على معناها الحقيقيِّ، و«سَوْفَ» محمولةٌ على تأكيدِ الحكم؛ ولذا قامتْ مقامَ إحدى النّونينِ عند الفارسيِّ[٧٥]، وأنَّهُ أطالَ الكلامَ فيما يتعلَّقُ بهذا المقامِ، وأتى - على غزارةِ فضلِهِ - بما يُستبعَدُ صدورُهُ منْ مثلِهِ.

٩. ونقلَ[٧٦] الشَّيخُ التّونسيُّ ابنُ عاشورٍ (ت١٩٧٣م) توجيهَ بعضَ النَّحويينَ للامِ في الآيةِ الكريمةِ:

.فصَاحِبُ «الْكَشَّافِ»[٧٧] جَزَمَ بِأَنَّهُ لَامُ الِابْتِدَاءِ، وَقَدَّرَ مُبْتَدَأً مَحْذُوفًا.

. وَاخْتَارَ ابْنُ الْحَاجِبِ (ت٦٤٦هـ) أَنَّ اللَّامَ لَامُ التَّوْكِيدِ[٧٨]؛ «يَعْنِي: لَامَ جَوَابِ الْقَسَمِ».

. وَوَافَقَهُ ابْنُ هِشَامٍ (ت٧٦١هـ) فِي «مُغْنِي اللَّبِيبِ»[٧٩]، وَأَشْعَرَ كَلَامُهُ أَنَّ وُجُودَ حَرْفِ التَّنْفِيسِ مَانِعٌ مِنْ لُحَاقِ نُونِ التَّوْكِيدِ؛ وَلِذَلِكَ تَجِبُ اللَّامُ فِي الْجُمْلَةِ.

. ثمَّ قالَ الشيخُ ابنُ عاشورٍ: (وَأَقُولُ: فِي كَوْنِ وُجُودِ حَرْفِ التَّنْفِيسِ يُوجِبُ كَوْنَ اللَّامِ لَامَ جَوَابِ قَسَمٍ ـ محلُّ نظرٍ).

وبعدُ، فالجدولُ التالي يوجزُ لنا توجيهَ كتبِ تفسيرِ القرآنِ الكريمِ التي اعتمدَها البحثُ:

م	الكتاب	آية «مريم»	آية «الشعراء»	آية «الليل»	آية «الضحى»
١	معاني القرآن للزجّاج		اللام للتوكيد		
٢	البسيط للواحديّ "عن صاحب النظم"	لام تأكيد حكاية ومجازاة			
٣	الكشاف للزمخشري	لام الابتداء مخلَّصة للتوكيد			لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة
٤	مجمع البيان للطبرسي				لام القسم
٥	جوامع الجامع للطبرسي	لام الابتداء			لام الابتداء

٦	المحرر الوجيز لابن عطية	مجلوبة على الحكاية			
٧	مفاتيح الغيب للرازي				لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة
٨	الجامع للقرطبي	للتأكيد	لام توكيد		
٩	أنوار التنزيل للبيضاوي	لام الابتداء مخلَّصة للتوكيد			اللام للابتداء
١٠	البحر المحيط لأبي حيان	لام الابتداء	لام القسم		لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة
١١	الدر المصون للسمين	لام الابتداء		لام القسم	لام القسم
١٢	تفسير الجلالين	زائدة للتأكيد			
١٣	إرشاد العقل لأبي السعود	لام الابتداء مخلَّصة للتوكيد		لام القسم	
١٤	فتح القدير للشوكاني			موطئة للقسم	احتملهما
١٥	روح المعاني للآلوسي	للتوكيد	احتملهما	لام القسم	احتملهما وحسَّن أنها للقسم
١٦	فتح البيان للقنوجي			موطئة للقسم	
١٧	المنار لرشيد رضا		لام الابتداء		
١٨	التحرير والتنوير لابن عاشور	لام الابتداء	لام القسم	لام الابتداء	احتملهما

ونظـرةً فيما سـاقتْهُ كتبُ التفسـيرِ ومعاني القـرآنِ الكريم ـ في معالجـةِ الآياتِ الأربعةِ التي تضمنتْ تركيبَ «لسوفَ» ـ يتحصّلُ لنا أمورٌ جديرةٌ بالرصدِ:

- انحصرَ توجيهُ لامِ «لسوفَ» في أحدِ المصطلحاتِ التاليةِ:

. للتأكيدِ. . للابتداءِ. . للقسَمِ «جوابَ القسمِ». . موطئةٌ للقسمِ.

- وقدْ فسَّرَ ابنُ عاشورٍ مصطلحَ «للتأكيدِ» - في عبارةِ ابنِ الحاجبِ - بأنَّها لامُ جوابِ القسمِ.

- وفي حملِها على أنَّها «موطئةٌ للقسمِ» تجوُّزٌ في التَّعبيرِ من الشَّوكانيِّ ومنْ تابعَهُ، يخالفُ ما وردَ في بعضِ كتبِ النحوِ[٨٠] في حدِّ اللامِ الموطئةِ بأنَّها الواقعةُ بعدَ شرطٍ وقسمٍ.

- لمْ يقعْ لي تفسيرٌ عُني بتوجيهِ اللامِ في أربعِ الآياتِ كلِّها، إلَّا تفسيرينِ لمتأخرينِ؛ «روحُ المعاني» للآلوسيِّ، و«التحريرُ والتنويرُ» لابنِ عاشورٍ.

- انفردَ الزمخشريُّ «وتابعَهُ البيضاويُّ» بأنَّهُ وجَّهَ موضعينِ من المواضعِ الأربعةِ، حملَ اللامَ في كليهما على أنَّها للابتداءِ.

- وغيرُهُ من المفسرينَ حملَها على الابتداءِ في موضعٍ، وعلى الجوابِ في غيرِهِ، أو احتملَهما.

- على خلافِ المتَّبعِ في كتبِ التفاسيرِ - منْ بسْطِ الكلامِ في تركيبِ ما في السورِ المتقدمةِ التي تضمنتْهُ، ويُحالُ عليهِ - وجدْنا الآلوسيَّ قدْ أطالَ النَّفسَ في توجيهِ تركيبِ «لسوفَ» في آخرِ مواضعِهِ ورودًا في التنزيلِ؛ في الآيةِ الخامسةِ منْ سورةِ الضُّحى.

المبحث الثاني

الآيات في مصنفات إعراب القرآن الكريم

في هذا المبحثِ نسوقُ ما قالَهُ معربو القرآنِ الكريمِ - فيمَا تيسَّرَ لي مطالعتُهُ منْ قديمِ كتبِ الإعرابِ ومُعاصرِها - في «لَسَوْفَ» في الآياتِ القرآنيَّةِ الكريمةِ الأربعةِ حسبَ ترتيبِها في كتابِ اللهِ عز وجلّ:

الآيةُ الأولى قولُهُ تعالى: ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾٦٦مريم

-ذكروا أنَّ اللامَ لامُ الابتداءِ[٨١]، وهيَ للتأكيدِ[٨٢].

ولأنَّ تأكيدَ البعثِ لا يتأتَّى على لسانِ منكرِهِ ـ زادَ التّبريزيُّ(ت٥٠٢هـ): (ويُقالُ: إنَّ اللامَ ليستْ بلامِ تأكيدٍ؛ لأنَّ قائلَ هذا إنَّما قالَهُ على جهةِ الإنكارِ،ولكنَّ اللامَ حكايةٌ، كأنَّهُ قيلَ لهُ: «لسوفَ تُخرَجُ»، فقالَ ـ على جهةِ الإنكارِ والتَّعجُّبِ، حكايةً لذلكَ اللفظِ ـ ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا!﴾)[٨٣]. وما سطَّرَهُ التبريزيُّ يوافقُ ما نقلَهُ[٨٤] الواحديُّ(ت٤٦٨هـ) عنْ صاحبِ النظمِ، وتابعَهُ فيهِ غيرُهُ.

وتبعَ ابنُ أبي العزِّ الهمذانيُّ(ت٦٤٣هـ) الزمخشريَّ(ت٥٣٨هـ) في توجيههِ[٨٥] قولَهُ تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾٥الضحى؛ فبيَّنَ[٨٦] أنَّ اللامَ ـ في آيةِ سورةِ «مريمَ»ـ لامُ الابتداءِ الموكدةُ لمضمونِ الجملةِ، والمبتدأُ محذوفٌ، تقديرُهُ: «لأنَا سوفَ أَخْرجُ»، وردَّ كونَها «لامَ جوابِ قسمٍ محذوفٍ»؛ لأنَّ لامَ القسمِ لا تدخلُ على الفعلِ المضارعِ إلَّا معَ نونِ التَّأكيدِ.

- ونصَّ صاحبُ «إعرابُ القرآنِ الكريمِ الميسَّرُ»[٨٧]على أنَّ اللامَ رابطةٌ لجوابِ قسَمٍ مقدَّرٍ.

الآيةُ الثانيةُ قولُهُ تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾٤٩الشعراء

- ذكر بعضُهمْ[٨٨] أنَّ اللامَ موطِّئةٌ للقسَمِ.

-وذكرَ آخرونَ[٨٩] أنَّ اللامَ لامُ القسمِ لقسمٍ مقدرٍ، والتقديرُ: أُقسمُ بعزَّتي[٩٠].

- وذكرَ غيرُهمْ[٩١] أنَّها لامُ الابتداءِ، التي تفيدُ التّوكيدَ.

الآيةُ الثالثةُ قولُهُ تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾٢١الليل

- اللامُ لامُ الابتداءِ؛ لتأكيدِ الخبرِ[٩٢].

- اللامُ واقعةٌ في جوابِ قسمٍ مضمرٍ، والتقديرُ: «واللّهِ لسوفَ يرضى»[٩٣]. بلْ جعلَ بعضُهم[٩٤] الواوَ «حرفَ قسمٍ وجرٍّ»!

-واحتملَ بعضُهم[٩٥] الوجهينِ.

الآيةُ الرابعةُ الأخيرةُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾٥الضُّحَى

-ذكروا أنَّ اللامَ لامُ الابتداءِ[٩٦]، وهيَ مؤكِّدةٌ[٩٧] لمضمونِ الجملةِ، والتقديرُ: «ولأنتَ سوفَ يُعطيكَ ربُّكَ فترضى».

- وجعلَ بعضُهم اللامَ واقعةً في جوابِ قسمٍ[٩٨]. وإنَّما لمْ تدخل النُّونُ على الفعلِ بعدَها؛ استغناءً بـ«سَوْفَ»، يقولُ الأنباريُّ(ت٥٧٧هـ):

(النّونُ إنّما تدخلُ معَ اللام؛ لتدلَّ على أنَّ اللامَ لامُ قسَمٍ، لا لامُ ابتداءٍ، فلمَّا دخلتْ على «سَوْفَ» عُلمَ أنّها لامُ قَسَمٍ، لا لامُ ابتداءٍ؛ لأنَّ لامَ الابتداءِ لا تدخلُ على «سَوْفَ»)[٩٩].

وهوَ بذا مشايعٌ للفارسيِّ(ت٣٧٧هـ) في قولِه:

(لمْ تدخلِ النُّونُ هنا؛ لأنَّها إنَّما تدخلُ لتفصلَ هذه اللامَ منْ لام الابتداء، ولا حاجةَ هنا إلى الفصلِ لارتفاعِ اللبسِ؛ لأنَّ الدَّاخلةَ عليها اللامُ هنا فضلةٌ، ولامُ الابتداءِ لا تدخلُ الفضلاتِ، وكذلكَ لمْ تدخلْ في ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾؛ لأنَّ «سَوْفَ» تدلُّ على أنَّها ليستْ بلامِ ابتداءٍ، فالموضعانِ سواءٌ)[١٠٠].

- وحكى بعضُهم الوجهينِ، قالَ:

(وأمَّا اللامُ في قولِه جلّ ذكره ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ففيه وجهانِ، أحدُهما: «ولأنَّهُ سَوْفَ يُعْطِيكَ»، وذلكَ أنَّها لا تخْلو منْ أنْ تكونَ لامَ القسمِ، أوْ لامَ ابتداءٍ، فلا يجوزُ أنْ تكونَ لامَ قسمٍ؛ لأنَّ لامَ القسمِ لا تدخلُ على المضارعِ إلَّا معَ نونِ التَّأكيدِ، فإذا لمْ تكنْ لامَ القسمِ فيجبُ أنْ تكونَ لامَ الابتداءِ، ولامُ الابتداءِ لا تكونُ إلَّا على الجملةِ منَ المبتدأِ والخبرِ، فهذا لا بُدَّ منْ تقديرِ مبتدأٍ وخبرٍ،وأنْ يكونَ أصلُهُ: «ولأنَّهُ سَوْفَ يُعْطِيكَ». والثاني: لامُ القسمِ، وإنَّما لمْ يقلْ جلَّ ذكرُهُ «يُعْطِيَنَّكَ»؛ لأنَّ النّونَ إذا دخلتْ فإنَّها تَدخلُ إعلامًا بأنَّ اللامَ لامُ الابتداءِ، وقدْ عُلمَ هُنا أنَّها لامُ القسمِ دونَ الابتداءِ؛ لدخولِها على «سَوْفَ»، ولامُ الابتداءِ لا تدخلُ على «سَوْفَ». فاعرفْهُ واختَرْ ما شئتَ منهما)[١٠١].

م	الكتاب	آية «مريم»	آية «الشعراء»	آية «الليل»	آية «الضحى»
١	إعراب القرآن للنحاس		لام التوكيد		
٢	إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه			اللام توكيد	لام التأكيد
٣	البيان للأنباري				لام قسم
٤	الفريد للهمذاني	لام ابتداء المؤكدة لمضمون الجملة			احتملهما
٥	إعراب القرآن للأنصاري				لام ابتداء
٦	إعراب القرآن للدرويش	لام ابتداء	موطئة	لام قسم	احتملهما
٧	الجدول لصافي	لام ابتداء	لام قسم	لام قسم	لام قسم
٨	إعراب القرآن للإبراهيم	لام قسم	موطئة	لام قسم	لام قسم
٩	تفسير القرآن وإعرابه للدرة	لام الابتداء مفيدة للتوكيد	لام قسم	لام قسم	لام ابتداء
١٠	الإعراب المفصل لبهجت	اللام للتوكيد	لام ابتداءللتوكيد	لام ابتداءللتوكيد	لام ابتداءالمؤكدة لمضمون الجملة
١١	الياقوت والمرجان لبارتجي	لام ابتداء حرف توكيد		لام قسم	لام قسم
١٢	إعراب القرآن لياقوت	لام ابتداء	لام قسم	احتملهما	لام ابتداء
١٣	إعراب القرآن للدعاس	لام ابتداء	موطئة	لام قسم	لام ابتداء
١٤	المجتبى للخراط	اللام للتوكيد		لام قسم	لام قسم

وبعدُ، فالجدولُ التالي يوجزُ لنا توجيهَ مصنّفات إعرابِ القرآنِ الكريمِ التي اعتمدَها البحثُ:

وبالنظرِ فيمَا تقرَّرَ في مصنفات إعرابِ القرآنِ الكريمِ التي تيسَّرتْ للبحثِ يتبيّنُ لنا ما يلي:

- انحصرَ توجيهُ لامِ «لسوفَ» في أنَّها:

. للتأكيدِ. . للابتداءِ. . للقسمِ «جوابَ القسمِ». . موطئةٌ للقسمِ.

- فيما وقعَ لي منْ مصنفاتِ تفسيرِ وإعرابِ كتابِ اللّه عزّ وجل تفرَّدَ صاحبُ

«إعـرابُ القرآنِ الكريمِ الميسَّـرُ»[١٠٢] ـ بالنصّ على أنَّ اللامَ ـ في آيةِ سـورةِ «مريمَ» ـ رابطةٌ لجوابِ قسَمٍ مقدَّرٍ، ونصَّ الباقونَ على أنَّها لامُ ابتداءٍ.

وهوَ تفرُّدٌ عجيبٌ؛ لأنَّ العبارةَ ـ كما يشـيرُ السـياقُ ـ مقـولٌ لكافرٍ باللّه، جاحدٍ للبعثِ بعدَ الموتِ، فأنَّى لهُ أنْ يقسمَ على البعثِ؟! إنَّ فريقًا منْ أهلِ العلمِ تأولوا التأكيدَ المصاحبَ للامِ الابتداءِ على محاكاةِ المخاطَبِ، استهزاءً وتندرًا. منْ هنَا فحملُها على جوابِ قسمٍ مقدَّرٍ بعيدٌ، واللّه أعلمُ بمرادِهِ.

ولذلكَ حملَ الأسـتاذُ: محمودُ صـافي(ت١٩٨٥م) اللامَ على أنَّها لامُ القسـمِ في الآياتِ الكريمةِ، باسـتثناءِ آيةِ سورةِ «مريمَ»، حملَ لامَها على أنَّها لامُ الابتداءِ[١٠٣]، ويظهرُ لي أنَّه اختارَ ذلكَ؛ تجنبًا لقسمِ جاحدِ البعثِ على أنَّهُ سوفَ يُخرَجُ حيًّا!

– اتحـدَ التركيـبُ في أربعِ الآياتِ الكريمةِ «لَسَـوْفَ»، ومعَ ذلـكَ قدْ تجدُ المعربَ نفسَـهُ يُخالفُ بينَها في توجيهِ لامِ «سوفَ»، فيعربُها لامَ ابتداءٍ في موضعٍ، ولامَ قسمٍ في موضعٍ.

وهنا نلفتُ النظرَ إلى أنَّ الأسـتاذَ: محيي الديـن الدرويش(ت١٩٨٢م) قدْ حملَ اللامَ ـ في آيةِ سورةِ «مريمَ» ـ على أنَّها لامُ الابتداءِ، وفي آيةِ سورةِ «الشعراءِ» على أنَّها الموطئةُ، وفي آيةِ سـورةِ «الليلِ» على أنَّها لامُ القسـمِ، وذكرَ ـ في آيةِ سـورةِ «الضحى» ـ أنَّها لامُ الابتداءِ، ونقلَ كلامَ الزمخشـريِّ(ت٥٣٨هـ)، ثمَّ بصـيغةِ التّمريضِ «قيلَ» ـ كمَا يلقبُها المحدِّثونَ ـ ذكرَ أنَّها لامُ القسمِ، قالَ:

(وقيلَ: اللامُ للقسـمِ، وأنهُ إذا حصـلَ فصـلٌ بينَ اللامِ والفعـلِ امتنعت النّونُ، وثبتتْ لامُ القسمِ)[١٠٤].

ويلفـتُ النظرَ أنهُ كانَ قدْ خصَّ لامَ الابتـداءِ بفائدةٍ بيَّنَ فيها أنَّها تفيدُ أمرينِ: توكيدَ مضمونِ الجملةِ، وتخليصَ المضارعِ للحالِ، ثمَّ ذكرَ مواضعَها، وختمَها بقولِهِ:

(ومـنْ لامِ الابتداءِ: لامُ القسـمِ، نحوُ: ﴿لَيُنْبَـذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾٤الهمزة، ونحوُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فترضى﴾٥الضحى)[١٠٥]!

– التزمَ توجيهًا واحدًا للامِ في أربعِ الآياتِ الكريمةِ معربانِ، هما:

١.د. محمد الطيب الإبراهيم(ت٢٠١٥م)، حملَها على أنَّها لامُ القسمِ.

٢.الأستاذُ: بهجت صالح، حملَها على أنَّها لامُ الابتداءِ، مكتفيًا ـ في آيةِ سورةِ «مريمَ» ـ ببيانِ دلالتِها، فقالَ: «اللامُ للتوكيدِ» .

- انفردَ الشيخُ: محمد الدرة(ت٢٠٠٧م) بقولِه:

(«سوفَ» حرفُ استقبالٍ صرفتْهُ اللامُ للحالِ)[١٠٦]؛ فتجاوزَ الإشكالَ الذي واجهَ بعضَ المفسِّرينَ والمُعْربينَ في حملِهم اللامَ على الابتداءِ، وانتصرَ ـ دونَهمْ ـ للامِ على «سوفَ»، قالَ ابنُ المنيِّرِ السّكندريُّ(ت٦٨٣هـ):

(وإنَّما جُرّدت اللامُ منْ معناها لتلائمَ «سوفَ»، دونَ أنْ تُجرَّدَ «سوفَ» لتلائمَ اللامَ؛ لأنَّهُ لوْ عُكسَ هذا للَغتْ «سوفَ»؛ إذْ لا معنى لها سوى الاستقبالِ. وأمَّا اللامُ إذا جُرِّدتْ من الحالِ بقيَ لها التوكيدُ، فلمْ تَلْغُ، فتعيّنَ، واللهُ أعلمُ)[١٠٧].

-حملَ بعضُ المُعربينَ المعاصرينَ[١٠٨]اللامَ في قولِه تعالى:﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾٤٩الشعراءعلى أنَّها الموطئةُ. واللامُ الموطِّئةُ ـ في كتبِ النحوِ ـ خاصةٌ باجتماعِ الشرطِ والقسمِ، وهوَ ما تجدُهُ مسطرًا ـ كذلكَ في غيرِ موضعٍ ـ عندَ بعضِ[١٠٩] هؤلاءِ المُعربينَ!

المبحث الثالث الأخير

قراءات قرآنية للآيات الكريمة

يتضمن هذا المبحثُ إشارةً إلى ما تضمنتْهُ بعضُ كتبِ القراءاتِ والتّفسيرِ وإعرابِ القرآنِ الكريمِ منْ قراءةٍ لبعضِ هذهِ الآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ تتّصلُ ببحثِنا، وهيَ:

قولُهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾٦٦مريم

- قرأهَا الصحابيُّ الجليلُ أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ الهذليُّ المكيُّ(ت٣٢هـ)، والتابعيُّ الكبيرُ طلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ الهمدانيُّ الكوفيُّ(ت١١٢هـ) «سَأُخْرَجُ»[١١٠]؛ بسينِ الاستقبالِ المجرَّدةِ من اللامِ.

- وحكوا[١١١] أنَّ طلحةَ بنَ مصرفٍ قرأها بإثباتِ اللامِ «لَسَأُخْرَجُ».

قولُهُ تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾٥الضحى

- قرأها ابنُ مسعودٍ رضي اللّه عنه: «وَسَيُعْطِيكَ»[١١٢].

- وقرأها ابنُ مسعودٍ رضي اللّه عنه:«وَلَسَيُعْطِيكَ»[١١٣]. يقولُ الفرّاءُ(ت٢٠٧هـ):

(وهيَ في قراءة عَبْدِ اللّه:«وَلَسَيُعْطِيكَ»، والمعنى واحدٌ، إلَّا أنَّ «سوفَ» كثُرتْ في الكلام، وعُرِفَ موضعُها، فتركَ منها الفاءُ والواوُ، والحرفُ إذا كثرَ فربَّما فُعلَ به ذلكَ، كما قيلَ: أيْشِ تقولُ؟ وكما قيلَ: قمْ لاباكَ، وقمْ لا بَشانئكَ؛ يريدونَ: لا أبَا لك، ولا أبَا لشانئكَ)[١١٤].

وهذه القراءةُ تردُّ قولَ الأنباريِّ(ت٥٧٧هـ):

(إنَّما دخلت اللامُ على «سَوْفَ» دونَ السّينِ؛ لأنَّ «سَوْفَ» أشبهت الاسمَ؛ لأنَّها على ثلاثةِ أحرفٍ، بخلافِ السِّينِ فإنَّها على حرفٍ واحدٍ)[١١٥].

ورأى الرازيُّ(ت٦٠٦هـ) أنَّ القراءةَ ﴿وَلَسَوْفَ﴾ مشاكلةٌ لقولِ المردودِ عليهمْ بالآياتِ، قالَ: (مَا الْفَائِدَةُ في قَوْلِه: ﴿وَلَسَوْفَ﴾، وَلِمَ لَمْ يَقُلْ: وَسَيُعْطِيكَ رَبُّكَ؟ ــ الْجَوَابُ: فيه فَوَائِدُ، إحْدَاهَا: أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَا قَرُبَ أَجَلُهُ، بَلْ يَعِيشُ بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانًا، وَثَانِيهَا: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا قَالُوا:«وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ»، فَاللَّه تَعَالَى رَدَّ عَلَيْهِمْ بِعَيْنِ تِلْكَ اللَّفْظَةِ، فَقَالَ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾٣الضحى، ثُمَّ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: «سَوْفَ يَمُوتُ مُحَمَّدٌ»، فَرَدَّ اللَّه عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ فَقَالَ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ربك فترضى﴾٥الضحى)[١١٦].

ـ وجوابُ فخرِ الدينِ نتاجُ أمرينِ:

.أولُهما أنَّ «سوفَ» تشيرُ إلى مستقبلٍ أبعدَ زمنًا ممَّا تفيدُهُ السِّينُ. وهذا زعمٌ لا يُسلَّمُ لهُ بهِ.

.والآخرُ أنَّهُ افترضَ قولَ المشركينَ، ثم ذكرَ أنَّ الآيةَ شاكلتْهُ، ولا أدري ما الذي يَمنعُ أنْ يكونَ المشركونَ ـ على هذا التأويلِ ـ قدْ قالوا: «سيموتُ محمدٌ»؟!

ملحق البحث

جدول يبيّن توجيهَ مصادرِ البحث للَام «لَسَوْفَ» في القرآن الكريم

التوجيه	آية سورة مريم	الشعراء	الليل	آية سورة الضحى
لام الابتداء	الكشاف، وجوامع الطبرسي، وأنوار البيضاوي، والبحر المحيط، والدر المصون، وإرشاد أبي السعود، والتحرير والتنوير.	المنار لرشيد رضا	التحرير والتنوير	الكشاف، وجوامع الطبرسي، ومفاتيح الغيب، وأنوار البيضاوي، والبحر المحيط.
	الفريد للهمذاني، والدرويش، والجدول لصافي، والدرة، والياقوت لبارتجي، ود.ياقوت، والدعاس.	المفصل لبهجت	المفصل لبهجت	إعراب الأنصاري، والدرة، والمفصل لبهجت، ود. ياقوت، والدعاس.
لام القسم		البحر المحيط، والتحرير والتنوير.	الدر المصون، وإرشاد أبي السعود، وروح الألوسي .	مجمع البيان للطبرسي، والدر المصون.
	د.الإبراهيم	الجدول لصافي، والدرة، ود.ياقوت.	الدرويش، والجدول لصافي، ود.الإبراهيم، والدرة، والياقوت لبارتجي، والدعاس، ود.الخراط.	البيان للأنباري، والجدول لصافي، ود.الإبراهيم، والياقوت لبارتجي، ود.الخراط.

احتمال اللامين		روح الألوسي.		فتح القدير للشوكاني، وروح الألوسي(وحسَّن أنها للقسم)، والتحرير والتنوير.
			د.ياقوت.	الفريد للهمذاني، والدرويش.
اللام للتأكيد	البسيط للواحدي، والمحرر الوجيز، والجامع للقرطبي، وتفسير الجلالين، وروح الألوسي.	معاني الزجاج، والجامع للقرطبي.		
	المفصل لبهجت، ود.الخراط.	إعراب النحاس.	٣٠سورة لابن خالويه.	٣٠سورة لابن خالويه.
موطئة للقسم			فتح القدير للشوكاني، وفتح البيان للقنوجي	
		الدرويش، ود. الإبراهيم، والدعاس.		

*****

الخاتمة وأهم النتائج

الحمدُ للهِ كرَّمَنا بالنَّظرِ في كتابِهِ، والصلاةُ والسَّلامُ على خيرِ رسلِهِ وأحبابِهِ، وبعدُ:

فقدْ درسَ البحثُ تركيبًا وردَ في كتابِ اللّه عزّ وجل، حيثُ تدخلُ لامٌ على حرفِ التنفيسِ «سوفَ»، الذي يليهِ فعلٌ مضارعٌ، تتبَّعَ البحثُ توجيهَ المفسِّرينَ ومعربي القرآنِ الكريمِ للآياتِ القرآنيَّةِ الكريمةِ الأربعةِ التي اشتملتْ على هذا التَّركيبِ، وفيما يلي أهمُّ ما خلصَ إليهِ البحثُ منْ نتائجَ على أصعدة متنوعة:

. على صعيدِ الصحةِ:

– التركيبُ الذي التزمَهُ القرآنُ الكريمُ في الآياتِ الكريمةِ الأربعةِ: اللام + «سوف» + فعل مضارع مجرد من نون التوكيد.

– سجلتْ بعضُ القراءاتِ القرآنيّةِ الشاذّةِ معاقبةَ السينِ لـ«سوفَ» في هذا التركيبِ، وسوَّغَهُ بعضُ النَّحْويينَ.

– ولمْ يردْ نحوُ: «لسوفَ تعلمنَّ» بنونِ توكيدٍ، واعتلّوا لذلكَ بأنَّ «سوفَ» قرينةٌ لفظيَّةٌ صريحةٌ تصرفُ الفعلَ المضارعَ إلى الاستقبالِ، فلا حاجةَ إلى نونِ التوكيدِ.

– ولذلكَ لا يتأتَّى نحوُ: «لسوفَ تعلمونَ الآنَ»، و«إنَّ زيدًا سوفَ يقومُ الآنَ»، و«إنَّ زيدًا لينْطلقَنَّ الآنَ»؛ لأنَّهُ يَجمعُ بينَ معنيينِ متضادينِ، بخلافِ نحوِ: «إنَّ زيدًا لينطلقُ الآنَ».

. على صعيدِ الدلالة:

– اتفقوا على أنَّ هذهِ اللامَ تفيدُ تأكيدَ مضمونِ الجملةِ، سواءً حُملتْ على أنَّها لامُ الابتداءِ، أوْ أنَّها لامُ جوابِ القسمِ.

– ولذلكَ تأوَّلَ بعضُهمْ قولَهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ٦٦مريم على الطيِّ والإيجازِ بالحذفِ، كأنَّهُ قيلَ لجاحدِ البعثِ: «لسوفَ تُخرجُ بعدَ الموتِ حيًّا»، فقالَ ما سجلتْهُ الآيةُ الكريمةُ حاكيًا ومعارضًا لكلامِ مخاطِبِهِ على سبيلِ التندّرِ، والإنكارِ والاستبعادِ.

– ويلفتُ النظرَ ـ في سياقِ سورتي الأعرافِ والشعراءِ ـ أنَّ ثمَّةَ حوارًا حكاهُ القرآنُ بينَ فرعونَ والسّحرةِ، وانتهت القصةُ بوعيدٍ شديدٍ منْ فرعونَ لهؤلاءِ المارقينَ؛

لفظُهُ في سورة الأعراف: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾١٢٣، ١٢٤ ،وفي سورة الشعراء: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾٤٩.

وإنَّكَ إذا تأملْتَ صدرَ الحوارِ ـ في السُّورتين ـ تشعرُ أنَّ آيةَ سورة «الشعراء» تتطلبُ اللامَ معَ «سوفَ» دونَ آية سورة «الأعراف»؛ ففي سورة «الشعراء» أظهرَ المخاطَبَ بالفعلِ «قالوا»؛ إنَّهُ فرعونُ نفسُهُ: ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ﴾؛ ليُظهرَ ثقةَ السَّحرةِ وتدللَهمْ على فرعونَ ذاتِه، الأمرُ الذي منحَهُ الثّقةَ الكاملةَ في النصرِ على خَصمِه والقدرةِ على قهرِه، وبقيت القضيةُ في تحصيلِ الأجرِ والعطايا والمنحِ والهباتِ، الأمرُ الذي استدعى تأكيدًا منْ فرعونَ للوعدِ، واقرأ: ﴿فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾٤١، ٤٢الشعراء. منْ هنا كانَ السّياقُ مستدعيًا للتأكيدِ باللامِ في الوعيدِ والتهديدِ.. بخلافِ سورة «الأعراف»، فلمْ ينصّ على المخاطَبِ، وكانَ تأكيدُ فرعونَ أقلَّ درجةً في الوعدِ، وفي الوعيدِ، واقرأ: ﴿وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾١١٣، ١١٤الأعراف.

.على صعيدِ الآراءِ والتوجيهاتِ:

– نسبةُ الشيخِ ابنِ عاشورٍ إلى الزمخشريِّ نفيَ حملِ اللامِ على الابتداءِ في قولِه تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ٦٦مريم ـ جانبَها الصوابُ؛ فنصُّ الزمخشريِّ صريحٌ في أنَّها لامُ الابتداءِ تجردتْ لأحدِ معنييها «التوكيدِ».

–حملَ الطبرسيُّ اللامَ في قولِه تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾٥الضحى، على أنّها لامُ القسمِ في تفسيرِه «مجمعُ البيانِ»، ثمَّ تابعَ الزمخشريَّ في حملِها على لامِ الابتداءِ في تفسيرِه «جوامعُ الجامعِ».

– نقلَ السّمينُ الحلبيُّ نصًّا عنْ شيخِه أبي حيَّانَ من «البحرُ المحيطُ» لمْ أجدْهُ في تفسيرِه المطبوعِ، يفيدُ أنَّهُ يجيزُ ـ في هذه اللامِ ـ أنْ تكونَ اللامَ التي يُتلقَّى بها القسمُ.

– انحصرَ توجيهُ لامِ «لسوفَ» في الآياتِ الكريمةِ ـ في التّفاسيرِ وكتبِ إعرابِ

القـرآنِ الكريمِ ـ في أحد المصـطلحاتِ الأربعـةِ التاليةِ: للتأكيدِ.. للابتداءِ .. للقسَـمِ «جوابَ القسمِ» .. موطئةٌ للقسمِ.

– لمْ يقـعْ لي تفسـيرٌ عُني بتوجيهِ الـلامِ في أربعِ الآياتِ كلِّها، إلَّا تفسـيري «روحُ المعاني»، و«التحريرُ والتنويرُ».

– انفردَ الزّمخشـريُّ «وتابعَهُ البيضاويُّ» بأنَّهُ وجَّهَ موضعينِ من المواضعِ الأربعةِ، حملَ اللامَ في كليهما على أنَّها للابتداءِ. وغيرُهُ من المفسـرينَ حملَها على الابتداءِ في موضعٍ، وعلى الجوابِ في غيرِهِ، أو احتملَهما.

– على خلافِ المتَّبعِ في كتبِ التفاسـيرِ ـ منْ بسْـطِ الكلامِ في تركيبِ ما في السورِ المتقدمةِ التي تضمنتْهُ، ويُحالُ عليهِ ـ وجدْنا الآلوسيَّ قدْ أطالَ النَّفسَ في توجيهِ تركيبِ «لسوفَ» في آخرِ مواضعِهِ ورودًا في التنزيلِ، في الآيةِ الخامسةِ منْ سورةِ الضُّحى.

– فيما تيسّـرَ لي منْ مصنفاتِ تفسـيرٍ وإعرابِ كتابِ اللّه عزّ وجل تفرَّدَ صاحبُ «إعرابُ القرآنِ الكريمِ الميسَّـرُ» ـ بالنصِّ على أنَّ اللامَ ـ في قولِ ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَـوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ٦٦مريم ـ رابطةٌ لجوابِ قسَـمٍ مقدَّرٍ، ونصَّ الباقونَ على أنَّها لامُ ابتداءٍ. وهوَ تفرُّدٌ عجيبٌ!

ولذلكَ حملَ الأستاذُ: محمودٌ صافي اللامَ على أنَّها لامُ القسمِ في الآياتِ الكريمةِ، باسـتثناءِ آيةِ سـورةِ «مريمَ»، حملَ لامَهـا على أنَّها لامُ الابتداءِ، ويظهـرُ لي أنَّه اختارَ ذلكَ؛ تجنبًا لقسمٍ جاحدٍ البعثِ على أنَّهُ سوفَ يُخرَجُ حيًّا!

–اتّحـدَ التركيـبُ في أربعِ الآيـاتِ الكريمةِ «لَسَـوْفَ»، ومعَ ذلكَ قدْ تجـدُ المعربَ نفسَـهُ يُخالفُ بينَها في توجيهِ لامِ «سوفَ»، فيعربُها لامَ ابتداءٍ في موضعٍ، ولامَ قسمٍ في موضـعٍ، وهنا نلفتُ النظرَ إلى أنَّ الأسـتاذَ: محيي الدين الدرويش قدْ حملَ اللامَ ـ في آيةِ سـورةِ «مريمَ» ـ على أنَّها لامُ الابتداءِ، وفي آيةِ سـورةِ «الشـعراءِ» على أنَّها الموطّئةُ! وفي آيةِ سـورةِ «الليلِ» على أنَّها لامُ القسـمِ، وذكرَ ـ في آيةِ سـورةِ «الضـحى» ـ أنَّها لامُ الابتداءِ، ونقلَ كلامَ الزمخشـريِّ(ت٥٣٨هـ)، ثمَّ بصيغةِ التّمريضِ «قيلَ» ـ كمَا يلقبُها المحدِّثونَ ـ ذكرَ أنَّها لامُ القسمِ.

- التـزمَ توجيهًـا واحدًا لـلام في أربع الآيـات الكريمة معربـان، هما: د. محمد الطيب الإبراهيم، حملَها على أنَّها لَامُ القسـم، والأسـتاذُ: بهجت صالح، حملَها على أنَّها لامُ الابتداءِ، مكتفيًا ـ في آيةِ سورةِ «مريمَ» ـ ببيانِ دلالتها، فقالَ: «اللامُ للتوكيد» .

- انفردَ الشـيخُ: محمد الدرّة بزعم أنَّ «سـوفَ» حرفُ اسـتقبالٍ صـرفتْهُ اللامُ للحالِ، فتجاوزَ الإشـكالَ الذي واجهَ بعضَ المفسِّـرينَ والمُعْربـينَ في حملِهم اللامَ على الابتداءِ، وانتصرَ ـ دونَهمْ ـ لـلّام على «سوفَ».

-حمـلَ بعضُ المُعربينَ المعاصـرينَ اللامَ في قوله تعالى: ﴿فَلَسَـوْفَ تَعْلَمُونَ﴾٤٩ الشـعراء، على أنَّها الموطئةُ. واللامُ الموطِّئةُ ـ في كتبِ النحوِ ـ خاصـةٌ باجتماعِ الشرطِ والقسمِ، وهوَ ما تجدُهُ مسطرًا ـ كذلكَ في غيرِ موضعٍ ـ عندَ بعضِ هؤلاءِ المُعربينَ!

- وردَ تركيبُ «لسـوفَ» في أبياتٍ شـعريَّةٍ عدّةٍ سُقتُ طائفةً منها، بعضُها لشعراءَ جاهليينَ.

. وبقيتْ للباحث كلمتان:

الأولـى أنَّ الـلامَ ـ في تلك الآياتِ القرآنيـة الكريمةِ ـ تفيدُ التّوكيـدَ، فإذا قدرْتَ قسـمًا كانتْ واقعـةً في جوابـه، وإلّا فهيَ لامُ الابتـداءِ، واللهُ أعلمُ بمرادِه. وأسـلافُنا العلمـاءُ حينَ احتملـوا هذينِ الوجهينِ لمْ يفتئتوا على كتـابِ اللهِ تعالى، بقدرِ ما كانوا حريصينَ على تدبُّرِ كلامِه، ومحاولةِ تبيُّنِ مرادِه.

والأخرى أنّ تركيبَ «لسـوفَ» ليس تركيبًا قرآنيًّا، انفرد به كتاب الله عزّ وجل، وإنما هو تركيب سائر في كلام العرب، ولقدْ وردَ في أبياتٍ شعريَّةٍ عدّةٍ، منها:

. ولقد أَرَى أنّ البكاءَ سـفاهةٌ ولسـوفَ يُولَعُ بالبُكا من يُفْجَعُ[١١٧]

. يَبكى خَلاوةُ أنْ يفارقَ أُمَّـه ولسـوفَ يلقاها لَدَى المتهوِّم[١١٨]

. فلسـوفَ تنَساها وتعَلمُ أنَّها تَبَعٌ لآبيةِ العِصـابِ زَبُونِ[١١٩]

. وَلَسَوْفَ يَحْبِسُـكَ المَضِيـ ـقُ بِنَا فَتُعْتَصَرُ اعْتِصَارَهْ

ولسـوفَ تكلحُ للأسنّـ ـةِ كلحةً غيرَ افترارهْ[١٢٠]

. سَائِلْ أَمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى وَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا [١٢١]

. يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ لَسَوْفَ نَحْيَا وَكَيْفَ لِقَاءُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ؟ [١٢٢]

. ولَرُبَّ مَمْنُوعِ العَرَا ولَسَوْفَ يُنْبَذُ بِالعَرَاءِ [١٢٣]

. فَلَسَوْفَ أُخْبِرُكُمْ بِحَقٍّ فَافْهَمُوا وَالْحُكْمُ حِينًا قَدْ يَجُورُ وَيَعْدِلُ [١٢٤]

. فَأُقْسِمُ بِالّذِي قَدْ كَانَ رَبّي وَأَنْصَابٍ لَدَى الْجَمَرَاتِ مُغْرِ

لَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا حَسْبِي إِذَا مَا تَبَدّلَت الْجُلُودُ جُلُودَ نِمْرِ [١٢٥]

. هلَّا بقيتَ لسدٍّ فاقتنا أبدًا وكانَ لغيركَ التّلفُ

فلقدْ خلفْتَ خلائفًا سلفوا ولسوفَ يُعوزُ بعدكَ الخلفُ [١٢٦]

ـ ويسعُنا التعقيبُ على هذهِ الأبياتِ بما يلي:

– تركيبُ «لسوفَ» وردَ في الشِّعرِ العربيّ، فليسَ قصرًا على كتابِ اللهِ عزّ وجل.

–غالبُ الأبياتِ منْ بحرِ الكاملِ ومجزوئه (حينَ يسبقُ «لسوفَ» واوٌ أوْ فاءٌ)، ومنها ما هوَ منْ بحرِ الوافرِ (حينَ يتجرَّدُ التركيبُ "لسوفَ" من العاطفِ).

– وفي ضوءِ ما سبق تُحملَ اللامُ في "لسوفَ" على أنَّها لامُ الابتداءِ أوْ لامُ جوابِ القسمِ حسبَ المعنى، باستثناءِ قولِ الشاعر:

فَأُقْسِمُ بِالّذِي قَدْ كَانَ رَبّي وَأَنْصَابٍ لَدَى الْجَمَرَاتِ مُغْرِ

لَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا حَسْبِي إِذَا مَا تَبَدّلَت الْجُلُودُ جُلُودَ نِمْرِ

فاللامُ تتعينُ لجوابِ القسمِ؛ لظهورِ فعلِ القسمِ الذي يتعلَّقُ به الجوابُ.

وبعدُ، فاللهمَّ إني أعوذُ بكَ أنْ أقولَ ـ في كتابكَ ـ ما يُخالفُ مرادَكَ، اللهمَّ ما كانَ منْ توفيقٍ فمحضُ هباتكَ، وما كانَ منْ زللٍ وخطأٍ وقصورٍ فسجيَّةُ عبادِكَ، فاللهمَّ لا تحرمنا من عفوكَ وكرمكَ وعطائِك.

المصادر والمراجع:

كتاب الله عزّ وجل القرآن الكريم... ثم ما يلي:

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي(ت٢٧٢هـ). تح: د. عبد الملك دهيش. دار خضر «بيروت». ط٢ ١٤١٤هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت٩٨٢هـ). دار إحياء التراث العربي «بيروت». بدون.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان (ت ٧٤٥هـ). تح: د. رجب عثمان. مكتبة الخانجي (القاهرة) ١٩٩٨م.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى «البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» للكرماني (ت نحو٥٠٥هـ). تح: عبد القادر عطا. دار النشر، ودار الفضيلة. بدون.
- أشعار الخليع الحسين بن الضحاك. جمعها وحققها: عبدالستار فراج. دار الثقافة «بيروت» ١٩٦٠م.
- الأصمعيات للأصمعي(ت٢١٦هـ). تح الأستاذين: أحمد شاكر(ت١٩٥٨م) وعبد السلام هارون (ت١٩٨٨م). دار المعارف. ط٧ ١٩٩٣م.
- الأصول في النحو لابن السراج(ت٣١٦هـ). تح: د. عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة(بيروت). ط٤ ١٩٩٩م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه(ت٣٧٠هـ). مطبعة دار الكتب ١٩٤١م.
- إعراب القرآن للنَّحَّاس(ت٣٣٨هـ). بعناية: عبد المنعم إبراهيم. دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ.
- إعراب القرآن الكريم لقاسم الدعاس وزميليه. دار المنير ودار الفارابي«دمشق»٢٠٠٤م.
- إعراب القرآن العظيم للشيخ: زكريا الأنصاري(ت٩٢٦هـ). تح: د. موسى مسعود. دار النشر للجامعات ٢٠١١م.
- إعراب القرآن الكريم. د. محمود ياقوت. دار المعرفة الجامعية. بدون.
- إعراب القرآن الكريم الميسر. د.محمد الطيب الإبراهيم(ت٢٠١٥م). دارالنفائس «بيروت» ٢٠٠١م.
- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش(ت١٩٨٢م). دار الإرشاد «حمص». ط٤ ١٤١٥هـ.
- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت صالح. دار الفكر. بدون.
- الأعلام للزركلي(ت١٩٧٦م). دار العلم للملايين. ط١٥ ٢٠٠٢م.

- الأغاني للأصفهاني(ت٣٥٦هـ). تح: سمير جابر. دار الفكر «بيروت». ط٢.
- أمالي ابن الحاجب. تح: د.فخر قدارة. دار عمار«الأردن»، ودار الجيل «بيروت» ١٩٨٩م.
- أمالي ابن الشجري(ت٥٤٢هـ). تح: د. محمود الطناحي. مكتبة الخانجي ١٩٩٢م.
- الانتصاف من صاحب «الكشاف» لابن المنيّر الإسكندري(ت٦٨٣هـ). «مطبوع في هامشه».
- الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري(ت٥٧٧هـ). المكتبة العصرية «بيروت» ٢٠٠٣م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ). تح: محمد المرعشلي. دار إحياء التراث العربي «بيروت» ١٤١٨هـ.
- إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري(ت٣٢٨هـ). تح: محيي الدين رمضان. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١م.
- البحر المحيط لأبي حيان (ت٧٤٥هـ). تح الشيخ عادل عبد الموجود وزملائه. دار الكتب العلمية «بيروت» ٢٠٠١م.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع(ت٦٨٨هـ). تح: د.عياد الثبيتي. دار الغرب الإسلامي ١٩٨٦م.
- البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري(ت٥٧٧هـ). تح: د. طه عبدالحميد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
- التبيان في إعراب القرآن للعكبري(ت٦١٦هـ). تح: علي البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للطاهر ابن عاشور (ت١٩٧٣م). الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.
- التصريح بمضمون التوضيح للأزهري(ت٩٠٥هـ). تح: محمد باسل. دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م.
- التفسير البسيط للواحدي (ت٤٦٨هـ). أصل تحقيقه في خمس عشرة رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه. عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٠هـ.
- تفسير الجلالين؛ المحلي(ت٨٦٤هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ). دار الحديث «القاهرة».
- تفسير جوامع الجامع للطبرسي(ت٥٤٨هـ). تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم. ط٢ ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم: «تفسير المنار» للشيخ: محمد رشيد رضا(ت١٩٣٥م). الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

- تفسير القرآن وإعرابه وبيانه للشيخ: محمد علي الدرة(٢٠٠٧م). دار ابن كثير ٢٠٠٩م.
- جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري(ت٣١٠هـ). تح الشيخ: أحمد شاكر (ت١٩٥٨م). مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(ت٦٧١هـ). بعناية: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية. ط٢ ١٩٦٤م.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود صافي (ت١٩٨٥م). دار الرشيد «دمشق»، ومؤسسة الإيمان «بيروت». ط٤ ١٤١٨هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ت٧٤٩هـ). تح د. فخر الدين قباوة، والأستاذ: محمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية (بيروت) ١٩٩٢م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب للإربلي(ت ق٨هـ). صنعة د. إميل يعقوب. دار النفائس «بيروت» ١٩٩١م.
- حاشية محيي الدين شيخ زاده (ت٩٥١هـ) على تفسير البيضاوي(ت٦٨٥هـ). بعناية: محمد شاهين. دار الكتب العلمية (بيروت) ١٩٩٩م.
- الحجة للقراء السبعة للفارسيّ(ت٣٧٧هـ). تح: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي. دار المأمون للتراث «دمشق/ بيروت». ط٢ ١٩٩٣م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي(ت١٠٩٣هـ). تح الأستاذ: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي «القاهرة». ط٤ ١٩٩٧م.
- الخصائص لابن جني (ت٣٩٢هـ). تح الشيخ: محمد علي النجار(ت١٩٦٥م). الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط٤. بدون.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين(ت٧٥٦هـ). تح: د. أحمد الخراط. دار القلم.
- درة التنزيل وغرة التأيل للخطيب الإسكافي(ت٤٢٠هـ). تح: د. محمد آيدين. معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ٢٠٠١م.
- ديوان امرئ القيس(ت٥٦٥م). بعناية: عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة «بيروت». ط٢ ٢٠٠٤م.
- ديوان الأعشى الكبير(ت٧هـ). شرح وتعليق: د. محمد حسين. مكتبة الآداب ١٩٥٠م.
- ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي(ت٣٢١هـ). تح: محمد العلوي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦م.
- ديوان عامر بن الطفيل(ت١٠هـ) «رواية الأنباري عن ثعلب». دار صادر «بيروت» ١٩٧٩م.
- ديوان الهذليين. الدار القومية للطباعة والنشر (مصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية) ١٩٦٥م.

- رسالة في اللامات، المنسوبة لأبي جعفر النحاس(ت٣٣٧هـ). تح: د.طه محسن. مجلة المورد. المجلد الأول / ١٩٧١م. ص١٤٣ ـ ١٥٠.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي (ت٧٠٢هـ). تح الأستاذ/أحمد الخراط. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. بدون.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (ت١٢٧٠هـ). تح: علي عطية. دار الكتب العلمية «بيروت» ١٤١٥هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية للسهيلي(ت٥٨١هـ). بعناية الأستاذ: عبدالرحمن الوكيل. دار إحياء التراث العربي «بيروت» ١٩٩٠هـ.
- سر صناعة الإعراب لابن جني(ت٣٩٢هـ). تح: د.حسن هنداوي. دار القلم «دمشق» ١٩٨٥م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي (ت٧٤٨هـ). لمجموعة محققين بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة «بيروت». ط٣ ١٩٨٥م.
- شرح تسهيل الفوائد لابن مالك(ت ٦٧٢هـ). تح: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون. دار هجر ١٩٩٠م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري(ت٣٢٨هـ). تح الأستاذ: عبد السلام هارون (ت١٩٨٨م). دار المعارف.
- شرح الكافية للرضي (ت٦٨٦هـ). تح: د. يوسف حسن. جامعة قار يونس «ليبيا» ١٩٧٥م.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك(ت٦٧٢هـ). تح: د. عبدالمنعم هريدي. مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى. بدون.
- شرح المفصل لابن يعيش(ت٦٤٣هـ). دار الكتب العلمية «بيروت» ٢٠٠١م.
- شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير للخوارزمي (ت ٦١٧هـ). تح د. عبدالرحمن العثيمين. دار الغرب الإسلامي (بيروت) ١٩٩٠م.
- الشعر للفارسيّ (ت٣٧٧هـ). تح: د. محمود الطناحي(ت١٩٩٩م).مكتبة الخانجي ١٩٨٨م.
- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس(ت٣٩٥هـ). المكتبة السلفية ١٩١٠م.
- عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي للخفاجي (ت١٠٦٩هـ). دار صادر. بدون.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن لصديق خان القِنَّوجي(ت١٣٠٧هـ). بعناية: عَبد الله الأنصَاري. المكتبة العصريَّة ١٩٩٢م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني(ت١٢٥٠هـ). دار ابن كثير»دمشق»، ودار الكلم الطيب»بيروت» ١٤١٤هـ.

- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي(ت٧٤٣هـ). لمجموعة أساتذة بإشراف د. محمد عبدالرحيم سلطان العلماء. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ٢٠١٣م.
- الفهارس المفصلة لـ«خصائص ابن جني». د.عبدالفتاح سليم. معهد المخطوطات العربية ١٩٩٧م.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت ٢٨٥هـ). تح الأستاذ: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي«القاهرة». ط٣ ١٩٩٧م.
- الكتاب لسيبويه (ت١٨٠هـ). تح الأستاذ: عبد السلام هارون (ت١٩٨٨م). مكتبة الخانجي «القاهرة» ط٣ ١٩٨٨م.
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد لابن أبي العز المنتجب الهمذاني(ت٦٤٣هـ). بعناية: محمد الفتيح. دار الزمان«المدينة المنورة» ٢٠٠٦م.
- كتاب المصاحف لابن أبي داود(ت٣١٦هـ). تح: د.محب الدين واعظ. دار البشائر الإسلامية «بيروت». ط٢ ٢٠٠٢م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (ت٥٣٨هـ). دار إحياء التراث العربي «بيروت». بدون.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ). تح: د.محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة «بيروت». ط٣ ١٩٨٤م.
- اللامات للزجاجي(ت٣٣٧هـ). تح: د. مازن المبارك. دار الفكر «دمشق». ط٢ ١٩٨٥م.
- اللامات لابن فارس(ت٣٩٥هـ). تح: د. شاكر الفحام(ت٢٠٠٨م). مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. م٤٨ /١٩٧٣م. ص٧٥٧ ـ ٨٠١.
- لفظ «الله». دراسة في التأصيل المعجمي في السامية والخصائص الموفولوجية والتركيبية والدلالية. د. محمد رجب الوزير. مجلة علوم اللغة. مج ٢ ع١/١٩٩٩م. ص٩ ـ ٦٨.
- مجالس ثعلب(ت٢٩١هـ). تح الأستاذ: عبد السلام هارون(ت١٩٨٨م). دار المعارف. ط٢.
- المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم. د. أحمد الخراط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ١٤٢٦هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (ت٥٤٨هـ). دار العلوم «بيروت» ٢٠٠٦م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني(ت٣٩٢هـ). تح الأستاذ: علي النجدي ناصف(ت١٩٨٢م) وزميليه. وزارة الأوقاف المصرية ١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت ٥٤٢هـ). تح: عبد السلام محمد. دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ.
- مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها لابن جني(ت٣٩٢هـ). تح: د. حسين بوعباس. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية «الرياض» ٢٠١٠م.

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه(ت٣٧٠ هـ). بعناية المستشرق الألماني برجشتراسر(ت١٩٣٢م). مكتبة المتنبي(القاهرة). بدون.
- المسترضى من الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ للشيخ: منصور الطبلاوي (ت١٠١٤هـ). مخطوطة محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض برقم٦٧٥.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ). تح: د. حاتم الضامن(ت٢٠١٣م). مؤسسة الرسالة «بيروت». ط٢ ١٤٠٥هـ.
- مصابيح الجامع للدماميني(ت٨٢٧هـ). تح: نور الدين طالب. دار النوادر«سوريا» ٢٠٠٩م.
- معاني الحروف للرماني(ت٣٨٤هـ).تح: د.عبد الفتاح شلبي. دار الشروق ١٩٨١م.
- معاني القرآن للفراء(ت٢٠٧هـ). تح: أحمد يوسف النجاتي وزميليه. الدار المصرية. بدون.
- معاني القراءات للأزهري(ت٣٧٠هـ). مركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود ١٩٩١م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت٣١١هـ). تح: د.عبدالجليل شلبي. عالم الكتب«بيروت» ١٩٨٨م.
- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم. د. إسماعيل عمايره، ود. عبدالحميد مصطفى. مؤسسة الرسالة «بيروت». ط٢ ١٩٨٨م.
- معجم القراءات. د. عبداللطيف الخطيب. دار سعد الدين(دمشق) ٢٠٠٢م.
- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (ت٧٦١هـ) . تح د. عبداللطيف الخطيب . المجلس الوطني للثقافة (الكويت). السلسلة التراثية (٢١).
- مفاتيح الغيب للرازي (ت ٦٠٦هـ). دار إحياء التراث العربي «بيروت». ط٣ ١٤٢٠ه.
- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري(ت٥٣٨هـ). تح: د. علي بو ملحم. مكتبة الهلال ١٩٩٣م.
- المفضليات للمفضل الضبيّ (ت١٦٨هـ). تح الأستاذين: أحمد شاكر(ت١٩٥٨م) وعبد السلام هارون (ت١٩٨٨م). دار المعارف. ط٦.
- المقتضب للمبرد (ت٢٨٥هـ). تح الشيخ: محمد عبد الخالق عضيمه (ت١٩٨٤م). المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ط٣ ١٩٩٤م.
- المقدمة الجزولية في النحو للجزولي(ت٦٠٧هـ). تح: د. شعبان عبد الوهاب. مطبعة أم القرى.
- الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي(ت٥٠٢هـ). تح: د.فاطمة الراجحي. مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت ٢٠٠١م.

- من بلاغة القرآن. د. أحمد بدوي. نهضه مصر «القاهرة» ٢٠٠٥م.
- منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك(ت٥٩٧هـ). تح: د.محمد طريفي. دار صادر ١٩٩٩م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لمكي ابن أبي طالب(ت٤٣٧هـ). تح: مجموعة باحثين في رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي «جامعة الشارقة» بإشراف د. الشاهد البوشيخي. مجموعة بحوث الكتاب والسنة «كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الشارقة» ٢٠٠٨م.
- الياقوت والمرجان في إعراب القرآن لمحمد نوري بارتجي. دار الأعلام «الأردن» ٢٠٠٢م.

الهوامش:

(١) ينظر: معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم. د. عمايرة، ود. عبدالحميد مصطفى ص٢٤٧.

(٢) قال أبو النَّضر محمدُ بنُ السائب الكلبيُّ(ت١٤٦هـ): نزلتْ في أبيٍّ بن خلف، وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ ما: نزلتْ في الوليد بن المغيرة وأصحابه (ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١١/١٣١).

(٣) نقلَ بعضُهمْ (ينظر: المحرر الوجيز٥/٤٩٢، ومفاتيح الغيب٣١/١٨٧) الإجماعَ على أنَّهُ أبو بكر الصديقُ، خلافًا للشّيعة الذينَ يجعلونَها في عليٍّ بن أبي طالب، وذكرَ القرطبيُّ (الجامع لأحكام القرآن٢٠/٩٠) أنَّ حملَهُ على الصّدّيق رأيُ الأكثرينَ. قلتُ: وفي مجمع البيانِ للطبرسيِّ ١٠/٢٩٠ أنَّ الأتقى هوَ أبو الدّحداح الأنصاريُّ.

(٤) بذا نعتهُ العلامةُ الذهبيُّ(ت٧٤٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء١٨/٢٣٩، والأعلام للزركلي٤/٢٥٥.

(٥) التفسير البسيط١٤/٢٨٤، ٢٨٥. و«صاحبُ النَّظم» يترجَّحُ أنهُ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ يحيى بن نصر الجرجانيُّ «ينظر: مقدمة تحقيق «البسيط» للواحدي١/٢٣٥». ويحسَبُ للعلَّامةِ الواحديِّ نسبةُ القولِ إلى صاحبِهِ رحمهما الله.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي٢١/٥٥٦، ومن بلاغة القرآن. د.أحمد بدوي ص١١٧.

(٧) ينظر: التصريح بمضمون التوضيح٢/٤٧٩.

(٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري٣/٣١.

(٩) ينظر: أنوار التنزيل٤/١٦، وإرشاد العقل السليم٥/٢٧٤.

(١٠) ينظر: "الانتصاف" المطبوع بحاشية الكشاف لابن المنَيِّر السكندري(ت٦٨٣هـ) ٣/٣١.

(١١) ينظر: حاشية شيخ زاده(ت٩٥١هـ)على تفسير البيضاوي٥/٥٦٩، وعناية القاضي للشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩هـ)٦/١٧٣.

(١٢) حكوا "يا ألله اغفرْ لنا". ينظر: الكتاب٢/١٩٥، والمقتضب١/٢٥٣، و٤/٢٣٩، واللامات للزجاجي ص٥٢، والصحاح٦/٢٢٢٣، ٢٢٤٨، وشرح الكافية للرضي١/٣٨٢، والجنى الداني للمرادي ص١٩٩، ولفظ "الله" د.الوزير. ص٤١.

(١٣) علَّلَ الجوهريُّ (في الصحاح٦/٢٢٢٣، ٢٢٤٨، وينظر: الجنى الداني ص١٩٩) لقطعِ الهمزةِ هنا بأنَّ الوقفَ نُويَ على حرفِ النِّداءِ؛ تفخيمًا للفظِ الجلالةِ.

(١٤) ينظر: الكتاب٢/١٩٥، وشرح التسهيل١/١٧٧، والملخص لابن أبي الربيع ص٤٥٨، ولفظ "الله". دراسة في التأصيل المعجمي. د. محمد الوزير. ص٢٨ ـ ٣٠.

(١٥) ينظر: أمالي ابن الحاجب١/٢٧٧، ٢٧٨. وقد تعقبه في الأخيرين ابن هشام في مغني اللبيب ٣/٢٤٨، ٢٤٩.

(١٦) جوامع الجامع٢/٤٦٢.

(١٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٤/٢٥، وينظر: البحر المحيط ٧/٢٨٥.

(١٨) الجامع لأحكام القرآن١١/١٣١.

(١٩) البحر المحيط ٧/٢٨٥، وينظر: الدر المصون ٧/٦١٧؛ حيثُ اكتفى السّمينُ الحلبيُّ (ت٧٥٦هـ) بنقلِ نصِّ تعقّبِ شيخِهِ أبي حيَّانَ كلامَ الزمخشريِّ وابنِ عطيةَ.

(٢٠) روح المعاني ٨/٤٣٤.

(٢١) تفسير الجلالين ص٤٠٣.

(٢٢) التحرير والتنوير١٦/١٤٥.

(٢٣) نفسه١٢/٢٣١.

(٢٤) تتكفّلُ دراسة تالية بتفصيلِ القولِ في معالجةِ النَّحْويينَ لهذهِ المسألةِ.

(٢٥) معاني القرآن وإعرابه٤/٩٠.

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن١٣/١٠١. وينظر: إعراب القرآن للنحاس١٣/١٠١.

(٢٧) البيتُ من قصيدةٍ منْ بحرِ الطويلِ لامرئ القيسِ في ديوانه ص١٣٦، وينظر: الكامل١/٥٩، والخصائص٣/٢٠٩، والملخص لابن أبي الربيع ص٥٤٢، والتذييل والتكميل١١/٣٨٣، وارتشاف الضرب٤/١٧٧٨، وخزانة الأدب١/٦٦. "وأُصبي المَرْأَةَ: أُشوّقُها، والعِرسُ: الزَّوْجَةُ، ويُزَنُّ: يُتَّهمُ، والخالي: منْ لَا زَوْجَةَ لَهُ". يقولُ: "إنِّي أشوّقُ النِّسَاءَ إليّ مَعَ وجود أَزْوَاجهنَّ، وَلَا أدعُ أحدًا يُتّهمُ بامرأتي؛ لأنَّهَا لَا تميلُ إلَى أحدٍ مَعَ وجودي؛ لأنِّي محبَّبٌ عِنْد النِّسَاءِ".

(٢٨) البحر المحيط٣/٤٠٧، في تفسير قوله تعالى: ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾١٥٨ آل عمران.

(٢٩) مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها لابن جني ص٣٦٧، وينظر: ص٢٠١.

(٣٠) ينظر: الكتاب٣/١٥٠، والأصول١/٢٥٩، ٢٧٥، ومعاني القرآن١/٦٦، ٢٢٥، ومجالس ثعلب ١/٥٩٢، وشرح القصائد السبع ص٣٠٢، ٣٥٦، ٣٦٣، ٥٣٧، وإيضاح الوقف٢/٧٠٠، ٧٨١، ٧٩٩.

(٣١) روح المعاني١٠/٧٩.

(٣٢) مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها لابن جني ص٣٥٨.

(٣٣) تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار٩/٦٤.

(٣٤) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ص١٢٨. وقريبٌ منهُ ما ذكرَهُ الغرناطيُّ(ت٧٠٨هـ) في ملاك التأويل١/٢٢٠.

(٣٥) درة التنزيل وغرة التأويل٢/٦٧٥، ٦٧٦.

(٣٦) ينظر: مغني اللبيب٣/٢٣٩، ٢٤٠.

(٣٧) تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار٩/٦٤، ٦٥.

(٣٨) ولم أعرض لآيات سورة طه(٦٥ ـ ٧١)؛ لأنه لم يرد فيها "سوف".

(٣٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون١١/٣٣.

(٤٠) إرشاد العقل السليم٩/١٦٨.

(٤١) روح المعاني ١٥/٣٧١.

(٤٢) فتح القدير٥/٥٥٣، وتجد العبارة نفسها في فتح البيان لصديق خان القنوجيّ(ت١٣٠٧هـ)١٥/٢٧٢.

(٤٣) التحرير والتنوير٣٠/٣٩٢.

(٤٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري٤/٧٦٧، وينظر: البرهان للزركشي٢/٤١٩.

(٤٥) الكشاف للزمخشري٤/٦٥٩. وما وردَ في نصّيِّ الرمانيِّ(في معاني الحروف ص٨٥)، وابنِ الشَّجريِّ(في الأمالي٢/٥٢٧) بعدُ يشيرُ إلى أنَّ الألفَ مثبتةٌ في مصحف الإمام!

(٤٦) "لَأُقْسِمُ" قراءةُ ابنِ كثيرٍ "برواية القواس"، وقُنْبُل، والبزّيِّ "منْ طريقِ أبي ربيعةَ"، والحسنِ "بخلاف عنه"، وعيسى بنِ عمرَ، والأعرجِ، والزُّهريِّ، وابنِ عبَّاسٍ، وأبي عبدِ الرَّحمنِ، ومُجاهدٍ، وعكرمةَ، وابنِ مُحَيْصِنٍ. ينظر: معجم القراءات. د. عبداللطيف الخطيب١٠/١٨١.

(٤٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٢٧. وذكرَ مكيٌّ (في الهداية ١٢/٧٨٥٦) أنَّها غلطٌ عندَ الخليلِ وسيبويه.

(٤٨) الأمالي٢/٥٢٧. وينظر: معاني الحروف للرماني ص٨٥.

(٤٩) المحتسب ٢/٣٤١(وينظر: التبيان للعكبري ٢/١٢٥٣، والبسيط لابن أبي الربيع٢/٩١٨). والظاهرُ ـ فيما علَّقَ محققوهُ ـ أنَّ مرادَهُ بقوله: "على غرةِ حالِ الحذفِ والتوكيدِ": على إغضاء عن الجمعِ بينَ الحذفِ والتوكيدِ. قلتُ: ذلك أنَّ التَّوكيدَ من أماكنِ الإسهابِ والإطنابِ، والحذفُ منْ مظانِّ الاختصارِ والإيجازِ (ينظر: الخصائص٣/٩٧)، ولعلَّ ثمةَ تصحيفًا، والصوابُ: "عِزَّةِ" بمعنى: النُّدرةِ، وهوَ تعبيرٌ ورد في الخصائص٢/٢٣٧.

(٥٠) التي تؤكِّدُ القسمَ. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج٥/٣٢٧، ومعاني القراءات للأزهري٣/١٠٥.

(٥١) ينظر: معاني الحروف للرماني ص٨٥، ومشكل إعراب القرآن لمكي٢/٧٧٦، والكشف له٢/٢٤٩، وأمالي ابن الشجري٢/١٤١، ٥٢٦، والبسيط لابن أبي الربيع٢/٩١٧، والبرهان للزركشي٤/٣٥٩.

(٥٢) ينظر: الحجة للفارسي٦/٣٤٤، ومعاني الحروف ص٥٥، ٨٥، ومشكل إعراب القرآن٢/٧٧٦، والكشف٢/٢٤٩.

(٥٣) البيتُ منْ قصيدةٍ منْ بحرِ الكاملِ لعامرِ بنِ الطفيلِ(ت١٠هـ) في ديوانه ص٥٦، والأصمعيات

ص٢١٦، والمفضليات ص٣٦٤، وينظر: الحجة للفارسي ٦/٣٤٤، والشعر له ص٥٣، ومختار تذكرة الفارسي ص٧٣، ومعاني الحروف للرماني ص٥٥، ٨٥، ومشكل إعراب القرآن لمكيّ٢/٧٧٦، والكشف له٢/٣٤٩، وأمالي ابن الشجري٢/١٤١، ٥٢٦، وشرح المقدمة الجزولية٢/٨٦٥، وشرح التسهيل ٣/٢١٠، وشرح الكافية٤/٣١١، والتذييل والتكميل١١/٣٨٥، ورصف المباني ص٣١٤.
يُقسمُ عامرٌ بأخيهِ سيِّدِ قومِهِ الذي قتلتْهُ قبيلةُ مرَّةُ هدرًا، والتقديرُ: «لأثأرنَّ».

(٥٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري٢/١٢٥٣.

(٥٥) مصابيح الجامع٨/٢٦١.

(٥٦) ينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني١/٣٩٥.

(٥٧) ينظر: أمالي ابن الحاجب١/٢٧٨، ٢٧٩.

(٥٨) مغني اللبيب٣/٢٤٩ ـ ٢٥١. وقدْ نقلَ الشيخُ: الطبلاوي(ت١٠١٤هـ) ما قالَهُ الدمامينيُّ(ت٨٢٧هـ) والشّمنّيُّ (ت٨٧٢هـ) في هذا الصددِ. ينظر رسالته: «المسترضى من الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾» ص١٠ ـ ١٢.

(٥٩) في مجمعِ البيانِ للطبرسيِّ١٠/٢٩٣. ولا حاجةَ إلى الواوِ في «ويعطينَّكَ».

(٦٠) تفسير جوامع الجامع للطبرسيِّ٣/٨٠١.

(٦١) مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها لابن جني ص٣٦٧، وينظر: ص٢٠١.

(٦٢) ينظر: مفاتيح الغيب٣١/١٩٥.

(٦٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل٥/٣١٩، وفي النصِّ المطبوعِ تصحيفٌ، فليتنبَّهْ.

(٦٤) البحر المحيط في التفسير١٠/٤٩٧.

(٦٥) ينظر: الدر المصون١١/٣٧ ـ ٣٩، وينظر:٣/٤٥٩، ٤٦٠.

(٦٦) فتح القدير٥/٥٥٨، والعبارة بنصها في فتح البيان١٥/٢٧٧، ٢٧٨، و ينظر: مختار تذكرة الفارسي ص٣٥٨.

(٦٧) ينظر: روح المعاني للألوسي ١٥/٣٧٨، ٣٧٩.

(٦٨) ينظر: أمالي ابن الحاجب١/٢٧٨.

(٦٩) ينظر: مغني اللبيب٣/٢٤٧ ـ ٢٤٩.

(٧٠) ينظر: فتوح الغيب للطيبي١٦/٤٨٥(تح: د. يوسف الجوارنة).

(٧١) ينظر: الكشاف للزمخشري٤/٧٦٧.

(٧٢) لابن هشام. ينظر:٣/٢٥٠.

(٧٣) البيتُ منْ بحرِ الخفيفِ، غيرُ منسوبٍ في شرح الكافية الشافية٢/٨٣٥، والتصريح٢/٣٠١، وروح المعاني ١٥/٣٧٩.

(٧٤) روح المعاني١٥/٣٧٩. والظاهرُ أنَّ كلمةَ "جميع" تصحيفُ كلمةِ "جمع".

(٧٥) ينظر: مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها لابن جني ص٣٥٨.

(٧٦) ينظر: التحرير والتنوير٣٠/٣٩٨، ٣٩٩.

(٧٧) ينظر: ٤/٧٦٧.

(٧٨) ينظر: أمالي ابن الحاجب١/٢٧٨.

(٧٩) ينظر: ٣/٢٥٠.

(٨٠) ينظر: معاني الحروف للرماني ص٥٤، واللامات لابن فارس ص٧٧٥، والمفصل ص٤٤٩، ٤٥٠، وشرحه لابن يعيش٥/١٣٩ ـ ١٤٢ ،وشرح الكافية للرضي٤/٣١٤، ورصف المباني ص٣١٦، والجنى الداني ص١٣٦، ١٣٧، ومغني اللبيب٣/٢٧٣، وجواهر الأدب للإربلي ص٨٨.

(٨١) ينظر: الفريد للهمذاني٤/٣٧٩، وإعراب القرآن للدرويش٦/١٣١، والجدول للصافي١٦/٣٢٣، وتفسير القرآن وإعرابه للدرة ٥/٦٢٣، وإعراب القرآن لياقوت٦/٢٨٢٧، والياقوت والمرجان ص٣١٨، وإعراب القرآن للدعاس٢/٢٤٨.

(٨٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس٣/١٢٣، والمجتبى للخراط ص٦٧٧، والياقوت والمرجان ص٣١٨، والإعراب المفصل لبهجت صالح٧/٥٢.

(٨٣) ينظر: الملخص في إعراب القرآن للتبريزي ص٣٦٧، ٣٦٨.

(٨٤) ينظر: التفسير البسيط١٤/٢٨٤، والمحرر الوجيز٤/٢٥، والجامع لأحكام القرآن١١/١٣١.

(٨٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل٤/٧٦٧.

(٨٦) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد٤/٣٧٩.

(٨٧) د.محمد الطيب الإبراهيم ص٣١٠.

(٨٨) ينظر: إعراب القرآن وبيانه للدرويش٧/٧٤، وإعراب القرآن. د.الطيب ص٣٦٩، وإعراب القرآن للدعاس٢/٣٨٤.

(٨٩) ينظر: الجدول في إعراب القرآن١٩/٧٤، وتفسير القرآن وإعرابه للدرة٦/٥٧٢، وإعراب القرآن لياقوت٧/٣٣٢٢.

(٩٠) ينظر: تفسير القرآن وإعرابه للدرة٦/٥٧٢.

(٩١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس٣/١٢٣ (عبر بلام التوكيد)، والإعراب المفصل لبهجت صالح٨/١٨٩.

(٩٢) ينظر: إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص١١٥ (عبر بلام التوكيد)، والإعراب المفصل لبهجت صالح١٢/٤٥٧.

(٩٣) ينظر: إعراب القرآن للدرويش١٠/٥٠٤، والجدول٣٠/٣٤٩، وتفسير القرآن وإعرابه للدرة١٠/٦٢٧، وإعراب القرآن الميسر ص٥٩٦، وللدعاس٣/٤٥٣، والياقوت والمرجان ص٦٠٤،والمجتبى ص ١٤٦٣.

(٩٤) ينظر: تفسير القرآن وإعرابه للدرة١٠/٦٢٧، وإعراب القرآن للدعاس وزميليه ٣/٤٥٣. والواوُ عاطفةٌ عندَ الدرويش١٠/٥٠٤، وبهجت صالح١٢/٤٥٧، واستئنافيَّةٌ عندَ صافي (أوْ حاليَّةٌ)٣٠/٣٤٩، ود. ياقوت١٠/٥١١٨.

(٩٥) ينظر: إعراب القرآن لياقوت١٠/٥١١٨.

(٩٦) ينظر: إعراب القرآن العظيم للأنصاري ص٥١٠، وتفسير القرآن وإعرابه للدرة١٠/٦٣٥، وإعراب القرآن لياقوت١٠/٥١٢١، والإعراب المفصل لبهجت صالح ١٢/٤٥٩، وللدعاس٣/٤٥٤.

(٩٧) ينظر: إعراب ثلاثين سورة ص١١٨، والإعراب المفصل لبهجت صالح ١٢/٤٥٩.

(٩٨) ينظر: الجدول في إعراب القرآن٣٠/٣٥٣، والياقوت والمرجان ص٦٠٤، وإعراب القرآن الكريم. د. محمد الطيب ص٥٩٦، والمجتبى للخراط ص١٤٦٣.

(٩٩) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري٢/٥٢٠.

(١٠٠) مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها لابن جني ص٣٦٧، وينظر: ص٢٠١.

(١٠١) الفريد في إعراب القرآن المجيد للهمذاني٦/٤١٩، ٤٢٠. وكذا حكاهما الدرويش في إعراب القرآن وبيانه١٠/٥١٠.

(١٠٢) د.محمد الطيب الإبراهيم ص٣١٠.

(١٠٣) الجدول في إعراب القرآن١٦/٣٢٣. وقريبٌ منه ما فعلَهُ بارتجي (في "الياقوت والمرجان")، ود.الخراط (في "المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم").

(١٠٤) إعراب القرآن وبيانه١٠/٥١٠.

(١٠٥) نفسه٨/٥٠٣، ٥٠٤.

(١٠٦) ينظر: تفسير القرآن وإعرابه٦/٥٧٢. وإنما عالجتُ هذا الكتابَ معَ كتبِ إعرابِ القرآنِ دونَ تفسيرِهِ الذي قدمهُ مصنفُهُ في عنوانِه؛ لأنّي رأيتُهُ يُعنى بالإعرابِ التفصيليِّ لكلماتِ القرآنِ الكريمِ شأنَ كتبِ إعرابِ القرآن الكريم.

(١٠٧) الانتصاف "المطبوع بحاشية الكشاف" ٣/٣١. و"لغتْ" منْ "لغا يلغو" بمعنى: "بطَلَ".

(١٠٨) ينظر: إعراب القرآن وبيانه للدرويش٧/٧٤، وإعراب القرآن. د.الطيب ص٣٦٩، وإعراب القرآن للدعاس٢/٣٨٤.

(١٠٩) ينظر: إعراب القرآن وبيانه للدرويش١/٥٥٣، ٧/٤٦٩، ٥٣٣.

(١١٠) ينظر: المصاحف لابن أبي داود ص٣٢٣، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص٨٨، والكشاف٣/٣٢، والبحر المحيط ٧/٢٨٤، والدر المصون٧/٦١٨، وروح المعاني٨/٤٣٤، ومعجم القراءات٥/٣٨١.

(١١١) ينظر: الكشاف٣/٣٢ (وقاسها على قراءة: "ولسيعطيك")، والبحر المحيط ٧/٢٨٥، والدر المصون ٧/٦١٨، وروح المعاني٨/٤٣٤، ومعجم القراءات٥/٣٨١.

(١١٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس٥/١٥٥، ومعجم القراءات١٠/٤٨٢.

(١١٣) ينظر: معاني القرآن للفراء٣/١٧٤، وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص١١٨، ومختصر في شواذ القرآن له ص٨٨، والمحرر الوجيز لابن عطية٥/٤٩٤، ومعجم القراءات١٠/٤٨٢.

(١١٤) معاني القرآن للفراء٣/٢٤٧. وينظر: إعراب القرآن للنحاس٥/١٥٥.

(١١٥) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري٢/٥٢٠.

(١١٦) مفاتيح الغيب٣١/١٩٥.

(١١٧) البيتُ منْ قصيدةٍ سائرةٍ منْ بحرِ الكاملِ لأبي ذؤيبٍ الهذليِّ(ت٢٧هـ) في ديوان الهذليين١/٣.

(١١٨) البيتُ منْ مقطوعةٍ منْ بحرِ الكاملِ لأبي كبيرٍ الهذليِّ عامرِ بنِ الحُليسِ في ديوان الهذليين٢/١١١.

(١١٩) البيتُ منْ مقطوعةٍ منْ بحرِ الكاملِ لأبي العيالِ الهذليِّ في ديوان الهذليين٢/٢٦٣.

(١٢٠) البيتانِ منْ قصيدةٍ مجزوءِ الكاملِ للأعشى الكبيرِ ميمونِ بنِ قيسٍ(ت٧هـ) في ديوانه ص١٥٧، والثاني في شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص٣٥٠.

(١٢١) البيتُ منْ قصيدةٍ منْ بحرِ الكاملِ لأبي سعدٍ عبدِاللهِ بنِ الزِّبعرَى(ت١٥هـ). ينظر: الروض الأنف١/٢٨١.

(١٢٢) البيتُ منْ قصيدةٍ منْ بحرِ الوافرِ للأسودِ الليثيِّ (قبلَ أنْ يرتدَّ) يبكي قتلى بدرٍ. ينظر: الروض الأنف للسهيلي٥/٣٣٥.

(١٢٣) البيتُ منْ منظومةٍ منْ مجزوءِ الكاملِ لابنِ دريد(ت٣٢١هـ) في ديوانه ص٣٠. والعرا: ما حولَ الدورِ، والعراءُ: المكانُ الخالي. أورده فيما يُفتَحُ أولُهُ، فيُقصرُ ويُمدُّ، والمعنى مختلفٌ.

(١٢٤) البيتُ منْ مقطوعةٍ منْ بحرِ الكاملِ لرجلٍ منْ بني عجلٍ في أخبار مكة للفاكهي٢/٢٩٨.

(١٢٥) البيتانِ منْ قصيدةٍ منْ بحرِ الوافرِ لرجلٍ يُكنى بأبي أسامةَ. ينظر: الروض الأنف للسهيلي٥/٣٤٠.

(١٢٦) البيتانِ منْ بحرِ الكاملِ للخَليعِ الحسينِ بنِ الضحّاكِ(ت٢٥٠هـ) يرثي الخليفةَ العبّاسيَّ الأمينَ(ت١٩٨هـ). ينظر: أشعارَ الخليع ص٧٩، والأغاني٧/١٦٦، ومعجم الأدباء٣/١٠٦٤، ووفيات الأعيان٢/١٦٣.

أبو علي المنطقي البصري

(ت ق ه هـ)

((حياته و ما تبقى من شعره))

دراسة و صنعة وتوثيق:

الأستاذ الدكتور محمد عويد محمد الساير

كلية التربية الاساسية في جامعة الانبار.

المقدمة:

يسعدني أن أقدّم شعر الشاعر العباسي أبي علي المنطقي البصري إلى جمهور الأدباء والنقاد والدارسين في كل مكان. أحببتُ شعر هذا الرجل ورحتُ أحدّقُ فيه مرات ومرات فكان معي في رحلتي إلى أكثر من مكان واحدٍ، إذ وجدتُ جلّه في كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي . كان شعره على الغاية من الصنعة و الإحكام و النسج، وللأسف ضاع أكثر هذا الشعر، وبقي القليل منه، إذ يذكر ياقوت أن شعره كان في أكثر من ألفي بيت و لو قدر الله ووصلت إلينا أشعاره كاملة، لكانت دراسته و صنعة شعره في مجلد كبير، وكبير جداً يضاهي مجلدات الشعراء الكبار في العصر العباسي في القرن الرابع والقرن الخامس الهجريين.

خطوات العمل، وجهد المحقق مع الدراسة وفي عنوان خاص. وفي الدراسة قدمت شعر الشاعر أو ما وصل إلينا من شعره أمام القرّاء تقديماً موضوعياً وفنياً إن شاء الله ينال الرضى والاستحسان والقبول.

وكان أهم ما في حياة الشاعر أني وصلت إلى إن وفاته قد تكون بعد سنة (٣٩٠هـ) التي حددها ياقوت الحموي، أو أنه توفي بعد سنة ٤٠٠هـ وفي القرن الخامس الهجري في ثلثه أو يقرب من الثلث بقليل، وذلك واضح من التراجم التي عرّفت بها في دراسة حياته وشعره، فبعض هذه التراجم عاشت في بدء القرن الخامس وتوفيت في نهايته، كالوزير أبي القاسم العلاء بن الحسن الذي قيل إن وفاته كانت في سنة (٣٩٠هـ). وهذا الوزير أدركه شاعرنا المنطقي ومدحه ومن هنا تكون وفاته بعد سنة ٤٠٠هـ بكثير من السنوات ،وعاش حياة طويلة بدى عليها الفقر والحرمان والغربة في أكثر مراحلها وسنواتها.

لقد سعيت أن يسير العمل هنا في جمع ودراسة و صنعة شعر أبي علي المنطقي البصري على وفق المدرسة العراقية التي اهتمّت كثيراً بهذه الصنعة، وبهذا التحقيق على وفق الرواية الثانية وإني التلميذ والطالب لهذه المدرسة ولكبار العلماء والمحققين فيها.

في الختام، أتوجه بشكري ومحبتي إلى أستاذي الدكتور عبد الرازق عبد الحميد حويزي، الذي لم يبخل عليّ يوماً بما أُريد، وشكري ومحبتي إلى أخي الحبيب وصديقي الوفي الاستاذ الدكتور محمود شاكر ساجت، الذي كثيراً ما أتعبه بطلباتي، وكثيراً ما يسعى لتلبيتها و لا يتأخر عنها مهما كانت الظروف، و كثرت المشاغل....

و الحمد لله أولاً وآخراً.

أبو علي المنطقي البصري... دراسة في حياته وسيرته :

لا نعرف له سوى هذه الكنية : (أبو علي) من اسمه[١]. و سوى أنه كان عالماً بالمنطق قوي الرتبة فيه، فعُرف بالمنطقي[٢]، وأنه من أهل البصرة[٣]، فقد يكون ولد فيها، أو أن أصله منها، أو أصل آبائه وأجداده منها، فعُرف بالبصري.

ومولده سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، وأما وفاته فكانت بشيراز بعد سنة تسعين وثلاث مئة[٤]. كما ذكر ياقوت الحموي، وليس ذلك عندي بصحيح، فالشاعر توفي في القرن الخامس الهجري وبعد سنة أربع مئة كما وضح من دراسة شعره وممن

عاصرهم في حياته. عاش أبو علي المنطقي البصري حياة صعبة عانى فيها من الفقر والعوز، ومن ثمّ أُصيب ببصره، فحلّت به العاهة اللعينة في أُخريات عمره. فتراه في شعره يُكثر من وصف نفسه، ويرثي ذاته، ويصفُ ما فيها في مقطوعاته وقصائده، مع أغلب أغراضه ولاسيما مع المديح ومع الإخوانيات ومع ذكر الشوق والحنين، وبعضٍ من سمات الغربة.

لا نعرف له أُسرة، ولم أعثر له على وصفٍ أو شرح لها، كذلك لا أراه يرثي أو يفخر بأحدٍ في شعره، فأغلب نصوصه الشعرية كانت في المديح، وفي وصف الذات وفي الأغراض الأخرى التي جاءت في الدراسة الموضوعية. فهو بعيدٌ عن المراثي وعن المفاخر وربما كان فقره، أو كانت أسرته متواضعة بسيطة النسب والحال أبعدته عن مثل هذه الأغراض التي يفخر بها الشاعر بمحتده وأصله وأفعال قومه، أو يرثيهم ويبكي فقدهم.

تنقّل المنطقي البصري في البلاد، فيبدو أنه رحل من البصرة – إن عاش فيها – مبكراً إلى بلدان أُخرى، ومدح أصحاب هذه البلدان والقائمين عليها مديحاً لا يخلو من تكسب واستجداء، لما مرَّ به من أحوال، ولما أحاطت به من ظروف، ولما ألبسه الزمان من نوائب. ففي عضد الدولة (ت٣٧٢هـ) [٥] قال شاعرنا المنطقي بعض نصوصه الشعرية. وهو ما يعني أنه أقام في كنف هذا الرجل، وعاش بين أرجاء حكمه، وهو رجلٌ فارس شجاع، صاحب طموح كبير في الحرب والسلطة، وكان ملكاً على بلاد شيراز وما حولها من الأطراف، وله في الحروب والمعارك صولات وبطولات.

وبقي شاعرنا أبو علي المنطقي البصري في شيراز فأدرك حكم وسلطة صمصام الدولة (ت ٣٧٦هـ) [٦]، الرجل الضعيف في الحكم والذي افتقر إلى مؤهلات والده عضد الدولة في القوة والشجاعة، ففشل في إدارة شؤون البلاد، وتميّز حكمه بالثورات الأهلية فانتصر عليه أخوه شرف الدولة (ت٣٧٩هـ) واستولى على الحكم. ويذكر في تاريخ الخلفاء السيوطيُّ (ت٩١١هـ)، أن أخاه قام بتعذيبه وسمل عينيه[٧].

وفي شعر أبي المنطقي البصري نصوص أُخرى تبيّن علاقاته مع أبناء عصره، وفي الأماكن والبلدان التي حلّ فيها، وارتحل إليها. ومن تلكم الشخصيات التي

مدحها المنطقي في شعره الوزير محمد بن الحسن بن صالحان(ت٤١٦هـ) [٨]، وهو أبو منصور وزير شرف الدولة وبهاء الدولة(ت٤٠٣هـ)، كان ابن صالحان وزير صدق جيد المباشرة وكان محسناً إلى الشعراء والعلماء، فقصده شاعرنا المنطقي ومدحه بما يستحق المدح.

ومن الشخصيات الأُخرى التي وردت في شعر شاعرنا أبي علي المنطقي البصري، شخصية ابن الغلاَّف (٣٧٧هـ) [٩]، هبة اللّه الشيرازي، كان نحوياً بارعاً وشاعراً مقدّماً وعاش طويلاً، وهو ليس ابن العلاف الشاعر المشهور (ت٣١٨هـ) صاحب القصيدة الهرّية الشهيرة في الأدب العربي[١٠].

ويبدو أن صلة شاعرنا المنطقي كانت قوية مع هذا الرجل الشاعر والنحوي والأديب، ومن خلال نصٍ شعري له ويبدو أنه فارقه وابتعد عنه، فقال هذا النص في الشوق إليه وفي مدحه، ومدح آدابه، وما عُرف به من علم وأدب وحسن معاشرة.

ومن الشخصيات الأُخرى التي جاءت في شعر أبي علي المنطقي البصري أيضاً، شخصية وسمها بالدلجي ولم نعرف لها أسماً أو لقباً، وربما اراد ساقي الماء كما هو المعنى من هذه الكلمة[١١]، وفي النص الشعري الذي نظمه الشاعر أبو علي المنطقي البصري[١٢]، في هذه الشخصية يبدو أنه كان من الموسرين الأغنياء، ويبدو أن شاعرنا المنطقي لجأ إليه بعدما سامه الدهر بالويلات، وبعدما مدح أشخاصاً لا يستحقون المديح، ووصلَ قوماً لا يستحقون الصلة!

ولعل من آخر الشخصيات التي وردت في شعر أبي علي المنطقي البصري، شخصية الوزير العلاء بن الحسن[١٣]، كنّاه شاعرنا بأبي القاسم وأشاد بفضله وأدبه، وعلو كعبه في البلاغة والكتابة، وصنعة النثر والاتقان فيها.

هذه باختصار حياة شاعرنا الأديب أبي علي، حياة تأرجحت بين العلم والرحلة في طلب العيش، ومعاشرة الأدباء والعلماء والوزراء والولاة ومدحهم، وفي شعره ما يضعنا أمام حياة طويلة من العوز والفقر والحرمان، ووصف الذات وما تعلوها من نكبات، وعلى الرغم من كل تلكم الظروف، كان المنطقي (مزاحاً طيب العشرة حادّ

النـادرة) [١٤] ولو أنـه (وُفّيَ حقّه لكان أعظم من المتنبي؛ لأنه ليس بدونه في الشـعر جودة وصحة معنى ومتانة لفظ وحلاوة استعارة وسلاسة كلام) [١٥]، وهذا ما وجدته جلياً في شـعره، أو في نصوصـه الشـعرية التي وصـلت إلينا وضـمّها هذا المجموع في الدراسة والصنعة.

- **شعر أبي علي المنطقي البصري: دراسة موضوعية فنية :**

١. الاتجاهات والأغراض الموضوعية:

توّزع أغلب شعر أبي علي المنطقي على شكل مقطَّعات، وحتى القصائد التي رأيتُ منها واحدة أو اثنتين كانت في عشرة أبيات فقط. ولعلّ أغلب شعر المنطقي ضاع وفُقد، كما توحي إليّ مقطَّعاته، وكما يشـير إليها ياقوت الحموي في تصـدير بعض مختاراته من شعر أبي علي المنطقي حين يقول: وقال من قصيدة، وله من قصيدة... وهكذا.

ولو قدّر الله ووصـل إلينا شـعره كاملاً لكان في ديوان ضخم في الوفرة والصنعة والأسـاليب والموضـوعات، يضـاهي دواوين العصـر العباسـي الأُخرى التي شـاعت وانتشـرت وحُقّقـت أو جُمعـت لشـعراء هذا العصـر الزاهر، وفي هـذا الأدب الرفيع الأصيل الذي أنتج كبار الشعراء وفحولهم في الأدب العربي والعالمي في هذا العصر.

وأمّا عن موضوعات وأغراض ما وصل إلينا من شعر أبي علي المنطقي البصري، فهي الأغراض والموضـوعات الشـائعة والمعروفة في عموم الشـعر العربي ، وفي الشعر العباسي بخاصة، من مديح، وغزل، وخمرة... وغيرها.

غير أني وجدت بعضـاً مـن الأغراض التي تبدو عليها الجـدة، وتتميز بالحداثة في عصـر الشاعر إلى حدٍّ ما، كالشـوق والحنين حتى إلى بعض الأشخاص والأتراب، وغربة الذات، وشكوى العاهة، عاهة العمى التي أصيب بها في آخر عمره.

فمن الموضوعات القديمة الجديدة في الشعر العربي، وفي شعر أبي علي المنطقي، المديـح، وفيه بيّن أبو علي المنطقي البصـري فضـائل ممدوحه، وما فيه من خصـال تستحق المدح والإعجاب والإشادة، فلعلّ الشجاعة والإقدام كانت نصب عيني المنطقي وهو يمدح نصر بن هارون في قوله:

ويصنعُ في الأعداءِ خوفُ انتقامه من القَتلِ مالا تصنعُ البيضُ والسمرُ[١٦]

فالممدوح وشجاعته فوق ما يتصوره بنو البشر، ولذا فهو أحق بالمديح، وأحقّ بالثناء وأحقّ بتدوين الأفعال وتوثيقها من الآخرين، كما يصور ذلك شعر أبي علي المنطقي.

ويمزج شاعرنا أبو علي المنطقي في مديحه بين الشجاعة والكرم، كقوله في صمصام الدولة:

أنتم بحارٌ جارياتٌ بالندى لكنها في الروعِ جاريةٌ دما[١٧]

ويوظف الشاعر الجموع في قوله (بحارٌ جاريات) للدلالة على سعة كرمه، وانتشار نداه وعطفه على الناس. أما في الشجاعة وفي تخويف الآخرين – الذين يجب أن يخافوا – فهي جارية واحدة، لرجل واحد، الموغل في الشجاعة، الباسل الضارب دماً في أعدائه، ومن يستحقون الضرب دائماً.

وله مقطوعات أُخرى في هذا الغرض، كلّها تقدّم لنا شخصية الممدوح تقديماً طيباً، وتشرح لنا خصاله الحميدة، وفضائله الكريمة التي انتشرت وذاعت بين الناس، وحقَّ لها الخلود في الشعر والنظم. وهو لا يجانب خصال الممدوح في الكرم، وطلب العطاء، ولا يبعد كثيراً عن أسباب المدح التكسبي الذي يبغي منه الشاعر المدّاح عطاء الممدوح ونواله، ولعلّ الظروف القاسية التي مرّ بها الشاعر أجبرته على مثل هذا النوع من المديح، كما في قوله مادحاً:

قولي يُقصّرُ عن فعالِكْ تقصيرَ جَدِّكَ عن كمالِكْ

والحمدُ ينبتُ كُلّما هطلت سماءٌ من نوالِكْ[١٨]

ومع هذا التكسب، يُبقي الشاعر على إحكام نصّه الشعري، وينثر فيه الصور المختلفة، والأصوات المحببة، والالفاظ الجزلة الرخيمة التي تناسب هذا الغرض، وتوافق ذوق الممدوح، وتلاعب مشاعره ويده إلى حدٍّ كبير. ولعلّ صدق قولنا في هذا قوله يمدح عضد الدولة من قصيدة، ويذكر فيها صدق هذا الحاكم، ويتمنى أن ينصفه، وأن ينقذه من صروف الليالي وغدرها وما حاكت له. يقول في مدحه:

ما زلتَ تنصفُ في قضايا العُلا قل لي فما بال الضحى يتظلّمُ

أهديتَ رونقه إلى جُنح الدُّجى فاعتنَّ أشهبُ وهو طرفٌ أدهمُ
حتى كأنّ الليل صُبحٌ مشرقٌ وكأنَ ضوءَ الصبح ليلٌ مظلمُ
هي ليلةٌ لبست رضاك فأشرقتْ من بعد ما كانت بسخطَك تظلمُ
ما كان في ظنّ امرئٍ من بعدها أنّ الملوكَ على الليالي تحكمُ[١٩]

الشاعر هنا يمزج في ألفاظه وصوره ومعانيه بين المديح وبين النصح لهذا الحاكم وهذا الأمير ولا شكّ في أن الصور التي رسمها، وزيّنت مقطوعته الشعرية هذه كفيلة بهذا المزج في المشاعر والمعاني، كفيلة بتقديم النصح والموعظة بشكلها وقيمتها الصحيحة بدون ظلمٍ وبدون تجاوزٍ، مهما كان المقابل قد ظلم، أو فكر أنه سيظلم يوماً ما.

وتبدو الصور الحماسية، والصور القتالية واضحة المعالم، بادية المعاني في بعض أماديح شاعرنا المنطقي. وهو يذكرّنا بذلك الشعر الجميل الأصيل في الرسم والتشكيل وحسن استعمال الألفاظ منذ العصر الجاهلي والأموي وصولاً إلى العصر العباسي. فالألفاظ جزلة والمعاني قوية شديدة الوقع، والصور رُسمت بمهارة الفنان المتميز لتحاكي تلكم الحماسة، وتلكم الروح القتالية التي يتحلّى بها الممدوح وصحبه. يقول شاعرنا المنطقي:

وقفنا بها والشوقُ يطوي قلوبنا لواعجه والصبرُ غيرُ مطاوعِ
سقيتَ رجوعَ الظاعنين فإننا نُجلُّكَ عن سُقيا الغمام الهوامعِ
فجُعنا بأبكار المنى يوم خاطبت ربوعَكَ أبكارُ الخطوبِ الفواجعِ

ولا ينسى المنطقي صورة الخيل، وإقدامه في هذا المشهد القتالي الحازم. هذه الصورة لهذا الحيوان ظلّت ماثلة أمام الشاعر الفارس، وأمام العربي لحقب طويلة من عمر هذا الإنسان وإلى يومنا هذا. والمنطقي هنا يتلاعب بالألفاظ في وصف هذا الحيوان، ويُعنَى بتراسل الحواس لنرى في حيوانه الذي يصفه هنا، القوة والضخامة وسرعة الجري وقوة السمع، وسرعة الانقضاض على الأعداء، كما في قوله:

وخيلٍ إذا كفّ الطرادِ أراحها أصابت بحرِّ الطعنِ بردَ الشرائعِ
تكادُ ترى بالسمعِ حتى كأنها نواظرها مخلوقةٌ في المسامعِ
إذا ما دجا ليلُ الكريهةِ أطلعتْ نجومَ قَناً يغربن بينَ الأضالعِ[٢٠]

وله أيضاً في مدح الوزراء، كالقصيدة التي مدح فيها الوزير ابن صالحان، وقدّم لنا نصاً شعرياً يُستحق أن يكون في مقدمة النصوص الشعرية التي مُدح بها هذا الوزير، لعظيم فضله، وكبير عدله، وكثير محبته عند الشاعر وعند باقي البشر في عصره ومكانه. فهو يصف العيس التي رحلت إليه، ويصف هدى هذا الرجل، وكيف دلّت أخلاقه عليه، وكيف عُرفت فضائله بين الناس، حتى يسعى الجميع للوصول إليه، وطلب حاجاتهم منه، بعد التوكل على الله – سبحانه وتعالى –، وبعد ما رأوا في هذا الرجل كرماً وخلقاً ودماثة لم يروها على وزير من قبله كما يقول شاعرنا المنطقي في بعض أبيات هذا النص:

هداها إلى مغنى الوزيرِ نسيمه ومن شرفِ الأخلاقِ أن تتنسما

يصوبُ على العافينَ مزنُ بنانه فيكبتُ حسّاداً وينبتُ أنعما[٢١]

وله في مدح الوزير العلاء بن الحسن، نصٌّ آخر يثني فيه الشاعر على ثقافة هذا الوزير، وعلى تمكنه من الأدب، وعلى صنعته في الوزارة التي يعرّف لها بـ « الأقلام»، ويصلها بميدان الوزير خارجها، فهو المتمكن في الجمع بينهما، كما إنه المتمكن من الشجاعة، ومن حسن حظ أعدائه أن مكانه خفي، وإلّا لفعل وفعل وفعل... يقول مادحاً:

إذا اتصلت أقلامه بظباته تقطّعَ ما بينَ الطوائلِ والحقد

فلا يهنأ الأعداء أنَّ مكانَهُ خفيٌّ فقد تخفى الشرارةُ في الزندِ[٢٢]

وأما في الوزير ابن صالحان، فيبدو شاعرنا المنطقي متفائلاً في مدحه له. فيأتي بلوحات الطبيعة، ولوحة الطيف لترسم الابتسامة والسعادة على مُحيّا الشاعر وهو يتوجه إلى هذا الوزير ويمدحه، ولعلّ غاية مدحه في المعاني، والألفاظ، والصور، تكمن في خاتمة نصّه الشعري الذي مدحه به، وفي البيت الأخير من هذا النص الذي يقول فيه:

بلغنا بها مغناه وهي أهلّةٌ فلاحتْ لنا أخلاقُهُ وهي أنجمُ[٢٣]

وتبدو صورة الممدوح قاسية على الأعداء وهي تصور شجاعته، وتفصّل الحديث والرسم في عدّته القتالية، وفي سلاحه، وفي خيله، وفي أسيافه. وهي من الهند، ومن البيض يحقُّ لها أن تحمرَّ دائماً من هذه الشجاعة، ومن هذا الضرب في العدو مهما كان، وأنى كان. الصورة هنا توافق أفعال عضد الدولة، وتحاكي

اسمه، وترسم أفعاله في الشجاعة والإقدام. النص لوحة رسمت بريشة دقيقة، وبألفاظ وأصوات، توافق هذه المعاني، وتقدّم الريشة الشاعر، ما تجعله ناجحاً في التشكيل، مبدعاً في الرسم، يضاهي شعراء عصره المتألقين البارزين في الرسم والإبداع، ولاسيما في المديح، وفي وصف الممدوح في الشجاعة والإقدام والبسالة. يقول مادحاً:

لو أنّ بعضَ سماحها في مزنةٍ ... يوماً لأورقَ من نداها الجلمدُ
يا راقدَ الأسياف إلّا عن وغىً ... جفن الورى في حومتيه مُسهّدُ
ما بالُ خيلكَ ما تُقاتُ سوى السرى ... وظباك في غير الطلى ما تغمدُ
عاداتُ بيضِ الهندِ عندكَ أن تُرى ... حمراً كما مسَّ اللجينَ العسجدُ (٢٤)

هذا كل ما جاء في المديح عند شاعرنا المنطقي البصري. إحسان في الصور، دقة في وصف الممدوح ، اهتمام بالمعاني على الألفاظ في بعض نصوصه الشعرية المدحية. الإيقاعات والأصوات موافقة إلى حدٍّ كبير مع تلكم المعاني وهاتيك الصور في الرسم والتعبير عن شخصية من يمدح. إنه شاعر عباسي مدّاح ولولا ضياع شعره لانضَمَّ إلى طابور كبير من الشعراء العباسيين المدّاحين في شعرنا العربي الكبير .

ومن الأغراض الشعرية القديمة المتجددة التي جاءت في شعر شاعرنا المنطقي البصري ..الغزل. وفي هذا الغرض كثيراً ما يركز شاعرنا البصري على أماكن من يتغزل بها في شعره ، ولاسيما وهي الناعمة المترفة الجميلة التي تستحق ذلك المكان الذي تنعم فيه بكل هذا الترف والحضارة والنعومة والليونة ، فتستحق الهوى لذلك . ومن ذلك قوله في مقطوعة غزلية:

يا ريمُ وجدي فيك ليسَ يريمُ ... بينَ الضلوعِ وإن رحلتِ مقيمُ
لا تحسبي قلبي كربعك خالياً ... فيه وإن عفتِ الرسومُ رسومُ
تبلى المنازلُ والهوى متجددٌ ... وتبيدُ خيماتٌ ويبقى الخُيَّمُ (٢٥)

نرى الأوصاف حسية مشاهدة لإعجاب الشاعر المنطقي بهذا الغزال وبما فيه. والأكثر كان التركيز على المنازل والأماكن التي أسهمت في بناء الغرض ، ولذا ربما تكون

المقطوعة لوحة في الذكريات والبكاء على الماضي من قبل الشاعر وما كان يعانيه من لواعج الهوى وآهات الحب في حقبٍ من مراحل عمره التي عاشها في زمن الشباب ، وهذا النص بكاء على الماضي الذي شهد ذلك ، والذي بقي حاضراً في ذاكرته ومن ثم في شعره .

وقرب غزله من الفلسفة الكلامية ومن توافق بين أسماء السلاح وأسماء الطبيعة مع أسماء الحبيبة أو المعشوقة. ففي مقطوعة نرى مثل هذه الفلسفة ومثل هذا التوافق يبدوان بوضوح وجلاء في رسم الصورة عند الشاعر أبي علي المنطقي البصري. في مقطوعة غزلية من شعره نبيّن صحة ما نقول ، ذلكم قوله :

نوارُ وهي نوارٌ من مساعفتي وهندٌ وهي ببيضِ الهندِ تعتصمُ
تربانِ إن تكُ من جدواهمها تربتْ يدُ المحبِّ فوجدانُ الهوى عَدمُ
غضُّ المحيا إذا لاحظتَ وجنته كادت لحاظُكَ في ديباجِها تَسِمُ (٢٦)

ولا يخلو غزل شاعرنا المنطقي البصري من لوعات الفراق، وآهات الاغتراب العاطفي في بعض نصوصه الشعرية الغزلية. ومن ذلك ما قاله في مقطوعة تثبت حقّه في تلك اللوعات، وتترجم ما به من آهات وأرق زادها الحنين لوعة وبكاءً إلى المعشوقة، وإلى أيامها التي خلت، وهو طامعٌ في كرمها لكي تعود، ولو بنظرة... يقول المنطقي في الغزل:

إن كتم الليلُ حدَّت العَبقُ عنها وبعضُ الحديث يُنتشقُ
ردّي على العينِ فهي طامعةٌ كأسَ رقادٍ أراقها الأرقُ(٢٧)

ومن الأغراض القديمة المتجددة في شعر شاعرنا المنطقي البصري، الهجاء. ورأيتُ بروزاً لهذا الغرض في مقطوعة واحدة تقريباً انفردت بمعاني الذمّ والسخط والكره على شخص اسمه «موسى». وفي هذه المقطوعة يتوجّه شاعرنا المنطقي بذم الزمان، وبأخذه ما يريد من بني البشر، وليس هناك من مقتدٍ؟ وليس هناك من متعظ؟! يقول شاعرنا البصري في هذا الشخص:

يدُ موسى تذمُّ صحبةَ فيهِ هو يمحو سطورَ ما توليهِ

يبعثُ النائلَ الحليمَ فيقفو ... هُ بمنٍّ على العُفاةِ سفيهِ
ليتَ أنّ المشيبَ مهد بهِ مو ... سى وهو مسترجعٌ لما يهديهِ
كأخيهِ الزمانِ يأخذُ ما يعـ ... ـطي وما ضلَّ مقتدٍ بأخيهِ[٢٨]

الباقي ربما يلمح القارئ بصيصاً من هجاءٍ وذم عند شاعرنا المنطقي في نصوصه الشعرية المدحية. وذلك تقليد متبعٌ، ونهجٌ شائعٌ في شعرنا العربي أن يتضمن المديح هجاءً وذمّاً لأعداء الممدوح. فالمنطقي شاعر مثقف، مطلعٌ على موروث الشعر العربي القديم، ويعرف كيف يلج إلى غرضه الذي ينظم فيه، ولاسيما في غرض المديح الذي هو أول أغراض الشاعر وأهمها وأكثرها.

ومن الأغراض الشعرية القديمة، التي تجدّدت في شعر شاعرنا المنطقي البصري، الخمرة، إذ وردت في إحدى مقطوعاته الشعرية. وهو في مقطوعته هذه يسمها بـ « القهوة»، من أسمائها الشائعة التي تدلّ على قوة وحسن صنعتها؛ ولأنها تقهي الشارب فلا يحسُّ معها بشيء، بل ولا يريد هو أن يحسَّ معها بشيء... ولذا راح شاعرنا يسبغ عليها صفات الروح والريحان، والجسم والنار لما تفعله هذه القهوة في نفس شاربها، وفي روحه وعقله. إنها النور الذي يزور الإنسان، وهو الذي يجعل الكل في نشوة وسعادة وإطراب، لا فرق بين مسرورٍ وغير مسرور، بين غنيّ أو فقير... يقول:

وقهوةٍ مثلَ رقراقِ السرابِ غدا ... جيبُ المزاجِ عليها غير مزرورِ
تختالُ إن بثَّ فيها الماءُ لؤلؤه ... ما بينَ عقدينِ منظومٍ ومنثورِ
سللتُها مثلَ سلِّ الفجرِ صارمَةً ... وأحجم الليلُ في أثوابِ موتورِ
كأنها إذ بدت والكأس تحجبها ... روحٌ من النارِ في جسمٍ من النورِ
إذا تعاطيتُ محزوناً أبارقها ... لم يعدُني كلّ مفروحٍ ومسرورِ
أُمسي غنياً وقد أصبحتُ مفتقراً ... كأنما المُلكُ بين الناي والزيرِ[٢٩]

والشاعر ينزع إلى النواسية في مثل هذا الغرض تقليداً لشعر ذاك الشاعر الكبير، يريد أن يجاري ألفاظه، وأن يجاري تمكنه في وصف الخمرة، بل ويقلده في رسم ما تفعله في شاربها، وحتى في وصفها وفي وصف دبيبها كما كانت عند أبي نواس

(ت١٩٨هـ)، أكبر شاعر في الخمرة، وفي وصفها، ووصف ما حولها، ومن ذلك ما قاله شاعرنا البصري المنطقي يحاكي التجربة النواسية في صنعة الشعر ونظمه والإتقان فيه، والإبداع فيه على تلكم التجربة وذيوعها وشهرتها الأدبية والفنية إلى يومنا هذا:

كأنّ دبَيبها في كلّ عضوٍ ... دبيبُ النوم في أجفانِ ساري

صدعتُ بها رداءَ الهمِّ عني ... كما صدعَ الدجى وضحُ النهارِ[٣٠]

إذا ولّيت وجهي شطر الأغراض والاتجاهات الموضوعية المستحدثة في شعر المنطقي البصري، كما في شعره الواصل إلينا، رأينا مثل هذه الأغراض تكمن في الإخوانيات أو الأخويات. وهو غرض يحكي أواصر العلاقة الطيبة والحميمة بينه وبين أترابه وأصحابه ولداته من أبناء المجتمع، فهي بعيدة عن المصالح النفيعة أو التكسبية كغرض المديح، أو عن مشاعر الذات والحب العاطفي كالغزل، وبعيدة أيضاً عن العلاقات والمشاعر الذاتية تجاه الآخر كالرثاء.

وتشمل الإخوانيات الكثير من الاتجاهات في داخل مضمونها ومفهومها الأدبي النقدي في الشعر العربي من مثل: التهنئة والعتاب والاعتذار... وغير ذلك.

والإخوانيات، ولاسيما في الشعر تشكّل نوعاً من أنواع المنحى الاجتماعي في الشعر العربي عند الشاعر الذي ترد في شعره فهي تصوّر العلاقات الاجتماعية بين الشاعر والمجتمع، وهي تقصُّ علينا ما يحدث في ذلك المجتمع من خلال تصويرها لتلكم العلاقات.

في معاني الشوق والتوق إلى الآخر ← ← الشخص المقرّب من الشاعر المنطقي، ومن حياته يبرز لدينا نوع واتجاه من أنواع واتجاهات الإخوانيات في شعر هذا الشاعر، فنراه يتعلق بابن معروف، وينظم شوقاً وحباً إلى هذا الرجل في مقطوعة تبدو بعيدة – نوعاً ما – عن الرسميات، وعن التكلّف. يقول منها شاعرنا المنطقي:

أخو الثنايا التي بالقلبِ مذ ظعنتْ ... أضعافُ ما بوشاحيها من القلقِ[٣١]

وأما عن معاني العتاب وأفكاره، ذلك النوع والاتجاه الآخر من أنواع واتجاهات الإخوانيات في شعر أبي علي المنطقي، فيأتي في مقطوعة أُخرى من مقطوعاته ومن نصوصه الشعرية التي وصلت إلينا، والتي ضمّها هذا المجموع. وفي هذه المقطوعة

تبدو ألفاظ اللوم والعَذل ظاهرة على مشاعر ناظمها، ويبدو العتب جلياً في استعانة الشاعر أبي علي المنطقي بالتشبيه الضمني في نهاية الشطر الثاني في البيت الشعري الثاني الذي يُظهر مدى أهمية الصديق، وأهمية الصاحب في هذه الدنيا، ولاسيما الصاحب الصدوق والصديق الوفي، يقول شاعرنا في مقطوعته في العتاب هذه:

صافيتُ فضلك لا ما أنتَ باذلُهُ وعاشقُ الفضل يُغرى كلّما عُذلا
إني أعيذُكَ من قولي لسائله لقد حدوتُ ولكن لم أجدْ جملا[٣٢]

وفي مقطوعة أُخرى، لفَّ الشوق معانيها، وتخلّلها المديح وحسن الثناء وطيب الذكر. كيف لا وصاحبها أديب، ويعرف معاني الأدب، ويقدّر صحبة ومعاشرة أهل الأدب. وأهل الشعر. وهذا كامنٌ في مشاعر الشاعر أبي علي المنطقي وفي كنه مشاعره. فنراه يقرن البين والفراق بالموت، ويزيد على هذه المشاعر تبعاً للصحبة بينهما، وتبعاً لما يحمله صاحبه وتربه من أخلاق وعلم وإفضال عُرفت عند الجميع. يقول شاعرنا المنطقي في هذا الشوق إلى صاحبه أبي بكر العلّاف:

كأنّ البينَ تربُ الموتِ لكنْ توارى في الضنا لا في الثياب
ولولا أنّ فرطَ الشوق واشٍ بحبك لاستزدتُكَ ضعفَ ما بي
جمعتَ غرائبَ الآداب حتى إذا قُرنتْ إلى النعم الرغاب
ظللتَ مناديا في كلِّ أُفقٍ بصوتِ البذلِ حيَّ على انتهاب[٣٣]

وأمّا مع مجالس الشرب، وبين أحضان الطبيعة، وفي أحضان الخمرة ولذة شربها، لا ينسى شاعرنا المنطقي البصري أن يعرّج قليلاً على وصف إخوانه وندمائه في مثل هذه المجالس. فهو يحثّهم في السير إلى الممدوح، ويطلب منهم التغني بأوصافه والتباهي بفعاله، فهو – في نظره – يستحق هذا أو أكثر. ويصف من سافر معه في رحلته هذه، وهم الإخوان رفقاء السفر. وقاطعوا الطريق بالخير والمحبة والمعونة.

من ذلك قول شاعرنا:

يَميسونَ فوقَ الميسِ حتّى كأنهم شروبٌ تَساقى والرحالُ المجالسُ
أصاخوا وقد غنيتهم باسم ماجدٍ لأقلامه تعنو الرماحُ المداعسُ[٣٤]

ومن الأغراض الأخرى المستحدثة التي ظفرنا بها في شعر أبي علي المنطقي

البصري، الشكوى. وشكواه كثيرة ولاسيما من الزمان ومن بعض الناس ومن العاهة (العمى). ويبدو أنه عانى شظف العيش، وازدحام البلوى، وكثرة الخطوب في أُخريات حياته حتى رأينا كل هذه الشكوى في شعره، وأغلب أنواعها مع قلّة شعره الواصل إلينا، فضلاً عن معاني الشكوى وأفكارها مع نصوصه الشعرية المدحية أو الغزلية أو الإخوانية. فمن شكواه في الدهر وصروفه، وتقلب أيامه قوله:

ولم أرَ مثلَ الدهرِ مُسدي نعمةٍ يجودُ لها عفواً ويأخذُها غصبا

إذا كنت عُذر الدهرِ في سوءِ ما جنت يداه فذنبٌ أن تُعدَّ لَهُ ذنبا[٣٥]

وأما في شكوى الناس، وأهل زمانه، فلا يبتعد شاعرنا المنطقي عن ذكرهم بما فعلوه معه. وهو يؤثر على نفسه الابتعاد عن بعض الخلان، مهما كان، وأنّى كان، فهو لا يرضى لنفسه، ولا لأدبه أن يبقى أسيراً لصحبة من لا وفاء له، ولا عهد له، ولا مودة له. يقول في مقطوعة بشكواه هذه:

إني إذا ما الخلُّ خادعَهُ عُني الزمانُ وخال عن عهدي

جانبتُهُ ولو أَنه عمري وقطعتهُ ولو أنّه زندي[٣٦]

وأما في شكوى العاهة، وشكوى الذات، فهذا النوع من الشعر قد انتشر في العصر العباسي منذ القرن الثاني للهجرة، كما يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة[٣٧] وأطلق على هذا النوع من الشعر «الشعر الذاتي»، مصطلحٌ له دلالات عميقة وحسنة عند أهل النقد والأدب، وهو مصطلح يعنى بتصوير ما في نفس الشاعر تجاه ما يتعرض له من عقبات وعاهات، ولاسيما عاهة العمى، التي لازمت الشعراء العرب كثيراً، وكُتب عنها في الدراسات النقدية والأدبية في الشعر العباسي[٣٨]، أو في الشعر الأندلسي[٣٩].... الكثير الكثير.

وشاعرنا المنطقي البصري من أولئك الشعراء العباسيين الذين أُصيبوا بهذه العاهة في أُخريات عمرهم. ونجد لها ولذكرها وللشكوى منها صدًى طيباً في شعره تغافل عنه أولئك النقاد والدارسون بلا سبب؟! فمن ذلك قوله يصف الهموم ويذمّها، ويفخر بالبصيرة، بل بالبصائر على البصر:

ما للهمومِ إذا ما هِيمها وردتْ عليَّ لم تفضِ من وردٍ إلى صدرِ

كـأنمـا وافـق الأعـشـابَ رائـدُهـا لدى حماي فقد ألقى عصا السفر
أن يجرحِ الدهرُ مني غيرَ جارحةٍ ففي البصائرِ ما يغني عن البصرِ[٤٠]

ونراه دائماً يتحلّى بالصبر، ويجعله العُدّة والسلاح تجاه هذه الهموم، وهذه العاهة وتُجاه صروف الليالي وما حاكته له من غدرٍ أو فقر أو عوز، كقوله في معرض المديح:

لأصبرنَّ على ما سامني زمني صبرَ الكريمِ على الإقلالِ إكثارُ[٤١]

ويقدّم العذر لبعض أهل زمانه، فهم من بني البشر الذين يخطئون، وكلنا ذو خطأ، وفي هذا الموقف، وفي مثل هذه المشاعر تتضح لنا نفسية الشاعر الشفافة البريئة التي لا تحمل حقداً أو كرهاً لأحدٍ مهما كان، ومهما فعل. لعلّ التجربة العلمية، والرحلات التي قام بها شاعرنا أثرّت في مشاعره هذه كثيراً وتركته في نفسية قوية أمام كل الظروف، وفي حمدٍ دائم لما أصابه. يقول في شعره:

وما قلتُ إلّا ما علمتُ ولم أكنْ كحامدٍ وردٍ لم يذقْ طعمَ غبِّه
وذنبُ زماني أهلُهُ غيرَ أنني أراكَ لَهُ عذراً مَحا شطرَ ذنبه[٤٢]

هذه كانت أغلب الأغراض والاتجاهات الموضوعية التي جاءت في شعره. إنها أغراض جمعت بين القديم والحديث في الشعر العربي في العصر العباسي، وإنه شاعرٌ – في رأيي – استطاع أن يجاري بشعره كبار الشعراء في هذا العصر، ولو قدر الله ووصل إلينا شعره كلّه، لكان في مكانة كبيرة أكثر مما كانت عليه بكثير وكثير...

٢. السمات والخصائص الفنية:

نظم شاعرنا أبو علي المنطقي البصري القصيدة والمقطوعة. والقصيدة إذا بلغت عشرة أبيات، والمقطوعة ما دون تسعة أبيات. وفي النوعين كليهما استوفى المنطقي شروط النظم، وإحكام صنعة الشعر. وحتى في القصيدة مع قلة أبياتها رأينا شاعرنا المنطقي يشير إلى الرحلة فيها، وإلى الأطلال في بعض مقدمات قصائده التي وصلت إلينا.

وفي بناء المقطوعة رأينا الفكرة الموجزة، واللفظة الموحية الدالة على هذه الفكرة، فضلاً عن بعض التناصات التراثية الأدبية، والاقتباس من آيات القرآن الكريم وألفاظه ومعانيه في بعض مقطوعاته الشعرية.

هذا فيما يخصّ البناء الهيكلي للنص الشعري، وأما من جهة الألفاظ والتراكيب والأساليب اللغوية، رأيت في ألفاظ شاعرنا المنطقي بعضاً من الاتكاء على الموروث القديم ولا سيما الشعر العربي الجاهلي، فبدت الألفاظ جاهلية قوية، جزلة وافقت الغرض أحياناً وجانبته أحياناً أُخرى، ولاسيما في بعض القوافي الشديدة التي لا تصلح كثيراً مع بعض الأغراض الرقيقة والرشيقة المحببة إلى القلب والنفس الإنسانية كالغزل والإخوانيات، مما جاء في شعر المنطقي.

وما رأيت تلك الأساليب الملفتة للنظر في شعره، فهو قد استعمل الأساليب اللغوية والنحوية والبلاغية كلها، وأحسن في بعضٍ استعمال معانيها الثواني وما يريده الشاعر من المعنى البعيد، بدلالة اللفظ القريب. كقوله في النداء في غرض الغزل:

يا ريمُ وجدي فيكِ ليسَ يريمُ بين الضلوعِ وإن رحلتِ مقيمُ[٤٣]

وقوله في المديح، مستعملاً همزة «النداء»:

أَربعَ الصبا غالتك بعدي يدُ الصبا وصعَّد طرفُ البينِ فيكَ وصوّبا[٤٤]

واستعمل شاعرنا بعض الأساليب الأُخرى في شعره، فرأيتُ في شعره الحذف ولاسيما مع الحروف، وكذلك رأيت من بين أساليبه الشرط في الأداتين (إذا، إنْ)، وكذلك في الأداة (لو) ومعانيها المجازية الدالة على الشرط. وفي هذه الأدوات كلّها أفاد الشاعر من ربط شطري البيت، وتعالقه مع الأبيات الشعرية، ووحدته في الدلالة والموضوع والمعنى في النص الشعري بكامله.

ولا نبعد كثيراً في حديثنا عن الأساليب اللغوية والنحوية التي استعملها شاعرنا المنطقي بالقول أن هناك بعضاً من الأساليب تركت بصمتها الدلالية الواضحة في نصوص الشاعر، ومن هذه الأساليب: القصر، والاستثناء، والحذف، والتقديم والتأخير بأنواعه... وهذه الأساليب متوافرة في شعر شاعرنا المنطقي، شأنه شأن الشعراء العرب الآخرين، وفي المدونة الكلامية المعلنة بهذا النص، فإنما هو كلام يحتكم إلى أساليب اللغة والنحو والبلاغة والدلالة، وما في هذه الأساليب من دلالات ومفهومات ومقاصد يريدها الشاعر، ويسعى إليها لبناء نصّه الشعري بعناية ودقة.

وأمّا في الصورة، فالشاعر المنطقي شاعر مصور، نهل من مظاهر الطبيعة

بعضاً من مصادر صوره الشعرية، وكذلك من شخصية الممدوح ولاسيما في الشجاعة وذكره لساحات الوغى وأنواع الأسلحة، ومظاهر الحرب، كانت هذه العناصر من بين مصادر الصورة في شعر الشاعر المنطقي البصري، كما يلحظ القارئ والمتلقي الناظر والمتطلع لشعر هذا الشاعر العباسي.

واستنطق الشاعر البصري فنون البيان في رسم صوره الشعرية، ولاسيما في التشبيه وفي الاستعارة، والاستعارة التصريحية منها، وكذلك رأيت استعمالاً أقل للكناية ولاسيما مع غرض المديح وغرض الإخوانيات في شعره. وفي هذه الفنون كلّها وفّر شاعرنا المنطقي البصري علينا أطراف الصورة، وأحسن إلى حدّ كبير في رسم وجه الشبه والعلائق بين الأطراف جميعها في تشكيل الصورة، وتزيينها وتقديمها بالشكل الأدبي والنقدي والبلاغي اللائق إلى القارئ والمتلقي.

وكذلك استند الشاعر المنطقي في رسم صوره على الألوان ومدلولاتها الكثيرة، والألوان عنده جاءت بالشكل المباشر في الأبيض، والأخضر، والأحمر، والأسود، وجاءت بشكلها غير المباشر، كالموحيات بالألوان وهي الأضواء مثل: الشمس، الليل، البرق، القهوة... وغير ذلك.

ورأيت استحساناً مهماً لهذه الألوان واستكناه مدلولاتها في النصوص الشعرية ذات الأغراض الذاتية الوجدانية كالغزل والخمرة أو في الأغراض ذات العلاقات الودّية العاطفية الصادقة كالإخوانيات وأنواعها. كما وردت في شعر المنطقي، وكما أسلفت الحديث عن ذلك في الدراسة الموضوعية بشواهدها، وتحليل وشرح تلك الشواهد. وأما عن ناحية الموسيقى والأصوات، فالشاعر المنطقي، استعمل أغلب بحور الشعر العربي، خلا المجتث أو المقتضب أو المتدارك... وهي بحور قليلة الاستعمال في الشعر العربي. وفيما عدا ذلك كانت بحور الشاعر أبي علي المنطقي، هي البحور الشائعة والمستعملة في عموم الأدب العربي، كالبحر الطويل، والبحر الكامل، والوافر، والمتقارب، والخفيف... واستعمل البحور المجزوءة كالكامل المرفّل.. وفي استعماله لهذه البحور ترك المنطقي نغماً مطرباً وإيقاعاً رشيقاً وافقت الأغراض التي نُظمت عليها ووافقت القصائد أو المقطوعات التي جاءت حاملة لتلك الأغراض ومعانيها.

وفي الإيقاعات الداخلية، مال الشاعر المنطقي إلى استعمال بعض من فنون البديع واستثمر هذا الاستعمال في رسم ضربات موسيقية رشيقة، ومؤثرة في النص الشعري، كما هي مؤثرة في القارئ والمتلقي حين يسمع شعر المنطقي، ويصغي لهذا الإيقاع المطرب مع هذه الفنون التي استعملها، ومن تلك الفنون: الجناس والتضاد، والتدوير ولاسيما مع بحر الخفيف الذي يشيع معه، ويرافقه في تفاعيله وزحافاته وعلله [٤٥].

٢-١. وتر جاهلي:

نشأ هذا العنوان في الدراسة من واجب بحثي في بيان فضل الشاعر المنطقي الثقافي، وأثر الثقافة الأدبية على نصوصه الشعرية ولاسيما الشعر الجاهلي، والنص الجاهلي الخالد الذي ظلّ أنموذجاً يحتذى من قبل الشعراء العرب إلى سنوات بعيدة وطويلة من حياة شعرنا العربي وعصوره المتلاحقة بعد هذا العصر.

من ذلك الشعر، ومن تلك الأوتار التي عزف عليها شاعرنا المنطقي البصري، الأطلال وما أدراك ما الأطلال! عشق المكان السرمدي وما فيه عند الشاعر العربي الجاهلي. رأيتُ شاعرنا المنطقي يميل إلى هذا المكان، وإلى هذا الرمز الإنساني الخالد في شعره وبين نصوصه.

ومن ذلك قوله من قصيدة، ضاع جلّها – وللأسف- :

وقفنا بها والشوقُ يطوي قلوبنا لواعجه والصبرُ غيرُ مطاوعِ
سقيتَ رجوعَ الظاعنينَ فإننا نجلُّكَ عن سُقيا الغمامِ الهوامعِ
فجُعنا بأبكارِ المنى يومَ خاطبت ربوعكَ أبكارُ الخطوبِ الفواجعِ[٤٦]

النص جاهلي بقضه وقضيضه، كأنما أنشد بلسان لبيد بن ربيعة أو الأعشى أو النابغة. وأثر المكان، والأطلال، والدوارس بادية عليه بما لا يقبل الشك ولا يحتمل التأويل. ومن هنا فشاعرنا المنطقي البصري أحسن استعمال الألفاظ والتراكيب والصور مع دلالة المكان والنواحي الشعورية النفسية وهو ينظم مثل هذه النصوص. فبقيت مثل نصوصه هذه قوية جزلة، بعيدة الوقع وصلت إلينا بعدما نقلها من ترجم له وأثنى عليه.

ولنقل مثل هذا الكلام المنطقي والفعلي الأدبي والنقدي على نصّه الشعري الآخر في استثمار دلالات الأماكن والنظر في تراث الأسلاف الجاهليين في استيحاء الأطلال، ورسم أبعادها المكانية والزمانية والشخصية في النص الشعري، المدونة الكلامية مفتوحة الدلالات والتعبير والرؤى. ولنستمع لما يقول المنطقي البصري في هذه الأماكن وهذه الأطلال، ولكن من وجهة نظر الشاعر العباسي:

دِمَنٌ مرضنَ من البلى فكأنما ... تأتي الرياحُ طلولها عوَّادا
مَن كلّ مدنفة الرسوم كأنها ... من قبلُ كانت للمحبِّ فؤادا
إن لم يطر شرر السُّرى منّي فلا ... قدحتْ يدي للمكرمات زنادا[٤٧]

الشاعر العباسي هنا ينظر إلى من سبقه في استعمال هذه الأماكن ويستثمرها في شعره، ويرسم دلالات نصّه الشعري من وحي ذلك الاستثمار.

ولا يبعد المنطقي في نصوصه الشعرية، عن هذا الاستثمار للأماكن والمنازل وإيداعها شعره، ولاسيما في الغربة والحنين والبكاء على الأيام التي مضت والتي يبدو أنها كانت جميلة، أو أفضل من أيام شاعرنا في حياته الأخيرة. في نص آخر نرى الشاعر يتابع الوقوف على الطلل بالبكاء والأحزان، وهذا ما اعتاد عليه الشعراء الجاهليون من امرئ القيس بالوقوف والبكاء على الطلل، وهو البكاء على المكان والزمان من خلال هذا المكان ← ← الطلل، ومن خلال ما فيه من دلالات ومظاهر يحاول الشاعر استكناه دلالتها ، واستنطاق موحياتها المكانية والأدبية والفنية، ومن ذلك قوله:

منازلُ ذاتُ الوقف إني لواقفٌ ... عليك وماءُ القلب لا الدمعَ ذارفُ
بليتُ ولم يَبْلَ الجديدُ من الهوى ... وحُلتَّ وما حالَ الغرامُ المحالفُ
أنزفاً جفوني والحيا عنك ممسكٌ ... ويرفقُ وجدي بك عانفُ[٤٨]

ولم يقتصر التأثير الجاهلي، شعراً ونظماً ولفظاً، في شعر أبي علي المنطقي على لوحة الطلل وذكر الأماكن فحسب، وإنما تعدّى ذلكم التأثير إلى لوحات أُخرى. فلوحة الخيل، ووصف الحرب. وذكر الممدوح من خلالها الأنموذج الجاهلي الواضح عاد في شعره وفي نصوصه مرة أُخرى في الشعر العباسي. ومن ذلك قوله في معرض المديح، يصف الخيل وما تفعله بالأعداء، ويصف فرسانها وما يفعلون:

وخيل إذا كُظّ الطرادِ أراحها أصابت بحرٍّ الطعنِ بردَ الشرائعِ
تكادُ تُرى بالسمعِ حتى كأنها نواظرها مخلوقةٌ في المسامعِ
إذا ما دجا ليلُ الكريهة أطلعتْ نجومَ قناً يغربنَ بينَ الأضالعِ[٤٩]

ولم تكن لوحة الخيل وحدها أيضاً هي التي أثّرت في شعر المنطقي، ورسمت لوحاته، وعبّرت عن أفكاره، وأوصلت مشاعره وأحاسيسه إلى المتلقي من قبيل تأثره العالي بشعر الجاهليين، ومحاكاتهم في أشعارهم، ورسم لوحاتهم، بل برزت أيضاً لوحة الرحلة وأهمية هذه اللوحة عند الشاعر الجاهلي ومن ثمَّ عند الشاعر الإسلامي والأموي في رسم الصورة، واستيفاء عناصر القصيدة ليصل الشاعر إلى الغرض وليُتمَّ هذا البناء الهيكلي المتسلسل كما كان الشاعر القديم، وكما يريده النقد الأدبي العربي، الذي ظل بالنسبة له أنموذجاً ومثالاً يقتدى ويحبّذ أن يحتذى من قِبل الشعراء الذين جاؤوا بعد العصر الجاهلي إلى زمن شاعرنا المنطقي بل وإلى أبعد من زمنه.

في المديح، ومع قلة أبيات القصيدة، نرى لوحة الرحلة تداخلت مع هذا الغرض ومن حقّها أن تتداخل ، بل ويجب – عند البعض – أن تتداخل كما كان ذلك في النص الشعري الجاهلي. وهو تداخل محمود، ومُتّبع، بل والخروج عليه بدعة، ونقمة من قبل الناقد على الشاعر وشعره. يقول المنطقي البصري مادحاً الوزير ابن صالحان مستثمراً الرحلة وأهميتها وصولاً إلى الممدوح وعطاياه وفضله على سائر الناس وعلى الشاعر:

وليلٍ أكلنا العيسَ تحتَ رواقِه بأيدٍ تُرى تثني الرواسمَ أرسما
بهيمٌ نضونا بُرده وهو مُخلقٌ وكنا لبسناه قشيباً مُسهَّماً
هداها إلى مغنى الوزيرِ نسيمه ومن شرفِ الأخلاقِ أن تتنسّما[٥٠]

وأمّا عن المعاني والصور والألفاظ، فكانت هي الأخرى في موقع التأثير بين نص شاعرنا المنطقي، وبين النص الشعري الجاهلي. ولاسيما يبين هذا التأثير وضوحاً وتمّيزاً، ويزدادُ علوّاً ومساحة في نصوص الشاعر المدحية، وفي أوصاف الحرب، وذكر رحى المعارك، وأقاصيص الشجعان ومنهم ممدوح شاعرنا المنطقي. إنّ نصوصه في هذه الأوصاف، وفي هذا الغرض كأنها نصوص أوس بن حجر، أو نصوص عنترة،

أو نصوص شعر الفرسان كأبي دؤاد الإيادي وغيرهم، في حسن استعمال الألفاظ المجلجلة، والأصوات القوية، والإيقاعات الشديدة التي توافق إيقاع الحرب، والأصوات التي تقع فيها، والنتائج التي تترتب عليها. ومن ذلك قوله في معرض المديح:

أَكُفكم تعطي ويمنعنا الحيا وأقلامكم تمضي وتنبو الصوارمُ

وإنّ أبا العباسِ إن يكُ للعُلا جناحاً فأنتمُ للجناحِ القوادمُ[٥١]

وقوله في عضد الدولة، وفي هذا النص الشعري يبرز التأثر بألفاظ وأصوات وإيقاع الشعر الجاهلي حتى مع القافية وحروف الروي وحركة هذا الروي. فالنص الشعري نص متكامل في الغرض والصورة والصوت، وهذا ما أراده الشاعر لنصّه الشعري ولاسيما أنه في المديح وفي مديح الأمير والحاكم وصاحب السلطة، يقول:

يا راقدَ الأسياف إلّا عن وغىً جفن الورى في حومتيه مُسهَّدُ

ما بالُ خيلكَ ما تُقاتُ سوى السرى وظبـاكَ في غير الطُّلى ما تغمدُ

عاداتُ بيضِ الهندِ عندك أَن تُرى حمراً كما مسَّ اللجينَ العسجدُ

هذا هو الوتر الجاهلي الذي عزف عليه شاعرنا في شعره، في اللوحات وفي الأغراض، في المعاني وفي الصور وفي الاصوات، ولابدّ أن نقول إن لكل شاعر ألفاظه وصوره ومعانيه، فشاعرنا صاحب المعاني المتجددة المتأثرة بأصالة الشاعر الجاهلي ونصّه، وكذلك في ألفاظه وصوره ولوحاته.. فلقد جمعتْ هذه المظاهر وهذه العناصر بين أصالة الشاعر الحيّة المعيشة عند شاعرنا ، وبين التراث الأدبي العربي الجاهلي الشامخ، ويا لهُ من جمعٍ مميز، وسنة محمودة، اتبعها شاعرنا المنطقي وأحسن في اتباعها، وقليلٌ من يتبع، وقليلٌ من يُحسن.

٢-٢ وترٌ فلسفي:

من الترجمة البسيطة التي عثرتُ عليها لأبي علي المنطقي البصري، قيل فيه أن كان عالماً بالمنطق، قوي الرتبة فيه. وإذا أضفتُ تأثير البصرة وسحرها الفلسفي، ونشوء علم الكلام، وعلم المنطق فيها ولاسيما في العصر العباسي، وفي الحقب التي عاشها شاعرنا - ولو بَعُد عنها - تقول إن هذه التأثيرات في علم المنطق، أو في علم الفلسفة، أو في علم الكلام وجدت صداها عند الشاعر المنطقي، وفي نصوصه

الشـعرية التي وصـلت إلينا. فنرى أثر التلاعب اللفظي، ونرى أثر الاستدلال العملي. وكذلك نرى الفلسفة والمنطق في بعض اللوحات، وفي بعض الصور عنده، كما وضحت في بعض نصوصـه الشـعرية التي عرضـت لها في الدراسة الموضـوعية، أو من خلال النصوص التي سأعرض لها هنا.

والمنطقي البصري الشاعر، ناظرٌ ومستوحٍ من المنطق البصري المتفلسف والمجيد لعلم الكلام والمنطق. صـحيح إنه لم يذكر مصـطلحات هذا العلم وماهيته صـراحة، إلّا أن الألفـاظ والصـور والمعاني، والتأثر القرآني والتأثر الأدبي وصـياغتها في بوتقة المدونة الكلامية الجديدة، وفي النص الشـعري الجديد تضعنا أمام وتر فلسفي متأثر بعلم الكلام وبعلم المنطق، موغل في هذا التأثر إلى حد كبير.

ففي الاستدلال بالبصيرة، وتفوقها على البصر (الحاسة) ، ولاسيما بعد أن فقد شـاعرنا نظره وحاسته الأولى هذه، نراه يقول شـعراً في ذلك في أحد نصوصه. وهذا النصـ يتلاعب فيه الشـاعر تلاعباً منطقياً بالألفاظ وبالجناس تحديداً ليصـل إلى هذا الاسـتدلال العقلي المهم الذي يريده، ويتفوق به الكفيف عادة على المبصرين، بل ويفخر به عليهم، ويسـتهزئ بهِ منهم. ونشـمُّ مع هذا الاستدلال وهذه الألفاظ رائحة طيبـة في التأثر بالآيات القرآنية، وإعجاز كلماتها، وروعة فواصـلها. يقول المنطقي لما أُصيب ببصره:

ما للهموم إذا ما هيمها وردتْ عليّ لم تفض من ورد إلى صدرِ
كأنما وافق الأعشابَ رائدُها لدى حماي فقد أَلقى عصا النصر
إن يجرح الدهرُ مني غيرَ جارحةٍ ففي البصائرِ ما يغني عن البصرِ

في الخمرة التي يصـفها الشـاعر، نرى الوتر الفلسفي المنطقي واضحاً بيناً في شعره، ولاسـيما في مسألة الخلق، ومسـألة النور والنار. كأنه ينظر في جهة الاستدلال العقلي والتأويلي إلى خلق الملائكة وخلق إبليس، والفرق بينهما لا يخفى على الجميع، وفضلاً عن هذا الاستدلال هذا التلاعب بالألفاظ، وبالأصوات لتأكيد هذا الاستدلال، ولتمكن الشـاعر من علم الكلام وفلسـفته، وما الشـعر إلّا من هذا العلم، ومـا الإتقان فيه أو البراعة بنظمه، إلّا من براعة وإتقان مثل هذه العلوم ولاسـيما في عصر الفلسفة، وفي

عصر علم الكلام؛ العصر العباسي. لنستمع إلى شاعرنا يصف الخمرة ومجلسها:

كأنّها إذ بدت والكاس تحجُبها ... روحٌ من النارِ في جسمٍ من النورِ

إذا تعاطيتُ محزوناً أبارقَها ... لم يعدُني كلّ مفروجٍ ومسرورِ

أُمسي غنياً وقد أصبحتُ مفتقراً ... كأنما الملكُ بينَ الناي والزيرِ

فلسفة الدهر، والحكمة من هذه الفلسفة، وكيف تكون مع الشاعر الكفيف، أو الذي كُفّ بصره في أُخريات حياته، رأينا لهذه الفلسفة بعض الأصداء الطيبة، والمهمة في شعر شاعرنا البصري. وتساعد هذه الفلسفة الرؤية الذاتية للشاعر، ولاسيما مع معاناته الطويلة، ورحلاته الكثيرة، هذا فضلاً عن الألفاظ التي دلّت على هذهِ المعاناة، وفضلاً عن الأصوات التي حكت هذهِ المعاناة بوضوح وصدقٍ ومباشرة. فالشاعر المنطقي البصري لا يكفُّ عن وصف النائبات التي مرّت به، وعاني منها في عموم شعره، ولا يبعد عن التأثير الفلسفي الكلامي، والاستدلالي بما قاله أهل الفلسفة وأهل الكلام عن الدهر وصروفه ونوائبه. ومن ذلك قوله يمدح ويذكر الدهر وما فعله فيه:

بهِ تخضرُّ أغصانُ الأماني ... ويُجبر عنده الأملُ الكسيرُ

وتبسمُ نائباتُ الدهرِ عنهُ ... كما ابتسمت عن الشنبِ الثغورُ

لقد سهلت بكَ الأيامُ حتى ... لقال الناسُ لم تكن الوعورُ

وكيفَ أخافُ دهراً أنت بيني ... وبينَ صروفهِ أبداً سفيرُ(٥٢)

ويفصّل الشاعر المنطقي البصري في ألفاظ الدهر، وألفاظ الزمان في لوحة أُخرى في نص شعري آخر من نصوصه الشعرية التي وصلت إلينا، والتي ضمّها هذا المجموع. ذلكم النص في المديح، وفي عضد الدولة تحديداً. أما غرضه فهو الصدق، والصدق محور الاستدلال العقلي، والشاعر البصري ينظر إليه من وجهة أُخرى، ويتعمّق في وصف الممدوح، ولا ينسى التعريج على الزمن وألفاظه وأوقاته المختلفة الكثيرة كـ: (الضحى، الليل، الصبح)، ويودع هذه الأوقات نصّه الشعري المدحي في معادلة غريبة تقوم على الفلسفة، وتوحي بالمنطق، والتأثر بعلمِ الكلام بجميع أشكاله، وأقسامه، ومن ذلك قوله مادحاً:

ما زلتُ تنصفُ في قضاياك العُلا ... قل لي فما بالُ الضحى يتظلّمُ

أهديتَ رونقه إلى جنح الدُّجى فاعتنّ أشهبُ وهو طرفٌ أدهمُ
حتى كأنّ الليلَ صُبحٌ مشرقٌ وكأنَّ ضوءَ الصبحِ ليلٌ مظلمُ
هي ليلةٌ لبست رضاك فأشرقتْ من بعد ما كانت بسخطك تظلمُ
ما كانَ في ظنِّ امرئ من بعدها أن الملوكَ على الليالي تحكمُ

ولقد رأيت عند الشعر المنطقي البصري جنوحاً كبيراً إلى التلاعب الفلسفي بالألفاظ والتنوع في الدلالة والمضامين من خلال هذا التلاعب. وهذا ناجمٌ عن التأثر الفلسفي بعلم الكلام ودراسته دراسة واعية ومتقنة، فالشاعر هنا يملك ثروة لغوية كبيرة يودعها شعره، ومعاني شعره، من خلال تلكم الألفاظ. ولا أنسى التذكير بالقول إن الشاعر المنطقي البصري يأتي بهذا التلاعب اللفظي في أغلب شعره، وأكثر أغراضه. فمن ذلك قوله في أول الأبيات في نصّ في المدح وذكر الذات:

قرَّبت مركبَ وعظه، ولجاجُهُ في الحبّ ينتجُ قربَه من بعده
والليلُ تُكحلُ مقلتاهُ بإثمدٍ والأفقُ يزهرُ درّهُ في عقده

وقوله في أول نصّه الشعري الذي يمدح فيه الوزير العلاء بن الحسن:

أُعاطي كؤوسَ اللهو كلّ عزيزة إذا ما انثنت قَدَّتْ فؤادَك بالقدِّ
تلاحظُ عن سحرٍ وتحسرُ عن دجىً وتسفرُ عن صبحٍ وتبسمُ عن عقدِ[٥٣]

وقوله في قصيدة في الدجى، وفيها يذكر بعض القضايا الشرعية، ويستضيء بالنص القرآني وألفاظه ولو من بعيد:

لأصبرنَّ على ما سامني زمني صبرَ الكريم على الإقلالِ إكثارُ
مدحتُ قوماً فإن حاض اللسانُ بهم فسوفَ يعقبُ ذاك الحيضَ إطهارُ

وقوله في المديح ايضاً:

إذا أوردتها صدرتْ رواءً وخلّتْ هامَ قومٍ وهي هيمُ

وقوله في الدهر، وهو ينظر إلى الفواصل القرآنية، ويتأثر بها في قوافيه وإيقاعاته بشكل كبير:

ولم أرَ مثلَ الدهرِ مُسدي نعمةً يجودُ بها عفواً ويأخذها عضبا

إذا كنت عَذر الدهرِ في سوءِ ما جنتْ يـــداه فـذنـبٌ أن تُـعَـدَّ لَـــهُ ذنبا

ولا شـكّ في إنّ القارئ والمتلقي لشعر الشـاعر المنطقي البصري، سيرى آثار الفلسفة الكلامية، وآثار علم المنطق بادية واضحة على صوره، وعلى لوحات نصوصه الشعرية في الكثير الكثير منها، ولعلّي بهذه الدراسة أعطيت صورة طيبة عن هذا التأثر، وأكررُ قـولي مراراً، لو قدر الله ووصـل إلينا شـعر المنطقي البصـري كامـلاً، أو بأكثر مما هو عليه الآن لكانت هذه الدراسـة، وموضـوعات وعناوين أُخرى سـتمتدُّ لصـفحات وصـفحات طوال، ولكنها عوادي الدهر، ونوائب الزمان، التي قلّ أن ينجو منها أحد، ودائمـاً ما تظلم المبدعين والمميزين والمفكرين من أبناء جلدتنا في أماكنهم وأزمنتهم وحقبهم التي عاشوا فيها، ولعلّ من أولئك المظلومين وإلى الأبد... شاعرنا وعالمنا أبو علي المنطقي البصري...

جَهد المحقق وخطواته في صنعة شعر أبي علي المنطقي البصري:

الحقيقـة فكـرتُ غير مـرة بالعـزوف عن جمع شـعر المنطقـي البصـري، لقلة المظـان التي أوردت شـعره من جهة، ولكثرة ووفرة الشـعر العباسـي وكثرة دواوينهم ومجموعاتهم الشـعرية من جهة أُخرى. ولكنـي تراجعتُ عن هذه الافكار حين وجدت الشـاعر يسـتحق الكتابة عنه وعن شعره، وعن سيرته الضـائعة، وشعره المفقود يمثل حلقة مضـيئة، ونبراسـاً بهياً من قلائد الشعر العربي في العصر العباسي يحقُّ لنا أن نفتخر به نظماً ونسجاً وثقافة وفكراً.

ولعلّ قابـل الأيام أو أحد الباحثين والمحققين يأتي بعدنا ليكمل جهدنا المتواضـع هـذا، ويجزل لنا الدعاء، خالص الدعاء ونحن في تربتنا، أو أيامنا الأخيرة، فيتحقق ما نصبو إليه جميعاً من زكاة العلم ونشره، وفضل نشره وبركة نشره ومن الله التوفيق.

وأمّا عن خطوات المحقق، وجهده في هذا المجموع، فكانت على النحو الآتي:

١. جمعـتُ أغلب شـعره أبي علي المنطقي البصـري، من كتـاب « معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ووازنت هذا المجموع مع بعض المظان الأخرى التي أوردت شـيئاً من شعره، ولاسيما كتابَيْ: الوافي بالوفيات «للصفدي»، و(لُمح المُلح)، للحظيري.

٢. اعتمدت على طبعتين من كتاب الوافي، كما هو واضح في هوامش التخريج، وفي ثبت المظان ومصادر البحث. وكذلك اعتمدت على طبعتين من كتاب لمح الملح، كما هو واضحٌ ومثبت في هوامش التخريج، وفي ثبت المظان.. أيضاً.

٣. رقمتُ الوحدات الشعرية المجموعة ترقيماً متسلسلاً، ورقمتُ الأبيات الشعرية داخل كل وحدة شعرية، ليسهل التخريج، والتعريف، وإثبات الروايات المختلفة مع مثل هذا الترقيم.

٤. أثبتُّ البحر الشعري لكل وحدة شعرية، وأثبتُّ غرضها ما استطعت إلى ذلك سبيلا، فهذان أمران علميان يجب أن يذكرا مع أعمال التحقيق وصنعة الشعر وتخريجه وتوثيقه على وفق الرواية الثانية في عصرنا اليوم.

٥. ذكرت الروايات المختلفة في بعض الأبيات الشعرية، وفي بعض الوحدات الشعرية المصنوعة المجموعة في هذا العمل بين كتاب معجم الأدباء، وبين تحقيقَيْ وطبعَتيِ الوافي، وعلى قلة هذه المختلفات، إلّا أنها واجبة الإشارة، مفيدة الذكر.

٦. صدّرت المجموع الشعري والوحدات الشعرية المصنوعة والمحققة لأبي علي المنطقي البصري بدراسة علمية أدبية فنية، تناولت فيها سيرة الشاعر، ودراسة شعره. كما تناولت في هذه الدراسة صلات المنطقي بأبناء عصره، وبالأماكن التي حلّ فيها، وارتحل إليها، معرّفاً وموضّحاً الشخصيات، والأماكن والأحداث التي تواشجت مع حياته، واقعاً ومعاشاً، وأثرت في نفسيته ومن ثمَّ في شعره، سلباً أو إيجاباً.

وبعد، هذا شاعر آخر أقدمه للقرّاء والباحثين والدارسين والمحققين ومحبي الشعر العربي، ولاسيما الشعر العباسي... أتمنى أني وفقت في دراسته وجمع شعره وصنعته، والله اسألُ أن يلهمني السداد في القول والعمل دائماً إنه سميع الدعاء.

الإحالات:

(١) تنظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٢٠٣٦/٥، الوافي بالوفيات (طبعة: أحمد الارنـاؤوط، تركي مصـطفى): ٢٢٤/٢٢، الوافي بالوفيات (طبعـة: رمزي بعلبكي): ٣٦٠/٢٢.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) المصـدران السابقان، وراجع عن شـيراز: معجم البلدان: ٣/ ٣٨٠ – ٣٨١، الروض المعطار: ٣٥١ – ٣٥٢.

(٥) ترجمتـه في: تجـارب الأمم وتعاقب الهمـم: ٦/ ٣٨٦ – ٣٨٩، نهاية الإرب: ١٢٤/٢٦ -١٢٦، تاريخ الخلفاء: ٢٩٣.

(٦) ترجمتـه وأخبـاره في: نهاية الإرب: ١٢٦/٢٦-١٣٠، تاريخ الخلفاء: ٢٩٣ – ٢٩٤.

(٧) ينظر: تاريخ الخلفاء: ٢٩٣.

(٨) ترجمتـه وأخبـاره في: الكامل في التاريـخ: ٤٠٦/٧ -٤١٦... وغيرها، نهاية الإرب: ١٣٥/٢٦ -١٣٧، البداية والنهاية: ١٩/١٢.

(٩) ترجمتـه وأخبـاره ونصـوص من شـعره في: إنبـاه الرواة: ٣٥٨/٣، نسـاء الخلفاء: ١٢٢، بغية الوعاة: ٣٢٣/٢، معجم الشعراء العباسيين: ٣٠٨.

(١٠) ترجمته وأخباره وأشـعاره مفصـلة في مجموع شـعره الذي صنعه وحققه ودرسـه الأسـتاذ المحقق صـبيح رديف –رحمه الله تعالى -، مطبعة جامعة بغداد – بغداد، ١٩٧٤، في ٩٧ صحيفة، والنص الذي قاله المنطقي البصري يتشوق إليه في هذا المجموع رقم (٢).

(١١) ينظر: لسان العرب: ١١٢/١٤ (دلج).

(١٢) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (١٥).

(١٣) تنظر في اخبار الوزير أبي القاسم العلاء بن الحسن ووزارته ووفاته وانه كان نائب صمصام الدولة في : الكامل في التاريخ: ٤٢٦/٧ ، ٤٥٥، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٨٢، ٤٩١.

نهاية الإرب : ١٣٤/٢٦، ١٣٥، ١٣٨.

(١٤) معجم الأدباء: ٢٠٣٦/٥، الوافي بالوفيات (طبعة: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى): ٢٢٤/٢٢، الوافي بالوفيات (طبعة: رمزي بعلبكي): ٣٦٠/٢٢.

(١٥) معجم الأدباء: ٢٠٣٦/٥.

(١٦) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (١٣)، وفي ترجمته نصر بن هارون وبعض أخباره ينظر: تجارب الأمم وتعاقب الهمم: ٤٦١/٦، الكامل في التاريخ: ٣٨٥/٧، ٣٨٨، وفيات سنة (٣٨٨هـ)، معجم الأدباء: ٣٢٥١/٧.

(١٧) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٤٥).

(١٨) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢٨).

(١٩) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٣٧).

(٢٠) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢٢).

(٢١) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٤٦).

(٢٢) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٩).

(٢٣) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٣٩).

(٢٤) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٦).

(٢٥) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٣٤).

(٢٦) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٣٥).

(٢٧) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢٤).

(٢٨) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٤٧).

(٢٩) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (١٩).

(٣٠) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢٠).

(٣١) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢٦).

(٣٢) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٣٣).

(٣٣) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢).

(٣٤) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢١).

(٣٥) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٤).

(٣٦) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (١٠).

(٣٧) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: ١٤٧.

(٣٨) من هذه الدراسات: شعر المكفوفين في العصر العباسي – دراسة نفسية ونقدية- للأستاذ الدكتور عدنان عبيد العلي – رحمه الله -، ومن هذه الدراسات أيضاً: أثر كف البصر على الصورة في شعر أبي العلاء المعري للباحثة: رسمية السقطي.

(٣٩) من هذه الدراسات الخاصة بشعر العميان في الأندلس: شعر المكفوفين في الشعر الأندلسي – دراسة نفسية نقدية -: حسام بدر جاسم، والدراسات التي تخصّ الشاعر الوشاح الأندلسي الكبير الأعمى التطيلي (ت ٢٥٢ هـ)، ومنها على سبيل المثال:

- الأعمى التطيلي حياته وأدبه: د. عبدالحميد الهرامة.

- الأعمى التطيلي شاعر عصر المرابطين – دراسة موضوعية فنية – د. محمد عويد الساير.

- الصورة الشعرية في شعر الأعمى التطيلي الأندلسي: د. علي الغريب الشاوي.

ولقد جمعتُ أنا وزميلي الأستاذ الدكتور محمود شاكر ساجت شعر ونثر العميان في الأندلس، مصدراً بدراسة وتراجم هؤلاء الأدباء ونشر هذا الجمع في دار الكتب العلمية ببيروت، ٢٠١٣.

(٤٠) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (١٨).

(٤١) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (١٥).

(٤٢) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٥).

(٤٣) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٣٤).

(٤٤) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٣).

(٤٥) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ٢٦٣.

(٤٦) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢٢).

(٤٧) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (١١).

(٤٨) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢٣).

(٤٩) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٢٢).

(٥٠) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٤٦).

(٥١) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٣٦).

(٥٢) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (١٤).

(٥٣) ينظر: مجموع شعره، النص الشعري رقم (٩).

دور نور الدين محمود زنكي في توحيد مصر وبلاد الشام لمواجهة الصليبيين

الحمـدللّه رب العالمين والصـلاة والسـلام علـى أكرم خلق اللّه أجمعين سـيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عاشـ العـالم الإسـلامي في القرنين الرابـع والخامس الهجريين الحادي عشـر والثاني عشـر الميلاديين حالة من التشرذم والتناحر وذلك بسبب نشوء دويلات ذات طابع عرقي أو مذهبي مما مكن الصـليبيين من السيطرة على أجزاء كبيرة من بلاد الشـام وفلسطين والأردن واحتلال القدس الشـريف، ومن تلك الدول الدولة العبيدية (الفاطمية) في شـمال إفريقيا في بداية القرن الرابع الهجري، وتوسـعت هذه الدولة في بلاد الشـام، مستغلة ضـعف الخلافة العباسية وانشغال السـلاجقة في نزاعاتهم الداخليـة ومواجهتهـم للصـليبيين. وفي بداية القرن السـادس الهجري شـهد العالم الإسـلامي نشـوء الدولة الزنكية التي انطلقت من الموصـل كقاعدة لهـا بقيادة عماد الدين زنكي ومن بعده ابنه نور الدين محمود الذي سـعى إلى توحيد بلاد المسلمين في الشـام فتمكن من ذلك في أواسـط القرن السـادس الهجري وكان لهذه الدولة الدور الرئيسـي في مواجهة الصـليبيين وإيقاف توسـعهم في المشـرق العربي ومن ثم البدء بمهاجمتهم بغية طردهم من بلاد المسلمين وتحرير القدس الشريف من أيديهم، ومن جهود نورالدين محمود لتوحيد بلاد المسلمين كانت أنظاره تتجه إلى مصر التي كانت تحت سـيطرة الدولة العبيدية ورغبته في ضمها إلى بلاده لكونها ذات أهمية عسكرية واقتصادية لتحقيق الغاية الكبرى وهي طرد الصليبيين من البلاد الإسلامية وتحرير القدس الشريف.

إنَّ من أهم الأسباب التي دعت لكتابة هذا البحث بيان ا لأسباب والدوافع التي سعى من أجلها نورالدين محمود لتوحيد مصر وبلاد الشام لمواجهة الغزو الصليبي وإزالة الغموض عن الكيفية التي تم بها هذا التوحيد ومن كان له الدور الرئيس والمهم في ذلك.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت في كتابة البحث الكاملُ في التاريخ لابن الأثير والنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، وأخبار ملوك بني عبيد للصنهاجي، ومختصر التحفة الاثني عشرية لمحمود شكري الألوسي، والسلطان نورالدين لنيكيتا اليسيف، والصراع الإسلامي الصليبي للدكتور محمود مؤنس، وتاريخ الزنكيين للدكتور سهيل طقوش.

لم يكن هدف البحث إلا لإظهار الحقيقة، أو كشف بعض جوانبها اعتمادًا على ما أوردته المصادر والمراجع التاريخية بعد التسديد والتصويب من الله تعالى.

وقد اشتمل البحث على مقدمة ودور الحركة الباطنية في نشوء الدولة العبيدية وسياسة تلك الدولة الخارجية والأسباب التي دفعت نورالدين لتوحيد مصر وبلاد الشام والحملات العسكرية على مصر التي هيأت الظروف لتحقيق ذلك الهدف ودور نورالدين محمود في توحيد مصر وبلاد الشام وأثره على المسلمين والصليبيين ثم الخاتمة والاستنتاجات.

١. الحركة الباطنية ودورها في نشوء الدولة العبيدية (الفاطمية) في مصر:

شملت الحركة الباطنية الكثير من الفرق ومن هذه الفرق الإسماعيلية والباطنية والسبعية والبابكية والخرمية والقرامطة والمحمرة والتعليمية[١]. والإسماعيلية فرقة من الشيعة، وهم منسوبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق قالوا بأحقية إمامته والأئمة عندهم سبعة لذلك سموا بالسبعية[٢]. وسبب تسميتهم بالباطنية لقولهم لكل شيء ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل.

الدولة العبيدية (الفاطمية) في مصر:

تأسست الدولة العبيدية سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) في إفريقية (تونس) بزعامة عبيدالله المهدي مدعيًا أنه صاحب الحق في الخلافة وأن نسبه يعود إلى جعفر الصادق

وقد أظهر التشيع وأبطن الإسماعيلية[٣]، وقد ترجم الشيخ طاهر الزاوي مفتي الديار الليبية لعبيدالله المهدي وذكر أنه مؤسس الدولة العبيدية وأول حاكم لها وهو عراقي الأصل ولد في الكوفة سنة (٢٦٠هـ/٨٧٥م) واختبأ في بلدة سَلَمِيَّة في شمال الشام[٤] واستقر فيها ويُعرف باسم سعيد بن أحمد بن جعفر الصادق قررت الإسماعيلية نقل الإمامة من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إلى عبيدالله المهدي[٥].

وبعد استقرار الأمر لعبيد الله المهدي في تونس قام ببناء مدينة المهدية[٦] أول عاصمة للدولة العبيدية وقد نسبها إلى نفسه توجه إلى الجنوب الشرقي فملك طرابلس الغرب وتوجه على الإسكندرية فملكها سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) [٧]، ثم توجه جوهر الصقلي أحد قادة الدولة العبيدية في عهد المعز لدين الله العبيدي إلى مصر واستولى عليها وبنى مدينة القاهرة التي أصبحت عاصمة الدولة العبيدية فيما بعد[٨].

وبنشوء الدولة العبيدية على أرض مصر أصبحت قوة مناوئة للخلافة العباسية في بغداد وبدأ العبيديون يتوجهون بأنظارهم إلى الشام فسيطروا على أغلب مدنه ووصلوا إلى العراق[٩]، شكلت الدولة العبيدية تحديًا للخلافة العباسية في بغداد وقد استطاعت في أعوام (٤٣٠-٤٥٠هـ/١٠٣٨-١٠٥٨م) أن تبسط نفوذها على مصر وملحقاتها وفي بلاد الشام حتى دمشق وظل العالم الإسلامي طوال قرنين من الزمان (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م) منقسمًا على نفسه بين سياستين مختلفتين مما ترك أثرًا خطيرًا على قوة المسلمين بانت نتائجه في الحروب الصليبية واستمر الصراع بين الدولة العبيدية والسلاجقة على مدى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وبعد أن انتقلت السلطة في الدولة العبيدية من أيدي الخلفاء إلى أيدي الوزراء بدأ الضعف يدب في أركانها حيث لم يبقَ للخليفة إلا الاسم[١٠].

ولما سيطر الوزراء على السلطة في الدولة العبيدية وأصبحت مقاليد الحكم بيدهم وأصبح الصراع على الوزارة سمة لتسلمها حيث يتولى من كانت لديه القدرة على قتل الوزير ليحل محله إضافة على نجاح السياسة الخارجية للدولة الزنكية التي أسهمت في سقوط الخلافة العبيدية فكانت نهاية الدولة العبيدية سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) على يد الزنكيين فأسقطت الخطبة العبيدية (الفاطمية) وأقيمت الخطبة العباسية للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله وكان آخر خلفائهم العاضد الذي توفي في محرم (٥٦٧هـ/أيلول ١١٧١م)[١١].

علاق الدولة العبيدية بالفرق الباطنية:

ارتبطت الدولة العبيدية منذ نشـوئها بالفرق الباطنية ارتباطًا وثيقًا، فلما رسخ قدم الدولة العبيدية في مصر أنشأ الحاكم بأمر الله العبيدي مدرسة على نفقة دولته متاحة لكل إنسان وكان موضوعها التعليم لقلب الدولة العباسية في المشرق ثم المقدمات التـي أخذت من مبادئ عبدالله القداح[١٢]. وكان من قادة فرق الحشاشـين الباطنية علي بن نزار بن معد الحاكم بأمر الله العبيدي أول أئمة الإسماعيلية النزارية في قلعة المـوت (التـي تقع في ولاية جيلان من بلاد فارس) تولى إمامة الإسـماعيلية بعد موت أبيـه ولقب بالهادي وهو صـاحب فرقة الحشاشـين التي كانت مهمتهـا اغتيال أعداء الإسـماعيلية[١٣]. وكان الحسـن بن الصباح بن علي الاسـماعيلي من دعاة الباطنية اتصـل بالمنتصـر العبيدي سـنة (٤٨٣هـ/١٠٩١م) استولى الصـباح على قلعة الموت التي كانـت من أمنع القلاع وجعلها مركزًا للدعوة الإسـماعيلية[١٤]، وفي بداية القرن الرابـع الهجري انتابـت العلاقة بين الدولـة العبيدية والقرامطـة في البحرين بعض الخلافات حيث إنهم رفضـوا سلطة العبيديين عليهم وانتهجوا عقيدة أكثر تطرفًا إلا أن هذا الخلاف لم يدم طويلاً فعاد القرامطة إلى خضوعهم للدولة العبيدية وفي سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م) وبأمر من العبيديين أعاد القرامطة الحجر الأسـود إلى موضـعه في الكعبة الشريفة الذي استولى عليه ونقلوه إلى البحرين وبقي عندهم (٢٢ سنة) [١٥].

١- سياسة الدولة العبيدية الخارجية:

اتسـمت سياسـة الدولة العبيديـة الخارجية وعلاقتها مع القـوى المجاورة بتبني سياسة اتباع المصالح فأينما تكون مصالح دولتهم تكون العلاقات إيجابية وعندما دب الضعف في أركان الدولة أخذت العلاقات تتحدد بالمصالح الذاتية للوزراء والقادة.

فنجد أن من بين أسباب الغزو الصليبي لبلاد الشام أن خلفاء الدولة العبيدية لما شـعروا بخطر السلاجقة راسـلوا قادة دول أوروبا وشجعوهم على احتلال بلاد الشام لكي يكونوا بينهم وبين السلاجقة[١٦].

ولكنهم عندما يشـعرون بخطر الصـليبيين عليهم نجدهم يهاجمونهم ففي سنة (٤٩٦هـ/١١٠٣م) هاجم العبيديون الجيش الصـليبي في الرملة وحاصـروها فهرب الصليبيون منها وسقطت الرملة بأيديهم[١٧].

أمـا علاقة الدولـة العبيدية مـع الدولة الزنكيـة فقد تحددت بعوامل عسـكرية وسياسـية ودينيـة، وقد مـرت هذه العلاقة بثلاث صـور: الصـورة الأولى: التنسـيق العسكري ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام، ومن ذلك ما حدث بين الوزير العبيدي ابن السـلار ونورالدين محمود حيث طلب ابن السـلار من نورالدين التعاون معه ضد الصليبيين وتجددت هذه المطالبة في وزارة ابن زريك[١٨].

أما الصـورة الثانية: فاتسـمت بالاتصـالات الدبلوماسـية لتوطيـد العلاقة بين الدولتين فقد وصـلت إلى القاهرة عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م) سفارة من جانب نورالدين محمود وتجددت سـنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م) وقد قامت الدولة العبيدية بتكريم السـفير الزنكي بالهدايا والأسلحة والأموال لدعم نورالدين في صراعه ضد الصليبيين[١٩].

أما الصـورة الثالثة: فقد اتسـمت بالتدخل العسـكري المباشـر مـن قبل الدولة الزنكية في مصـر لحسم الصـراعات الداخلية لصـالحهم وتمثل ذلك في الحملات الثلاث على مصر وهي صورة جديدة للصراع مع الوجود الصليبي[٢٠].

٢- العوامل التي دفعت نورالدين محمود للسيطرة على مصر:

هنـاك عـدة عوامل وأسـباب دفعت نورالدين محمـود أن يبذل كل ما في وسـعه للسيطرة على مصر ومنها:

رغبـة نورالدين محمود في توحيد القوى الإسـلامية لمواجهة الصـليبيين وجعلها تحت قيادة مركزية واحدة بدلاً من وجود قيادات متعددة ليس لها استراتيجية موحدة وجهودها متشتتة.

الثروات الهائلة في مصـر والكثافة السـكانية في حالة السـيطرة عليها سـتكون عاملاً مهمًا في تقوية الدولة الزنكية لمواجهة الصليبيين[٢١].

إن خطوط التجارة العالمية تمر في مصر، فهي نقطة الاتصال بين افريقيا وآسيا وأوروبا وبالسيطرة على مصـر تتم السيطرة على تلك الخطوط التي ستصبح عاملاً مؤثرًا في تقوية شوكة المسلمين وإضعاف القوى الصليبية[٢٢].

الموقع الاستراتيجي لمصر على البحر المتوسط ووجود العديد من الموانئ عليه مما

يفتح المجال أمام المسلمين باستخدام البحر ضد الصليبيين علمًا بأن الدولة الزنكية لم تكن تمتلك موانئ على ساحل البحر المتوسط في الشام إلا في أماكن قليلة[٢٣].

السيطرة على مصر تجعل الصليبيين بين فكي كماشة الجيوش الإسلامية الأمر الذي سيكون له أثر في إضعاف القوات الصليبية وتشتيت جهدها.

ضعف نظام الحكم في الدولة العبيدية إذ كان الأمر كله بيد الوزراء ولم يكن للخليفة إلا الاسم والوزراء في صراع مستمر على الحكم مما هيأ الظروف المناسبة للسيطرة على مصر[٢٤]. وبسبب هذا الضعف فقدت الدولة العبيدية القدرة على مواجهة الغزوات الصليبية[٢٥].

مخاوف نورالدين محمود من قيام الصليبيين باحتلال مصر والسيطرة عليها وقد تمثل ذلك في عدة هجمات قامت بها القوات الصليبية داخل مصر حتى أصبحت القاهرة في متناول يد الصليبيين[٢٦].

تشجيع الخلفاء العباسيين لنورالدين محمود وإطلاق يده في الشام ومصر وحثه على إسقاط الدولة العبيدية التي تبنت المذهب الباطني الإسماعيلي وقيامها بنشر الفساد السياسي والعقدي وكان لأتباعها الأثر الكبير في إثارة الفتن والقيام بأعمال الاغتيال للرموز الإسلامية والشواهد كثيرة على ذلك[٢٧].

٣- حملات الجيش الزنكي التي وجهها نورالدين محمود إلى مصر:

خلال عهد نورالدين محمود زنكي جرت ثلاث حملات باتجاه مصر وقاد تلك الحملات أسد الدين شيركوه ويساعده في ذلك ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي وأسفرت الحملة الثالثة عن فتح مصر وضمها إلى الدولة الزنكية:

الحملة الأولى سنة (٥٥٩هـ/١١٦٤م): وكان سبب الحملة أن ضرغام استولى على الوزارة العبيدية في مصر وخلع الوزير العبيدي شاور السعدي من منصبه فلجأ شاور إلى نورالدين زنكي طالبًا منه المساعدة في إعادته إلى منصبه، وتعهد لنور الدين أن يدفع له ثلث أموال مصر وعطاءات وأرزاق الجنود فتردد نورالدين في بداية

الأمـر إلا أن تطلع نورالدين للسـيطرة على مصـر ورغبته في الوقوف على أوضـاعها الداخلية جعلته يوافق على طلب شاور[٢٨].

فأمر أسـد الدين شيركوه بالمسير مع شاور إلى مصر، فلما وصل أسدالدين إلى مصـر هزم جيش الوزير العبيدي ضرغام وأعاد شـاور إلى الوزارة وطلب منه تنفيذ العهد الذي قطعه على نفسه أمام نورالدين إلا أن شاور نقض العهد وغدر بأسدالدين واسـتنجد بالصـليبيين فتوجه أسدالدين بعسـاكره إلى مدينة بلبيس[٢٩] شرق مصر واسـتولى عليها وتحصـن فيها فحاصـرته الجيوش الصـليبية والفاطمية مدة ثلاث أشـهر[٣٠] ولتخفيف الضغط على عساكر أسدالدين في بلبيس قام نورالدين بالهجوم على حصن حارم في الشام ذي الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للصليبيين وفتحه عنوة وتوجه بعد ذلك إلى بلاد الصـليبيين مما اضـطرهم إلى طلب الصلح مع أسدالدين شـيركوه علـى أن يخرج مـن بلبيس مقابل أن يدفعوا له سـتين ألـف دينار فخرج من بلبيس في أول ذي الحجة (٥٥٩هـ/١١٦٤م)[٣١].

ولقد حققت هذه الحملة لنورالدين محمود الاطلاع على الأوضاع الداخلية لمصر وطبيعة الأرض والمسالك التي ستسلكها قواته في أي حملة قادمة.

الحملة الثانية على مصـر سـنة (٥٦٢هـ/١١٦٧م): سـير نورالدين جيوشه إلى مصر بقيادة أسدالدين شـيركوه أيضًا، ويعاونه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، ومن أهم أسباب تلك الحملة تطلع نورالدين إلى السيطرة على مصر لوضع الصليبيين بين فكي كماشـة الجيوش الإسلامية في مصـر وبلاد الشام لتحقيق الهدف الاستراتيجي وهو طرد الصـليبيين من بلاد المسـلمين وتحريـر القدس منهم[٣٢] إضـافة إلى نقمة أسـد الدين على شـاور الذي غـدر به في الحملـة الأولى ونقض العهد معـه[٣٣]، ومن تلك الأسـباب أن صـاحب مصر العاضـد كان يراسـل نورالدين محمود ويستنجد به لتخليصـه من وزيرة الخائن شـاور الذي كان قد اسـتولى على زمام الأمور واستقوى بعلاقته مع الصـليبيين عليه[٣٤]. حيث إن شـاور كان على علاقة وثيقة مع أموري تلك مملكة القدس الصليبية[٣٥].

توجهـت الجيوش الزنكيـة إلـى مصـر ووصـلت إليهـا في (جمـادى الأولـى

٥٦٢هـ/١١٦٧م)[٣٦]، فلما علم شاور بالأمر استنجد بالقوات الصليبية فأرسل أموري قوات صليبية لنصرته[٣٧].

والتقت القوات الزنكية المؤلفة من الجيش الزنكي القادم من الشام وأعداد من المتطوعين من أهل مصر مع القوات الصليبية بقيادة الملك أموري وبأعداد كبيرة من المرتزقة السودان بقيادة أموري وشاور وحدثت معركة شركة في منطقة البابين الواقعة جنوب مدينة المينيا في صعيد مصر في جمادى الآخرة (٥٦٢هـ/آذار ١١٦٧م) [٣٨] التي انتهت بانتصار القوات الزنكية على القوات الصليبية والقوات المتحالفة معها وألحقت بهم خسائر كبيرة بالأرواح والأسلحة والمعدات وأُسِرَ العديد من الأمراء والقادة ورجال الدين الصليبيين وبعد ذلك توجه أسد الدين شيركوه إلى الإسكندرية وتحصن فيها ومن ثم عُقِدَ صلح بين أسد الدين والصليبيين بأن تعود الجيوش الزنكية والجيوش الصليبية إلى ديارها وتترك مصر، إثر ذلك قام أسد الدين بسحب قواته إلى الشام[٣٩] وقد حققت هذه الحملة هدفًا مهمًّا وهو التفاف أهل مصر مع الجيش الزنكي ضد الصليبيين وحليفهم شاور.

الحملة الثالثة على مصر سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م): سار الصليبيون بعساكرهم إلى مصر فاحتلوا بلبيس وأحرقوها وحاصروا القاهرة فاستنجد صاحب مصر الخليفة العبيدي العاضد بنورالدين محمود وأرسل رسلاً إليه وقال في رسالته لنورالدين (هذه شعور نسائي في قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج)[٤٠] فهيأ نورالدين محمود العساكر بقيادة أسد الدين شيركوه على أن يعاونه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي وعندما وصلت الجيوش الزنكية إلى أرض مصر في بداية ربيع الآخرة (٥٦٤هـ/١١٦٩م) رحل الصليبيون عنها بدون قتال وذلك أن شاور اتفق معهم على أن يرحلوا من مصر مقابل مبلغٍ من المال لكي يجد العذر في منع دخول عساكر أسد الدين إلى مصر[٤١].

إلا أن أسد الدين شيركوه واصل سيره حتى دخل القاهرة واجتمع بالعاضد لدين الله الذي كرمه وخلع عليه الخلع وفَرِحَ أهل مصر بقدومه وكان هوى العاضد مع أسد الدين وجيوشه وأخذ الوزير شاور السعدي يماطل أسد الدين في بذل الأموال التي

اتفق على بذلها لنورالدين واقطاع الجند وأفراد ثلث البلاد لنورالدين وعزم شاور على تدبير عملية اغتيال لأسدالدين فمنعه من ذلك ابنه الكامل وقال له (لأن عزمتَ على ذلك لأعرفَنَّ شيركوه فقال له أبوه لئن لم نفعل لنُقتلنَّ جميعًا فقال: صدقت، ولئن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج)[٤٢].

وبعدما تبين لأسد الدين وقادته أن شاور يضمر لهم الخيانة والغدر قاموا بتدبير أمر لإلقاء القبض عليه وحُبِسَ ولما علم العاضد بالأمرِ أمَرَ بقتله فقتل شاور وقام العاضد بتعيين أسد الدين شيركوه وزيرًا، ولقب بالملك المنصور أمير الجيوش، وبعد مرور خمسة وستين يومًا على وزارته توفي أسدالدين وعَين العاضد صلاح الدين وزيرًا له[٤٣].

٤- توحيد مصر وبلاد الشام على يد نورالدين محمود زنكي:

مما تقدم يتبين أن الحملات الثلاث التي وجهت إلى مصر كانت بأمر من السلطان نور الدين محمود وهو الذي كان يأمر بتجهيزها ويعين قادتها ويرسم لها أهدافها وكان من نتاج الحملة الثالثة أن استقرت الجيوش الزنكية في مصر وأصبح أسدالدين شيركوه وزيرًا للعاضد العبيدي وخطب لنورالدين على منابر مصر مع الخليفة العبيدي وأصبحت مصر جزء من أعمال الدولة الزنكية تعود أموالها وخيراتها للدولة الزنكية وكانت رواتب العساكر الزنكية الموجودة في مصر تدفع من أموال مصر ولا يعني وجود الخليفة العبيدي سوى رمزٍ روحيٍّ ليس إلاّ.

تولى صلاح الدين الوزارة بعد وفاة عمه أسدالدين شيركوه بأمر من العاضد العبيدي وبمشورة أصحابه ولقبه العاضد بالملك الناصر[٤٤]، فلما استقر الأمر لصلاح الدين الأيوبي ونائبه قراقوش[٤٥]. وكان نورالدين محمود زنكي يكتب إلى صلاح الدين يأمره بقطع الخطبة العبيدية وإقامة الخطبة العباسية، إلا أن صلاح الدين كان يعتذر ويعلل ذلك بالخوف من قيام أهل مصر عليه لميلهم للعلويين وكان نورالدين لا يقبل أعذار صلاح الدين وألح عليه بقطع الخطبة وألزمه إلزامًا لا فسحة في مخالفته فأرسل إليه إنذارًا نهائيًا في شهر ذي الحجة (٥٦٦هـ/آب١١٧١م) يأمره بإسقاط الخطبة للعاضد وإقامتها للمستضيء فما كان منه إلا الامتثال لأمر نورالدين[٤٦].

فلما عزم صلاح الدين على قطع خطبة العاضد استشار أمراءه فأشاروا له الامتثال لأمر نورالدين ووكل الأمر إلى نجم الدين أيوب والد صلاح الدين فجمع نجم الدين الفقهاء وطلب منهم رجل موصلي كفيف البصر يدعى الأمير العالم وقال (أنا لها أيها الأمير)[٤٧] ووافق أن العاضد كان مريضًا مرضًا شديدًا في ذلك الوقت فلما كان أول جمعة من محرم سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) خطب الأمير العالم ودعا للمستضيء بأمر الله العباسي فلم ينكر أحد ذلك[٤٨] فلما كانت الجمعة الثانية أمر صلاح الدين خطباء مصر والقاهرة أن يقطعوا الخطبة للعاضد ويخطبوا للمستضيء ففعلوا ذلك ولم تحدث أية مخالفة وكتب بذلك إلى سائر بلاد مصر وكان العاضد قد اشتد به المرض فلم يعلمه أحد من أهله فتوفي في عاشوراء (٥٦٧هـ/أيلول ١١٧١م) دون أن يعلم بقطع الخطبة فلما توفي العاضد كانت نهاية الدولة العبيدية التي حكمت مصر لأكثر من (٢٠٠ سنة)[٤٩].

٥- نتائج توحيد مصر وبلاد الشام وأثرها على المسلمين والصليبيين:

كان لتوحيد مصر وبلاد الشام نتائج مهمة وهي:

وحدة بلاد المسلمين من حدود الأناضول إلى مصر ثم الحجاز واليمن التي أصبحت تحت قيادة واحدة وهي سلطة الدولة الزنكية بقيادة السلطان نورالدين محمود زنكي الذي يدين بالولاء المطلق للخلافة العباسية في بغداد.

إن مصر ذات موارد اقتصادية وبشرية هائلة تتمثل بالتجارة والزراعة أضافت إلى المسلمين قوة عسكرية واقتصادية ومعنوية في مواجهة الصليبيين.

من الناحية العسكرية أصبح الصليبيون بين فكي كماشة الجيوش الإسلامية من الشرق والجنوب وجزء من الشمال وأصبحوا عرضة لهجمات الجيوش الإسلامية في أماكن عديدة مما كان سببًا في تشتيت جهودهم وإضعافهم.

في ضم مصر إلى الدولة الزنكية سيطر الزنكيون على سواحل البحر المتوسط الجنوبية الأمر الذي كان له الأثر الكبير على الصليبيين عسكريًّا واقتصاديًّا ومعنويًّا.

كان لضم مصر إلى الدولة الزنكية الأثر الكبير في نشوء الدولة الأيوبية بقيادة

صـلاح الديـن بعد وفـاة نورالدين زنكي وهُيئت لـه كل الظروف لفتـح القدس وطرد الصليبيين منها فيما بعد.

٦-الخاتمة:

نشـأت الدولة العبيدية (الفاطمية) عندما ضعفت سيطرة الدولة العباسية على شـمال، إفريقيا في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري (القرن العاشـر الميلادي) وكان مؤسس هذه الدولة عبيدالله المهدي الذي كان يعتنق المذهب الباطنـي الإسـماعيلي، وكان هذا المذهب هـو مذهب كل خلفاء الدولـة العبيدية وقد تبنت الدولة العبيدية منذ نشأتها العقيدة الإسماعيلية الباطنية. وقد شكك المؤرخون في صحة نسب مؤسس وخلفاء الدولة العبيدية في أنسابهم إلى الحسين بن علي (رضي الله عنهما) ورجحوا أن نسبهم يعود إلى عبيد الله بن ميمون القداح وليس إلى البيت العلـوي، وتوسـعت على بغداد لفترة وجيزة وعاشـت حالة من الازدهـار والقوة إلا أن الضـعف والوهن دب في أركانها بعد سـيطرة الوزراء على الحكـم لكون أكثر الخلفاء كانوا صـغار السن أو ضـعفاء، وتُعد الصراعات الداخلية بين الوزراء من أهم أسباب سقوط تلك الدولة حيث كانت نهايتها في أواسط القرن السادس الهجري القرن الثاني عشر الميلادي على يد نورالدين محمود زنكي.

ولقد كانت الدولة العبيدية منذ نشوئها على خلاف مع الدولة العباسية في بغداد وكان همها الشاغل إضعاف تلك الدولة بغية إسقاطها والاستيلاء على ملكها حتى وإن تطلب الأمر التعاون مع الصـليبيين وأن من بين أسـباب قدوم الصـليبيين إلى الشام كان طلبًا من قادة الدولة العبيدية لما أحسـوا بخطر السـلاجقة على دولتهم واتسمت علاقات الدولة العبيدية بالصـليبيين بين التعـاون وعقد المعاهدات والتبادل التجاري إلى الصدام العسكري والاقتتال في بعض الأحيان، أما العلاقة مع السلاجقة والزنكيين فيما بعد فكانت تتسـم بالتصادم العسـكري في أكثر الأحيان وفي الصلح والتعاون في أحيـان أخرى فكانت سياسـة الدولة العبيديـة تبعًا لتحقيق مصـالح الدولة في بادئ الأمر، ثم اتجهت إلى تحقيق المصالح الذاتية للقيادات وبالأخص الوزراء وبسبب تلك السياسـية وجه نور الدين محمود ثلاث حملات عسـكرية بقيادة أسـد الدين شيركوه

إلى مصـر بطلب مـن قادة الدولة العبيديـة وقد جرى خلال تلك الحملات تصـادم بين القوات الزنكية والصـليبيين ومن تحالف معهم وكان النصـر بجانب الزنكيين في تلك المعارك التي من أهمها معركة البابين، وكان من نتاج الحملة الثالثة أن اسـتقرت القوات الزنكية في مصـر وأصبح أسد الدين شيركوه وزيرًا للعاضد آخر خلفاء الدولة العبيدية، وبعد وفاته أصـبح صـلاح الدين وزيرًا للعاضد وخطب لنورالدين في مصر إلى جانب العاضـد، وكان لنورالدين الدور الكبير والرئيسـي في توحيد مصـر وبلاد الشـام وإسقاط الخطبة للعاضـد العبيدي وإقامة الخطبة للمستضيء العباسي رغم كل الأعذار التي كان يعتذر بها صـلاح الدين فلما أحسـن صـلاح الدين أن نورالدين عازم على الأمر أسقط الخطبة للعبيدين وأقام الخطبة للعباسيين، ومن أهم العوامل التي دفعت نورالدين لضـم مصـر إلى دولته هي توحيد بلاد المسلمين ضد الصليبيين والاستفادة من الثروات الاقتصادية والموارد البشرية المصرية في دعم جهاد المسلمين ضـد الصليبيين وإضعافهم وتشـتيت جهودهم وصولاً إلى طردهم من بلاد المسلمين. ومن نتائج توحيد مصـر وبلاد الشام توحيد القوى الإسلامية ضد الصليبيين وجعلها تحت قيادة موحدة بدلاً من تشـتتها وإضـعاف الصليبيين عسـكريًّا واقتصاديًّا حيث أحاطت بهم القوات الإسـلامية من الشـرق والجنوب وبالسـيطرة على موانئ البحر المتوسط مكن المسلمين من استخدام البحر ضد الصليبيين عسكريًّا واقتصاديًّا.

الاستنتاجات:

أن الدولـة (العبيديـة) تبنـت الحركة الإسـماعيلية الباطنية فكانت على صـلة وثيقة مع الحركات الباطنية كالقرامطة والحشاشـين التي كانت تضـمر العداء لعامة المسلمين وتحاول إلحاق الأذى بهم.

من الأرجح أن خلفاء الدولة العبيدية لم يكونوا من أصول علوية كما يدعون وإنما هم من صنيعة الحركة الإسماعيلية الباطنية التي ألصقتهم بالأصول العلوية.

إن الصراع بين الدولتين العباسية ويمثلها السلاجقة والزنكيين من جهة والدولة العبيديـة من جهـة أخرى لم يكن صـراعًا مذهبيًّا فقط وإنما كان صـراعًا سياسـيًا عسكريًّا له أهداف عسكرية وسياسية واقتصادية أكثر ما تكون دينية.

إن عموم أهل البلاد التي كانت تحت سلطة الخلافة العبيدية كانوا على مذهب مخالف لمذهب خلفائهم إلا أنهم كانوا يدينون لم بالولاء.

لم يتسم إنهاء الخلافة العبيدية بالعنف والأعمال القتالية التي يذهب ضحيتها الكثير من الناس والأموال ولكنه تم بصورة سلمية لم ترق قطرة دم فيه ولم تحدث أي حالة نهب أو سلب أو تخريب.

إن الذي سعى إلى توحيد مصر وبلاد الشام وهيأ كل المستلزمات وبذل الجهد لذلك هو السلطان نورالدين محمود زنكي الذي كان يدين بالولاء المطلق للخلافة العباسية ولولا إصراره وعزمه على توحيد مصر مع بلاد الشام لم تكن لتتوحد في ذلك الوقت المهم بالنسبة للصراع بين المسلمين والصليبيين.

الهوامش

(١) جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ)، تلبيس إبليس، دار الفكر للنشر، الأردن، ص١١٧.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، موقع الوراق الالكتروني، ٤٧/١؛ كامل محمد حسين البالي الحلبي الشهير بالغزي (ت١٣٥١هـ)، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ١٤١٩هـ، ١٦٨/١.

(٣) محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي (ت٦٢٨هـ)، أخبار ملوك بني عبيد، دار الصحوة، القاهرة، ص٤٤.

(٤) الإسماعيلية فرقة شيعية تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ولهم ألقاب منها الباطنية لقولهم لكل ظاهر باطن ومنهم القرامطة والمزدكية، الشهرستاني، الملل والنحل، موقع الوراق الالكتروني، ٤٧/١.

(٥) علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية، ط٢، دار المعرفة، (بيروت، ٢٠٠٩م)، ص٢٣٤.

(٦) المهدية: مدينة بالمغرب العربي في تونس قرب القيروان بناها عبدالله المهدي أول الخلفاء الفاطميين، زكريا بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، ٢٠٠١م)، ص٢٧٦.

(٧) الصنهاجي، أخبار الملوك بني عبيد، ص٤٤.

(٨) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ابن الأثير (ت٥٥٥هـ/٦٣٠هـ) (١١٦٠-١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان -١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٨/٢٤-١٩٨٧م)، ٨/٢٤-٩٥؛ عبدالقادر أحمد أبو صيني، نورالدين محمود موحد الأمة ضد الصليبيين، مطبعة الفطافطة، (الزرقاء-الأردن، ٢٠٠٠م)، ص٤٤.

(٩) جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ابن تغري بردي، (٨١٣/٨٧٤هـ) (١٢٤١-١١٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م)، ١٤٧/٥.

(١٠) محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار النفاش، (بيروت، ٢٠١٠م) ص٣٠.

(١١) القاضي بهاء الدين ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، دار القلم العربي، (حلب، ٢٠٠١م)، ص٥٢؛ محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي الصليبي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، (القاهرة، ١٩٩٨م)، ص٨١.

(١٢) الغزي، نهر الذهب، ١٧٠/١.

(١٣) الأولوسي، مختصر التحفة الاثني عشرية، ص١٩.

(١٤) المرجع السابق، ص١٩.

(١٥) برنام لويس، أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرامطة، راجعه د. خليل أحمد خليل، ط١، دار الحداثة، ص١٣٦.

(١٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١٣/٩.

(١٧) راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، مؤسسة اقرأ، (القاهرة، ٢٠٠٩م)، ص٢١١.

(١٨) محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي الصليبي، ص٨٣.

(١٩) المرجع السابقة ص٨٤.

(٢٠) المرجع السابق، ص٨٤.

(٢١) د. محمد مؤنس عوض، الصراع الإسلامي الصليبي، ص٧٧.

(٢٢) المرجع السابق، ص٨٠.

(٢٣) المرجع السابق، ص٨٤.

(٢٤) طقوش، تاريخ الزنكيين، ص٣٠.

(٢٥) قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، ط٥، شركة المطبوعات، (بيروت، ٢٠١٣م)، ص١٦٥.

(٢٦) محد مؤنس، الصراع الإسلامي الصليبي، ص٨٠.

(٢٧) علي الصلابي، الدولة الزنكية، ص٥٣٥.

(٢٨) ابن الأثير، الكامل، ٨٤/٩.

(٢٩) بلبيس: مدينة مصرية على بعد عشرة فراسخ من فسطاط مصر، الصنعاني، الحسن بن محمد بن الحسن (ت٥٧٧هـ/١١٨١م)، العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٨م، ص٥٠.

(٣٠) إسماعيل بن علي بن محمود أبي الفدا، تاريخ أبو الفدا المسمى المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ١١٥/٢.

(٣١) محي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٢٢م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨م، ٣٠٢/٢-٣٠٦.

(٣٢) سالم محمد الحميدة، الحروب الصليبية في عهد الوحدة، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩٣م)، ص١٣٤.

(٣٣) نيكيتا اليسيف، السلطان نورالدين زنكي، ترجمة سليم قند لفت، مطبعة الأديب، (دمشق، ١٩٨٨م)، ص٣٢٢.

(٣٤) ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ١٤٨/٥.

(٣٥) اليسيف السلطان محمود، ص٣٢٤.

(٣٦) المرجع السابق، ص٣٢٧.

(٣٧) الحميدة، الحروب الصليبية، ص١٤٠.

(٣٨) ابن الأثير، الكامل، ٤/١٠.

(٣٩) أبو الفدا، تاريخ أبو الفدا، ١١٩/٢؛ ابن الأثير، الكامل، ٢٧٠/٩.

(٤٠) ابن الأثير، الكامل، ٣٣٩/٩؛ علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، دار الفكر للطباعة والنشر، ص٩٥.

(٤١) ابن الأثير، الكامل، ٣٣٩/٩.

(٤٢) المصدر السابق، ٣٤٠/٩.

(٤٣) المصدر السابق، ٣٤٤/٩.

(٤٤) المصدر السابق، ٣٦٥/٩.

(٤٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٥٤.

(٤٦) المصدر السابق، ص٥٤.

(٤٧) قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، ص١٦٣.

(٤٨) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص٣٤٧.

(٤٩) أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد الشهير بعماد الدين الأصفهاني (ت٥٩٧هـ)، الفتح القسي في الفتح المقدسي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ص٣٣.

مَكتَبةُ الصَّغَانيِّ ونَوادرُها

أفنى العلماء والأدباء أعمارهم في تحصيل العلم ونشره بين الناس، فلهذا الغرض صنفوا الكتب ونقلوها بأيديهم وجمعوها للاستفادة منها كما حثّوا أصحابهم على حبّ الكتاب وجمعه لديهم، وذلك لعموم الفائدة منها ، فذخروها ودعموا بها صرح الحضارة وأقاموا بناءه شامخا فعاش العالم الإسلامي في أرقى صورته وازدهاره في القرون الوسطى، وتجد ذكرهم في كتب تراجم العلماء و هم كثيرون ولا يحصى عددهم.

ورأينا بين هولاء العلماء، وذلك في حقبة أخيرة من القرن السادس وحقبة أولى من القرن السابع عالما فذا ، الذي كرّس حياته لحصول العلم، وجمعه في صورة الكتب؛ ألا وهو :الحسَن بن محمّد بن الحسَن الصَّغَاني(المتوفى ٦٥٠هـ) الذي فاق أقرانه في العلم و أصبح فريد عصره و صار أوحد زمانه، وهو قمر لامع يتلألأ بين أقمار العلماء الكبار المعروفين في ميادين العلم. و أما مكتبته فكانت خزانة من الكتب النادرة وأصولها، وتجمّع لديه ذخيرة عظيمة، وأصبح الصغاني محطّ أنظار العلماء أينما حلّ وحيثما وقع في الهند والسند والبلاد العربية التي جاب فيها في حياته كثيرا. واستفاد العلماء منه و من مكتبته،لأنه صحب بهذه المكتبة في حالة السفر كذلك فاستخدمها في تأليفاته بالأخص في أعماله المعجمية. وترون بعد إلقاء النظر على هذه المجموعة أن الصغاني جمع لديه من الكتب ما لا نظير له في الندرة في زمانه، و لكن تجد فيها نُسَخَ الكتب التي أصبحت الآن أثرا بعد عين.

١- مَن هو الصَّغَانيُّ:

هو الشيخ الإمام العلامة حجة العرب، لسان أهل الأدب، أوحد العصر، رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل العُمري (٥٧٧هـ - ٦٥٠هـ) [١]، من أسرة علمية ازدهرت أولا بصغانيان من آسيا الوسطى ثم انتقل أبو الصغاني أو جده إلى غزنة، ومنها إلى لاهور: مدينة علمية ومعروفة في باكستان . هنا ولد صاحبنا الحسن الصغاني سنة ٥٧٧ هـ ، ثم رجع والده إلى غزنة . ويخبرنا الصغاني نفسه أن والده كان قد تعلّم بغزنة على علماء كبارلعله لذلك اختار هذه البيئة العلمية لولده، فتلقى الصغاني العلوم في صباه أولا على يد أبيه فغرس فيه حب اللغة العربية وآدابها ثم استفاد من علماء غزنة استفادة طيبة.

أقام الصغاني بغزنة حتى وفاة أبيه عام ٥٩١ هـ ، ثم انتقل إلى بلاد أخرى، لعله تجول أولا في الهند ، ثم رحل إلى مدن آسيا الوسطى، و خلال هذا التجوال سمع الحديث من العلماء الكبار، ثم ذهب إلى البلاد العربية و لا نعرف متى و لا يشير أي مصدر إلى وقت ذهابه إلى البلاد العربية إلا أنه ذكر ذلك في معجمه الكبير و هذا أول إطّلاع بوجوده في جزيرة العرب فإنه قال: «كنت سمعت هذا الحديث بمكة -حرسها الله تعالى- وقت سماعي سنن أبي داود و لما شرفت بزيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم و ذلك سنة خمس و ست مائة دخلت البستان الذي فيه بئر بضاعة وقدّرت قطر رأس البئر بعمامتي فكان كما قال أبو داود»[٢]. و يبدوأنه في هذه الفترةاختلط و تردد إلى أهل البادية و ذلك لحفظ اللغة ومعرفة الأمكنة والأشياء التي ورد ذكرها في المعاجم وكُتب الأدب والحديث، كما تجول في جزيرة العرب مدة، من اليمن إلى مكة المكرمة مرارا.فورد مدن الجزيرة العربية و قُراها واستفاد من العلماء كما استفاد العلماء منه، منهم: الإمام بطّال بن أحمد ، من اليمن، وأبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرازي (ت: ٦٥٨ هـ) ، وأبو إسحاق إبراهيم بن إدريس بن الحسن الأزدي (ت: ٦٥٠ هـ) وغيرهم.و بين هذا التردد في جزيرة العرب، لقيه ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦ هـ) بمكة المكرمة عام ٦١٣ هـ .

ولما دخل الصغاني بغداد سنة ٦١٥ هـ، وصل صيته كعالم إلى بلاط الملك الناصر

لدين الله، فاستفاد من الصغاني، ثم أرسله الملك رسولا إلى الهند أولا في سنة ٦١٧هـ و ثانيا سنة ٦٣٧هـ ، و لدى الرجوع من الهند استقر الصغاني ببغداد واشتغل بالتأليف والتصنيف حتى مماته بها سنة ٦٥٠ هـ .

وكان الصغاني من المكثرين في التأليف، فصنف كتبا ممتعة في اللغة والحديث والعلوم الأخرى، لكن معظم أعماله في حقل المعجميات،و هذا الميدان أبرزها كلها ومنها:

١ - العُباب الزاخرُ واللُّبابُ الفَاخر، في عدة مجلدات، ولم يكمل لوفاته، وهذه ثمرة من أعمال حياته.

٢ -التكملة والذيل والصلة، جمع فيه ما أهمل الجوهري، وفرغ منه سنة ٦٣٥هـ .

٣ -مجمع البحرين، جمع فيها الصغاني التكملة والذيل و الصلة له، وصحاح اللغة، للجوهري.

هذه الكتب المبسوطة أما الكتب الصغيرة في اللغة فإنها: الشوارد من اللغات، كتاب الانفعال، كتاب فعَلان (بحركة العين) ، كتاب يفعول، كتاب فعَالِ وغيرها ورسائل أخرى صغيرة ومهمة.

وأورد الصغاني في كتبه معلومات لم يُرَ مثلها ذلك عند غيره من المعجميين، و قد استنتج الدكتور حسين نصار سبب ذلك فقال: «لعل السبب في ذلك اتساع معارفه الأدبية والحديثية، وغنى مكتبته بهذا النوع من الكتب حتى كثرت أسماؤها ومراجعه في كتبه»[٣]. وكان لديه مكتبة كبيرة يحملها عشرة أحمال وأنها تربو على ألف مصنَّف عددا، وقد ذكر منها ما حضر في ذهنه وقت تأليف الكتب و في مقدماتها مثل مجمع البحرين والتكملة والعباب الزاخر.

٢- حبّه للكتب:

إن الصغاني قد ورث حبّ الكتاب ونسخه من أبيه وأسرته منذ نعومة أظفاره، لأنه فتح عينيه وكان حوله العلماء وكتبهم. ولقد زبر الكتب منذ كان طفلا ، وقرأها على العلماء، ولما أصبح شابا انتسخ كتبا أدبية ولغوية لنفسه وللآخرين، وعندما دخل

في حوزة العلماء كان ينسخ تلامذته وأولاده ينسخون له. ونرى هذه الظاهرة خاصة عند الصغاني أن العلماء كانوا يجلسون في بيته وينسخون الكتب ويقرؤونها عليه[٤] .

إن حصول الكتب وتوفيرها في العصور السالفة ما كان سهلا ميسورا كما في هذه الأيام، وكان النسّاخ والورّاقون ينسخون الكتب بأيديهم، الأمر الذي يحتاج إلى كثير من الوقت والنضال. ومع ذلك كان محبو الكتب يعهدون بهذه المهمة إلى ورّاقين كما يشترون منها نسخا للكتب بعد دفع المبالغ الهائلة عوضا عنها.

لقد قضى الصغاني شطرا كبيرا من حياته في الأسفار والترحال في البلاد الإسلامية و الهند و اليمن وذلك لأخذ العلم من العلماء وتدريس العلوم المختلفة المجالات. وفي أثناء هذا التجوال انتسخ كتبا كثيرة من عند العلماء ونقل نسخا من خزائن المساجد والمكتبات الزاخرة بالكتب في المناطق التي وطئها.

ويصعب علينا، في هذه الأيام – أي أيام المطبعة – أن نقيس ما كان يعاني عالم من علماء تلك الأزمان من ألوان العقبات والصعوبات لنسخ كتاب ما، وما يقوم به من سفر طويل وبمقابلة نسخ كثيرة مبعثرة على أرض ممتدة، من العراق إلى اليمن حتى في الهند جميعها.

وكان من دأبه أنه لم يكن ينسخ الكتب العادية بل كان يعدّ نسخا خاصة للكتب متقنةً و ذلك بعد المقابلة على نسخها الأصلية والمقروءة على العلماء الكبار. وميزة أخرى اختص بها الصغاني أنه كان ينسخ الكتب مشكولة بكل اهتمام وبغاية العناية كيلا يتسرّب إليها تحريف و لا تصحيف.ولا يعزب عن بالكم أنه كان يعُدّ نسخا خاصة للكتب في ضوء طرق التحقيق السائدة آنذاك، وكان يذهب في هذا المضمار إلى آفاق بعيدة، فكان يفيد من النسخ القديمة للكتب ويحاول إختيار نسخها التي قرئت على العلماء أوكتبوها بأيديهم، كما كان يحاول للحصول على نسخ بأيد المؤلفين. وإذا عَلِم بنسخة لكتاب ما كان لا يستقر مقامه حتى يحصل عليها، أو ينتسخ منها نسخة له. وفضلا عن ذلك كان يَعرف علماء من بين الأجيال السالفة الذين اشتهروا باتقان الخط وصحته و كان يحاول الحصول على النسخ من أيديهم ولذلك تطورت عنده قواعد خاصة في هذا الشأن يمتاز بها خطه وكتبه، وقد أثّرت هذه القواعد، في انتساخ

الكتب، على الذين خلفوه من العلماء. لو درسنا هذه القواعد في ضوء الدراسات الأدبية الحديثة، لعرفنا مدى علمه الغزير وعمله التحقيقي في قواعد التحقيق بمنزلة أرقى ، فإنه أعطانا بما لا شك فيه قواعد مبتكرة في هذا الصدد.

ولا يفوتنا أن نذكر أن المعلومات والقواعد التي استشفيناها من بين كتب الصغاني في مضمار انتساخ الكتب وتقييمها ، لم تكن مدونة في كتاب ولا توجد بمكان واحد، بل أوردها الصغاني ضمنا في تأليفاته. ومن المعلوم أنه كان يهتم كعادته وبدون شك إلى هذه الأمور، وهي المعلومات التي عرفناها وظهرت في كتبه على نحو تصادفي وإلا كان إظهارها مفاخرة.

وكان من عاداته – وهذه نراها بالأخص عند الصغاني بكل وضوح – أنه يرجع إلى نسخ عديدة للكتاب لتصحيح النسخة وتدقيقها و كذلك للكلمات فيها. وفي بعض الأحيان يذهب إلى أبعد من ذلك ويرجع إلى نسخ الكتاب المتوافرة عنده و في المدينة بأسرها و في المنطقة التي يسكن بها حتى يذهب إلى بلاد نائية من العراق والحجاز واليمن والهند[٥]. رأينا أن الصغاني مرة نظر لفحص كلمة في تهذيب اللغة، للأزهري فرجع إلى ثلاث نسخ منه كانت عنده، ولم يطمئن من ذلك و بعد ذلك ذهب إلى مكتبات قريبة منه ثم ذهب إلى مكتبة المدرسة النظامية ببغداد ورأى هناك نسخة التهذيب فارتاح لرؤيته، فقال: «إنها في غاية الوضوح ضبطا وشكلا»(٥أ) . أليس من الغريب أنه رجع في الوقت نفسه إلى نسخة من بين النسخ الثلاث التي كانت عنده بخط المؤلف، ولم يطمئن لها حتى ذهب إلى مكتبة المدرسة النظامية؟!

٣- نموذج عمله:

في بعض الأحيان تظهر مباغتة من قلمه محاولة من محاولات الحصول على نسخ الكتب في عمله ، كما أفادنا ضمن كلمة من رجز لرؤبة، فقال في تركيب(صنغ): «هذا التركيب مهمل في كتب اللغة التي سمّيتها في صدر هذا الكتاب التي استخرجته منها. و إنما حملني على ذكره أني رأيت بخط ابن العصّار السُّلَمي الرقيّ، وهو أبو الحسَن علي بن عبد الرحيم بن الحسن، وخطه في الصحة والإتقان حجة في مزالّ المعضلات ومعاميها، ومضالّ المشكلات ومواميها محجّة، في رجز لرؤبة:

فلَا تسمّع للعَي الصُّنَّغِ تُمارِسُ الأعضـال بالتَملُّغِ

ولم يتعرض في الشـرح لمعناه، وكذا في سائر النسـخ الموجودة ببغداد من أراجيز رؤبـة. ورأيت في نسـخة مقروءة على ابـن دريد من أراجيزه بروايـة أبي حاتم وتاريخ الفراغ من نسخها ذو الحجة سنة سبع وستين ومئتين:

فلَا تسُمَّع للعَنِيِّ الصُّبَّغِ

بالنون في العنيّ، وبالباء الموحدة في الصُّـبَّغ، ولم يتعرض لشـرحه أيضا، وبإزائه في الحاشية لم يعرفه أبو بكر [ابن دريد] أيضا. ولا شك في أن اللفظ مصحّف، فإنه لو خلا من التصحيف لفسّر. ولم يخطر ببالي [يقول الصغاني] الفحص عن هذا اللفظ إبان إلبابي ببلاد الهند وأوان ترددي إليها فإن بها نسـخا متقنة بهذا الديوان وبسائر دواوين العرب. فأما الآن فقد حيل بين العير والنزوان ولات حين أوان، والله المستعان. وأما الذي عندي فإنه الصَّـيِّغُ، فَعِّيلٌ من صاغ يَصُوغ، وهوالكذّاب الذي يصوّغ الكِذب ويزَخْرِفه ويُقرّط الزُّور ويشنِّفه»[٦] .

وهـذا نموذج من نماذج عالية الشـأن، عظيمة القدر لعمل الصـغاني، وهي تدل على نمط عمله وعنايته بالكتب و كذلك تشير إلى ذخيرة كتبه، فإنه إذا قال: «كذا في سـائر النسخ الموجودة ببغداد من كتاب»، يعني منه أنه عارف بكل خزانة كتب ببغداد ويعرف مكتباتها الخاصـة والعامة والشخصية والملكية، وفي الوقت نفسه يعرف نسخا كثيرة لكل كتاب يُعنى به.

٤- خزانة الكتب للصغاني:

وليس من السهل أن نقدّر كمية خزانة الكتب للصغاني، ومما يساعدنا في تقدير حجمها ما قاله هو في موضع: «إنها يحملها عشرة أحمال» وبمكان آخر: «إنها تزاد على ألف مصـنَّف»[٧]. ومن المعلوم أنه اسـتفاد بجانب هذا من خزائن العلماء ببغداد وما في المكتبات عامة وخاصة، والمكتبات الملكية وغير الملكية مثل مكتبة المدرسة النظامية هناك. ومن الممكن أن النسـخ الوحيدة والكتب الفريـدة التي نرى ذكرها في تأليفاته كانت من خزائن شخصية أو من خزائن ملكية.

إن الصغاني لم يورد أسماء الكتب التي استفاد منها في عمله، بل ذكر بعضًا منها

على نحو الضـرورة ضـمن صـحة معلومات أو لفحص كلمات أو نقد أبيات. وزد عليه أنه كان يذكر أسـماء كتب تؤيده وَتقوي ما جاء به من معنى أو من رواية شـعر.وجدنا أنـه قـد ذكر الكتب منها بمكان واحـد في قائمة أوردها في آخر كتابـه «التكملة» مرة، وذكرها أخـرى في نهاية كتابه «مجمع البحرين»، ثم في مقدمة كتابه الرائع: «العباب الزاخر واللباب الفاخر»، فقد حصـر جمعًا من الكتب الخاصـة من الأدب العربي ما عدا المعاجم، في أصناف:

- الكتب المؤلفة في الآباء والأمهات.
- الكتب المؤلفة في أسامي الأسد.
- الكتب المؤلفة في أسامي الجبال والمواضع والبقاع والأصقاع.
- الكتب المؤلفة في دارات العرب و برقها.
- الكتب المصنفة في أسامي خيل العرب.
- الكتب في أيام العرب.
- الكتب المصنفة في الأضداد.
- الكتب المؤلفة في البنين والبنات.
- الكتب المؤلفة في جامع الأفعال.
- الكتب المؤلفة في ما اتفق لفظة وافترق معناه.
- الكتب المؤلفة في المذكر والمؤنث.
- الكتب المؤلفة في المقصور والممدود.
- الكتب المؤلفة في النبات والأشجار.
- الكتب المؤلفة في ما جاء على فَعَالِ مبنيا[٨]

وأضاف لها في آخر مجمع البحرين له:

- الكتب المؤلفة في غريب الحديث.

- الكتب المؤلفة في الأبنية.

وهذه الكتب ما عدا المعجمات التي كانت في الميدان.ومن الواضح أن الصغاني قد استفاد من جميع مؤلفات اللغويين، وحاول جمعها لديه كذلك، كما أفادنا في هذا الشأن وقال عن ابن فارس: «كذلك سائر تصانيفه وأكثرها عندي»[٩].

نحن نستطيع أن نجزم أن الكتب اللغوية التي كانت عنده جميعها كانت على الأقل في متناوله ومن مراجعه ومصادره. وبجانبها كان عنده تأليفات متضمنة أسماء الرجال وتراجم الصحابة رضوان الله عليهم، وتراجم المحدّثين و القراء واللغويين. وليس هذا الجزم على العواهن بل نحن متأكدون مما ورد في تأليفاته من أسماء الكتب، وهي أكثر مما نذكرها فيما يأتي.

ومن البيّن أن أكثر هذه الكتب قد نشرت حتى اليوم، وقليلة منها غير منشورة أو أنها مفقودة. وأما الكتب المفقودة فنستطيع بجمع مقتبساتها من هذه الأعمال للصغاني أن نحييها و نخرجها من الضياع إلى النور.

وبعد النظر في هذه القائمة نذهب إلى أن الصغاني كان يستفيد في عمله من كتب وافرة ونسخ نادرة. وبعض هذه النسخ كانت مهمة ، بل إن بعضها يعد نسخا فريدة في العالم، وهي تحتاج إلى شيء من التوصيف والانتباه الخاص، فنحن نذكر فيما يأتي بعضها:

إن القرن الثالث الهجري أنجب علماء كثيرون في ميدان اللغة، ومنهم أبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي (ت: ٢٣١ هـ)، وهو عالم كبير بارز في علم اللغة إلى جانب علوم أخرى ، له كتاب في الخيل وما يتعلق بها، يسمى بكتاب أسماء خيل العرب وفرسانها. وأعد لنفسه نسخة لهذا الكتاب المهم لغوي آخر وهو أحمد بن يحيى ثعلب (ت: ٣٩١ هـ) ، و بعد وفاته انتقلت هذه النسخة في أيد كثيرة، وفي القرن السابع الهجري انتهت إلى بيت الصغاني فاستفاد منها استفادة كاملة ضمن معلومات الخيل وفرسانها[١٠] .

ألف ابن الكلبي (ت: ١٤٦ هـ) كتابا في أسماء السيوف وسماه : كتاب أسماءسيوف العرب المشهورة، وكانت له نسخة مهمة جدا بخط محمد بن العباس اليزيدي (ت: ٣١٠ هـ) اللغوي الكبير.كانت لدى الصغاني هذه النسخة فانتفع منها في أعماله اللغوية[١١].

من مؤلفات ابن السكيت (ت: ٢٤٤ هـ) كتابُ الألفاظ وانتسخه عديد من العلماء ومنهم أبو سعيد السكري (ت: ٣٧٥ هـ) ، ومن الطريف أن الصغاني كان قد حصل على هذه النسخة نفسها واستفاد منها[١٢].

هناك كتاب يعد من أهم تأليفات ابن السكيت (ت: ٢٤٤ هـ) وهو كتاب البَحث، كان قد انتسخه أبو الغنائم محمد بن أحمد بن عمر الخلال، وكانت هذه النسخة بالنوبة عند الصغاني. و النسخة ليست بعادية، من يد عالم عادي، بل بيد عالم يدهشكم توصيفه يقينا، وهو الذي ذكره ياقوت في إرشاد الأريب، وقال:«اللغوي الإمام، عالم، جيد الضبط، صحيح الخط، معتمد عليه، وقد أخذ عن السيرافي والرماني، وتلك الطبقة»[١٣]. تحوي مكتبة الصغاني هذه النسخة الجليلة القدر.ويعد هذا الكتاب في هذه الأيام من التراث المفقود[١٤].

اعتمد الصغاني في عمله على كتاب التهذيب في اللغة ،لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠ هـ) والذي يُعدّ من أدق العلماء في اللغة، وكتابه يعد عمادا من أعمدة المعجم العربي. وكان لكتاب التهذيب سهم خاص في عمل الصغاني. ولهذا المصنَّف الجليل نسخ في بغداد و بلاد إسلامية أخرى. وأما الصغاني فاستفاد من هذا الكتاب من أربع نسخ له:

أ- النسخة الأولى التي كان عليها مدار عمله وكانت نسخة المؤلف، وهذه النسخة انتقلت، بعد وفاة الأزهري، إلى العلامة جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) كما أخبرنا القفطي[١٥] ، وظلت دهرا لديه ولدى أسرته حتى سقوط دولة خوارزم ، ثم انتقلت مع تأليفات الزمخشري الأخرى وما كان لديه من التراث، إلى بغداد، وهنا وصل إليها الصغاني.

ب- والنسخة الثانية التي كانت عند الصغاني انتسخت من يد عالم لا نعرف اسمه وذلك في حياة الأزهري، وكانت قد قرئت على الأزهري ، وعليها تصحيحات بيده[١٦].

ج- وكانت لدى الصغاني نسخة ثالثة لهذا الكتاب، وهي غير مهمة ولكن الصغاني استفاد منها كذلك وذكرها في عدة تراكيب من العباب[١٧].

د- وأما النسخة الرابعة التي انتفع منها الصغاني فكانت غاية الوضوح ضبطا وشكلا ، والتي وجدها الصغاني في مكتبة المدرسة النظامية ببغداد كما أشرت إليها مسبقا [١٨].

استفاد الصغاني في تأليفاته اللغوية من الجمهرة، لابن دريد، وجمع لديه أكثر من ثلاث نسخ لهذا المعجم، كما يتضح من معلومات واردة في كتابه العباب الزاخر، فمنها نسخة عادية. والنسخة الثانية بخط عالم من علماء القرن السابع وهو أبو محمد يحيى بن محمد الأَرْزَني (ت: ٦١٥ هـ). وأما النسخة الثالثة فكانت أجود من هاتين النسختين المذكورتين،وهي كانت بخط اللغوي الكبير، حجة العرب أبي سهل الهِرَوي (ت: ٤٣٣ هـ) ، وفضلا عن ذلك كانت النسخة هذه قد قرئت على علماء وعليها خطوطهم كما كانوا قد كتبوا عليها نكات توضيحية[١٩].

إن ابن الكلبي (ت: ١٤٦ هـ) لا يحتاج إلى تعريف، لأنه شهير لتواليفه الكثيرة في أخبار العرب، ومنها كتاب جمهرة النسب، الذي صار له صيت كالشمس بين أواسط العلماء فانتسخه قليل منهم. وأما النسخة التي كانت عند الصغاني ، فنسخة مهمة ونادرة جدا. وهذه النسخة كانت قد خُطت بيد نسّابة العرب المعروف بابن عبدة النسابة. فإنه ذكره في العباب في نسب «جهس بن يزيد»، فقال: «هكذا [جهس، بالسين غير المعجمة] ذكره أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي في غريب الحديث من تأليفه، وجار الله العلامة الزمخشري رحمه الله في كتابه الفائق الذي بخطه، ورأيت في كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي، في نسب النخع، بخط ابن عبدة النسّابة: منهم الأرقم وهو جهش بن يزيد بن مالك ... ،مضبوطا بالشين المعجمة»[٢٠]. وجدير بالإشارة هنا أن هذه النسخة كانت فريدة و معروفة بين أواسط العلماء و قد

استفادوا منها عند الحاجة كما استعاروها من الصغاني ،و قد ذكر علامة الجزيرة حمد الجاسر أن المبارك بن يحيى بن المبارك الغساني الحمصي (ت:٦٥٨هـ) لقي الصغاني واستعار منه هذه النسخة لكتاب جمهرة العرب، و اختصره في مدة قصيرة و ذلك ببغداد»[٢١].

إن كتاب الطير، لأبي حاتم سهل السجستاني (ت: نحو ٢٥٤ هـ) يحوي معارف عن الطيور، عَمِل ابن الأنباري (ت: ٣٠٤ هـ) اللغوي الكبير نسخته لنفسه، وشاء الله أن النسخة هذه وصلت أخيرا لمكتبة الصغاني عندما كان ببغداد فاستفاد منها ضمن معلومات الطيور[٢٢] .

لما سقطت دولة بعد أخرى من الدويلات الإسلامية بآسيا الوسطى، انحسر تراث المسلمين، وانتقلت أعمالهم للفكرية، إلى مركز الخلافة: بغداد. وفي هذا التراث انتقلت كتب عربية لعلماء هذه البلاد فمنها كتب جار الله الزمخشري. من المعروف أن لهذا العالم الجليل كتابا في غريب الحديث يسمى بـ«الفائق في غريب الحديث». وكانت النسخة عند الصغاني لدى قيامه ببغداد و هي التي كانت قد انتقلت مع الكتب الأخرى للزمخشري من خوارزم، كما أشرت إليها آنفا . وأما هذه النسخة فكانت بخط الزمخشري نفسه، فقد كان الصغاني يعتمد عليهاكثيرا ،كما يعُد أعمال الزمخشري مهمة و يعدُّه من أهل الإتقان [٢٣].

ألف ابن فارس كتابا لطيفا وسماه فتيا فقيه العرب، عمل له الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي(ت ٤٧٠هـ) نسخة، وتنقّلت هذه النسخة بأيدي العلماء إلى أن وصلت في القرن السابع إلى الصغاني، فاستفاد منها وضمها إلى مكتبته[٢٤].

وألف عبد الملك بن قُريب الأصمعي (ت:٢١٦ هـ) كتابا مفيدا، وهو كتاب فحول الشعراء، كانت نسخته الكاملة عند الصغاني وتلك بخط مؤلفه الأصمعي[٢٥].

إن كتاب الفهرست، لابن النديم يعد كتابا مهما ويعد أول تأليف دوّن في حقل الفهرسة عند العرب. ولهذا الكتاب نسخ عديدة من أيدي العلماء الكبار. وأما النسخة التي استفاد منها الصغاني في عمله التحقيقي و كانت في مكتبته فهي بخط ابن النديم

نفسه [٢٦]. بعد مقارنة الكتاب المطبوع بمعلومات الصغاني المستقاة من هذه النسخة للفهرست نستطيع أن نكوّن نسخة كادت تكون أصح وأقرب مما سودتها أيدي المؤلف.

ومن مؤلفات أبي العباس المبرّد (ت: ٢٨٦ هـ) كتاب معروف في الأنساب، وهو كتاب نسب عدنان وقحطان، توجد لهذا الكتاب نسخ عديدة خطت بأيدي علماء معروفين وغير معروفين. إن النسخة التي كانت عند الصغاني انتسخها الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي(ت ٤٧٠هـ)، الذي كان لغويا كبيرا ونحويا عظيما في زمانه، ولهذه النسخة مزية أخرى لأنها كانت قد قرئت على علماء كثيرين [٢٧]. وقد حقق الكتاب أستاذي و شيخي عبد العزيز الميمني من نسخة غير هذه النسخة. و قد وجدت بعد إلقاء النظرة العابرة عليها أن هناك اختلافًا في عدة مواضع بين هاتين النسختين .

وألف غلام ثعلب أبو عمر الزاهد (ت:٣٤٥ هـ) كتاب اليواقيت وهو كتاب مهم بالنسبة للأدب العربي، وكانت عند الصغاني نسخة لهذا الكتاب بخط مستملي أبي عمر الزاهد: إبراهيمُ بن محمد الطبري المعروف بتَوزُون[٢٨].

هاكم قائمة هذه الكتب القيمة التي كانت في مكتبة الصغاني و عرفناها من خلال تأليفاته.فقد أشرنا في الإحالة إلى «م» التي ذكرت في مقدمة معجمه الكبير:العباب الزاخر، والتي عرفناها أثناء المعلومات منها فقد أشرنا إلى المادة التي وجدناها في هذه التأليفات. ولا يظن ظانّ أنه ورد ذكرهذه الكتب بمكان واحد، بل ورد ذكرها في عدة مواضع في التأليفات لكننا أشرنا منها إلى واحد أو اثنين فقط.وهذه القائمة ليست بكاملة، وهناك العديد من المصادر التي لم تذكر في أعمال الصغاني. ومن المحتمل أن المجموعة ستكون أكبر من هذه القائمة عدّا، التي لم يَرَ الصغاني حاجة إلى الإشارة إليها :

[أ]

- الآمدي، أبو القاسم الحسَن بن بشر (ت: ٣٧٠ هـ):

– معجم الشعراء: (م).

- الأبهري، أحمد بن عثمان بن أحمد الجابري (ت: ٣٣٨ هـ):

- حدائق الأدب: (م).

- لم يعرف مؤلفه :

-أبنية كتاب سيبويه: (العباب: قسحب، قسقب، عنظ).

- أبو تمام، حبيب بن أوس (ت:٢٣١ هـ):

- كتاب الحماسة: العباب (دعلج) (٢٩).

- الأخفش، علي بن سليمان بن الفضل، أبو الحسن الأخفش الصغير (ت: ٣١٥ هـ):

- كتاب النوادر: (م).

- الأزدي، أبو القاسم عبد الله بن محمد (ت: ؟ هـ):

- كتاب ذو وذات (م)،

- كتاب الترقيص (م).

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر (ت: ٣٧٠ هـ):

- التهذيب في اللغة: (كانت عند الصغاني أو في متناوله أربع نسخ منه ، فيها نسخة الأزهري، (العباب: دكس، زطط، زجر، فقص، ألل).

- الأصمعي، عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، أبو سعيد (٢١٦ هـ):

- الاختيارات: (العباب: ندب)،

- الأصمعيات: (العباب: ضمر)،

- كتاب خلق الانسان: (م)،

- كتاب الخيل: (العباب: هزج)،

- كتاب فحول الشعراء، بخط الأصمعي: (العباب: خلج)،

- كتاب الفرق: (العباب: ثلب)،

- كتاب المقصور والممدود: (الشوارد في اللغة: ق ٣٧)،
- كتاب الهمز: (م)،
- كتاب الوحوش: (م، ومقدمة أسامي الأسد وكناه).

• ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد زياد، مولى بني هاشم (ت: ٢٣١ هـ):

- كتاب خيل العرب ، وهو بخط ثعلب، (العباب: زرر)،
- كتاب النوادر: (م، والعباب: ملأ).

• ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت: ٣٢٧ هـ):

- كتاب الأضداد: (الأضداد بآخره)،
- كتاب الزاهر: (م)،
- كتاب المقصور والممدود: (العباب: جمح) (٣٠)،
- كتاب المؤنث والمذكر: (العباب: أجأ)،

[ب]

• الباقرحي، أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن بن محمد بن اسحاق (ت: ؟ هـ):

- الملخص من غريب الحديث: (م).

• أبو بكر بن السراج، محمد بن السري، (ت: ٣١٦ هـ):

- كتاب معاني الشعر: (م، والعباب: عقب).

[ت]

• أبو تراب:

- كتاب الاعتقاب: (العباب: ريخ، وكتاب الانفعال).

• التنوخي، القاضي أبو علي المحسن بن علي، (ت: ٣٨٤ هـ):

- كتاب الفرج بعد الشدة: (العباب: غفف).

[ث]

- ابن ثابت البغدادي، أبو محمد أحمد بن علي، (ت: ٤٦٣ هـ):

- كتاب الأسماء المبهمة: (العباب: خدج) (٣١).

- ثعلب، أحمد بن يحي بن زيد بن سيار أبو العباس الشيباني، (ت: ٢٩١ هـ):

- ياقوقة اللحن: (كتاب الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها: سمع وغزل)،

- أسماء خيل العرب و فرسانها ،بخط المؤلف: (العباب: مجح).

[ج]

- الجُمَحي، أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله بن سالم، (ت ٢٣١ هـ):

- طبقات الشعراء: (م والعباب: أطط)،

- كتاب النوادر: (م).

- الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣ هـ):

- الصحاح في اللغة: (م).

- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جني، (ت: ٣٩٢ هـ):

- كتاب المبهج: (كتاب الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها: يزن).

[ح]

- الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، (ت: ٢٨٥ هـ):

- غريب الحديث: (م، والعباب: وكف).

- الحريري، أبو القاسم بن علي، (ت: ٥١٦ هـ):

- المقامات، بخط محمد بن أبي طاهر بن مسعود القزويني، تم انتساخها في سنة: ٥٩٨ هـ ، وقوبلت من الصغاني بما بيد المؤلف و بها تقييدات بخطه.

[خ]

- الخارزنجي، أحمد بن محمد البُشتي، (ت: ٣٤٥ هـ):

- كتاب التكملة للعين: (العباب: غنش، بشت).

- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين، (ت: ٣٧٠ هـ):

- كتاب الآفق : (م)

- كتاب أسامي الأسد: (مقدمة أسامي الأسد وكناه)،

- كتاب اطرغشّ وابرغشّ: (م)،

- كتاب ليس في كلام العرب: (م).

- الخطّابي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، أبو سليمان، (ت: ٣٨٠ هـ أو ٣٨٨ هـ):

- أعلام الحديث، (العباب: بشق)،

- غريب الحديث، (العباب: م، و جهس).

- الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري، (ت:١٨٠ هـ):

- كتاب العين، (م).

- الخوارزمي، أبو بكر :

- المجموع (في ثلاث مجلدات): (م).

[د]

- ابن دريد، محمد بن الحسن بن دريد بن العتاهية، أبو بكر الأزدي، (ت: ٣٢١ هـ):

- كتاب الاشتقاق، (م، والعباب: سبأ، حجب)،

- كتاب الجمهرة، المقروءة على العلماء والمصححة بأيديهم، وبخط أبي سهل

الهروي، وبخط الأرزني: (العباب: رمص، قعش، قفع، ألل).

- دعبل الخزاعي، (ت: ٢٤٦هـ):

- معجم الشعراء: (م).

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت: ٣٨٢ هـ):

- كتاب النبات: (العباب: قثلب، غزد، صيح، فش).

[ز]

- الزبير بن بكار، (ت: ٢٥٦ هـ):

- كتاب النسب: (م والعباب: صوب).

- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (ت: ٣١٢ هـ):

- كتاب فعلت وأفعلت: (العباب: وصب).

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت: ٥٣٨ هـ):

- الفائق في غريب الحديث، بخط الزمخشري: (العباب: قدد، جهس).

- أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت (ت: ٢١٥ هـ):

- كتاب أيمان وعيمان: (م، والحاشية: فخر، سهقى).

- كتاب خبأة: (م، والعباب: خبأ، الحاشية: طحا).

- كتاب نابه ونبيه: (م).

- كتاب النوادر: (التكملة بآخره).

- كتاب الهمز: (م، والعباب: حتأ).

- كتاب يافع ويفعة: (م، والعباب: وجب، عرف).

[س]

- السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان (ت: ٢٥٥ هـ):

- كتاب الإبل: (العباب: جور).

- كتاب الأبواب: (العباب: لسد).

- أخبار كندة: (م).

- كتاب الأضداد: (العباب: حزر).

- كتاب تقويم المفسد والمزال عن جهته من كلام العرب: (العباب: دوج، رود، الشوارد من اللغات :٤٨).

- كتاب الزينة: (م).

- كتاب الطير، بخط ابن الأنباري (ت: ٣٢٧ هـ): (العباب: عقب، حمر).

- كتاب المعمرين: (م).

- كتاب النخلة: (م، والحاشية: شوف).

- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥ هـ):

- كتاب السُنن: (العباب: خرأ).

- السجستاني، محمد بن عزيز، أبو بكر (ت: ٣٣٠ هـ):

- كتاب ديوان الأدب وميدان العرب: (م، والعباب: دكص، رهط، نشظ).

- ابن السكِّيت، يعقوب بن إسحاق (ت: ٢٤٤ هـ):

- كتاب إصلاح المنطق: (م).

- كتاب الألفاظ، بخط أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكّري (ت: ٢٧٥ هـ): (العباب: خبعج).

- كتاب البحث، بخط أبي الغنائم محمد بن أحمد بن عمر الخلال(أخذ من أبي علي الفارسي) (٣٢): (العباب: خبعج و دردج).

- كتاب التصغير: (م، والعباب: رنب، صوب).

- كتاب الفرق: (م، والعباب: ذحح).

- كتاب القلب والإبدال: (م).
- كتاب المثنّى والمكنّى والمبنّى: (العباب: حمر).
- كتاب معاني الشعر: (م، والعباب: صبب، وقف).

• السمعاني، أبو منصور محمد بن عبد الجبار (ت: ٤٥٠ هـ):

- كتاب الغريب، (م).

• سيف بن عمر التميمي (ت: ٢٠٠ هـ):

- كتاب الفتوح: (العباب والحاشية: جعر).

• سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: ١٨٠ هـ):

- الكتاب: (العباب: زهط).

[ش]

• الشاشي، الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل (ت: ٣٣٥ هـ):

- المسند الكبير: (العباب: شوش).

• ابن شبه، عمر (ت: ٢٦١ هـ):

- كتاب المعمرين: (م).

• ابن شميل، النضر بن شميل، أبو الحسن المازني البصري (ت: ٢٠٤ هـ):

- كتاب الجبال: (م).

[ص]

• الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل (ت: ٣٨٥ هـ):

- المحيط في اللغة: (م، والعباب: دحنج) (٣٣) .

[ض]

• ضمرة بن ضمرة:

- نوادر ضمرة بن ضمرة: (العباب: فوج).

[ط]

- الطبري، أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم النحوي السروي (ت ؟):

- كتاب فيه ذَكَر كلّا مما في كتاب الله عز وجل،بخط الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت: ٤٧٠ هـ): (مجموعة الدمياطي).

[ع]

- أبو عبيد القاسم بن سلّام البغدادي (ت: ٢٢٤ هـ):

- كتاب الأموال: (العباب: وطح).

- غريب الحديث: (م، التكملة).

- الغريب المصنف: (م).

- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت: ٢٠٩ هـ):

- كتاب الآبار: (العباب: بذر).

- كتاب الاعتبار: (العباب: كرب).

- كتاب التاج: (العباب: صوف).

- كتاب غريب الحديث: (م).

- كتاب أيام العرب: (م، والعباب: ظرب).

- كتاب المثالب: (العباب: ظأب) (٣٤).

- مقاتل الفرسان: (العباب: نكد، إبط)،

- كتاب نقائض [جرير و الفرزدق]: (العباب: قهس وظرب)،

- كتاب النودار: (م، والعباب: وكأ).

- العجلي، عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، أبو الفضل (ت: ٤٥٤ هـ):

- التهذيب: (م).

- العسكري، الحسن بن عبد الله بن سعيد (ت: ٣٨٣ هـ):

- كتاب التصحيف: (م، والعباب: نقد).

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه(ت:٤٠هـ):

- نهج البلاغة و شرحه: (العباب:وذح) (٣٥) ،

- أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد (ت: ٣٧٧ هـ):

- التذكرة: (الحاشية: شمس).

- الشيرازيات: (العباب: عمر).

- أبو عمر الزاهد، محمد بن عبد الواحد، غلام ثعلب (ت: ٣٤٥هـ):

- جامع الأفعال: (التكملة بآخره).

- سقطات ابن دريد في الجمهرة: (م، والحاشية: زمرد).

- فائت الجمهرة: (م).

- المداخلات: (م).

- الموشّح: (م).

- كتاب اليواقيت، بخط إبراهيم بن محمد الطبري الفتى، المعروف بتَوزُون، مستملي أبي عمرو: (الحاشية: فتى).

- أبو عمرو الشيباني، إسحاق بن مرار (ت: ٢٠٥ هـ):

- كتاب الجيم: (العباب: ثوب، زأب، خوت).

- كتاب الحروف: (م، والعباب: علف، جيأ، علب).

[غ]

- الغُندجاني، أبو محمد الأسود، الحسن بن أحمد (ت: ٤٣٠ هـ):

- كتاب الخيل: (كتاب فَعالِ، والعباب: دعلج، والحاشية: غظف)،
- ضالة الأديب: (م).
- فرحة الأديب: (م).
- نزهة الأديب: (م).

[ف]

- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق (ت: ٣٥٠ هـ):
- ديوان الأدب: (م).
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ):
- كتاب الإتباع والمزاوجة: (م).
- كتاب استعارة خلق الإنسان: (مجموعة الدمياطي).
- كتاب إفراد كلمات في القرآن: (مجموعة الدمياطي).
- كتاب الثلاثة: (مجموعة الدمياطي).
- كتاب الدارات والبرق والحمات والعرف: (مجموعة الدمياطي).
- كتاب ذم الخطأ في الشعر: (مجموعة الدمياطي).
- كتاب الصاحبي : (م).
- كتاب علل الغريب المصنّف: (م، والعباب: توث).
- كتاب فتيا فقيه العرب، بخط الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت:٤٧٠ هـ): (مجموعة الدمياطي).
- كتاب كلّا: (مجموعة الدمياطي).
- كتاب المجمل: (م).
- كتاب المعاريض: (مجموعة الدمياطي).

- كتاب المقاييس: (م، والعباب: خدلج).
- كتاب الموازنة (م).

• الفتح بن خاقان (ت: نحو ٥٣٥ هـ):

- كتاب الزبرج: (م).

• الفراء، يحي بن زياد، أبو زكريا (ت: ٢٠٧ هـ):

- كتاب البَهْي: (العباب: يسف).
- كتاب المقصور والممدود: (العباب: حدأ).
- كتاب النوادر: (م، والخزانة: ٥١٦/١، ٩٩/٢).

[ق]

• ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ):

- أدب الكاتب: (الشوارد من اللغات: مقدمة)
- غريب الحديث: (العباب: وثب، ربض).

كتاب المعارف: (العباب: خدج).

• قُطرب، محمد بن المستنير، أبو علي (ت: ٢٠٦ هـ):

- كتاب الأضداد: (الأضداد: مقدمة).

[ك]

• ابن الكلبي، محمد بن السائب (ت: ١٤٦ هـ):

- أخبار كندة: (م).

- كتاب أسماء سيوف العرب المشهورة، بخط محمد بن العباس بن محمداليزيدي(ت: ٣١٠ هـ): (العباب: زعف).

- كتاب اشتقاق أسماء البلدان: (م).

- كتاب الأصنام: (م).
- كتاب افتراق العرب: (م، والحاشية: بند).
- ألقاب الشعراء: (التكملة بآخره، والعباب: عصر، كذب).
- كتاب جمهرة النسب، بخط ابن عبدة النسّابة: (م، والعباب: جهس).
- كتاب المعمرين: (م).

• الكسائي، علي بن حمزة أبو الحسن الأسدي (ت: ١٨٠ هـ).

- كتاب النوادر: (م).

• الكلابي، أبو زياد يزيد بن عبيد الله (ت: ٢٠٤ هـ):

- كتاب النوادر: (م).

[ل]

• اللِّحْيَاني، علي بن خازم أبو الحسن (كان حيا قبل سنة: ٢٠٧ هـ):

- كتاب النوادر: (م، والعباب: هأهأ).

• اللَّيث بن المظفر بن نصر بن سيّار (نحو ١٩٠ هـ):

- كتاب الليث، عدة نسخ لدى الصغاني: (العباب: طهلس، فلص).

[م]

• المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥ هـ):

- كتاب نسب عدنان وقحطان، بخط الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت: ٤٧٠ هـ): (مجموعة الدمياطي).

• محمد بن حبيب، أبو جعفر (ت: ٢٤٥ هـ):

- كتاب أيام العرب: (م، والعباب: ظرب).
- كتاب الطير: (التكملة بآخره).

- كتاب ما جاء له اسمان أحدهما أشهر من صاحبه: (م).
- كتاب المحبّر: (م).
- كتاب المفوَّف: (م).
- كتاب مَن استُجِيبَت دعوتهم في الجاهلية والإسلام: (العباب: قشر).
- كتاب المنمّق: (م).
- كتاب المنمنم : (م).
- كتاب المؤتلف والمختلف: (م).
- كتاب الموشّى: (م).
- كتاب النخلة: (التكملة بآخره).

• المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف الآجري البغدادي (ت: ٣٠٩ هـ):

- كتاب فضائل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب،بخط الصغاني (٣٦).

• المرزباني، أبو عبيد محمد بن عمران (ت بعد سنة: ٣٨٤ هـ):

- كتاب أسامي الشعراء: (العباب: صوب)،
- كتاب أشعار الجن: (م)،
- كتاب الشعراء وأخبارهم: (م)،
- معجم الشعراء: (م)،
- المقتبس: (م)،
- المؤنّق: (العباب: سنت).

• المرزُوقي، أحمد بن محمد بن الحسن (ت: ٤٢١ هـ):

- شرح الحماسة: (العباب: خمر).

• أبو مِسحل الأعرابي، عبد الوهاب بن حريش (ت نحو: ٢٣٠ هـ):

- كتاب النوادر: (م، والعباب: صدأ).

- المعرّي، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت: ٤٤٩ هـ):

- زجر النابح: (العباب: زرر).

- المفجّع، محمد بن أحمد بن عبيد الله البصري (ت: ٣٢٠ هـ):

- كتاب المنقِذ: (الحاشية: صين).

- المفضّل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (كان حيا سنة: ٢٩٠ هـ):

- إخراج ما في العين من الغلط: (م)،

- كتاب البارع: (م)،

- كتاب الفاخر: (م).

- المفضل بن محمد يعلى الضبي الكوفي (ت: ١٦٨ هـ):

- المفضّليات: (العباب: صوب).

- المؤرج السدوسي، مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن سعد بن حرملة، أبو فيد (ت: ١٩٥ هـ):

- كتاب أنساب بني شيبان: (العباب: شعر).

[ن]

- النديم، محمد بن إسحاق (ت: ٤٣٨ هـ):

- كتاب الفهرست، بخط المؤلف: (العباب: حمر، والخزانة: ٣٧٣/٦).

- أبو نصر، أحمد بن حاتم، صاحب الأصمعي (ت: ٢٣١ هـ):

- كتاب الأجناس: (العباب: غرر).

- النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين (ت نحو: ٥٥٠ هـ):

- جمل الغرائب: (م).

- الهروي، أبو سهل (ت: ٣١١ هـ):

- كتاب أسامي الأسد: (أسامي الأسد وكناه: مقدمة)،

- كتاب المثلث، في أربعة مجلدات: (م)،

- كتاب المكنَّى والمثنَّى: (م)،

- كتاب المنمَّق: (م).

[هـ]

- الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت: ٤٠١ هـ):

- كتاب الغريبَين: (العباب: عصر).

- الهنائي، أبو الحسن علي بن الحسن، كُرَاع النَّمل (ت: ٣٠٩ هـ):

- كتاب المجدّد: (م)،

- كتاب المجرّد: (التكملة بآخره).

[و]

- لم يعرف مؤلفه:

- كتاب الوافر: (العباب: أحح).

[ي]

- يونس بن حبيب لغوي، أبو عبد الرحمن الضبي (ت: ١٨٢ هـ):

- كتاب اللغات، نسخة قرئت على ابن دريد، وعليها خطه، وقرئت على السيرافي، وعليها خطه، (الشوارد من اللغات).

وفضلا عن ذلك، ذكر الصغاني في مقدمة العباب الزاخر أسماء اللغويين الذين استفاد من آرائهم اللغوية الواردة في تأليفاتهم أو في الكتب اللغوية، ولكنه لم ير

مناسبا أو لم يستطع أن يذكرها في تأليفاته، وهم:

- الأخفش الصغير، على بن سليمان بن الفضل، أبو الحسن (ت: ٣١٥ هـ).

- الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، أبو علي ويقال أبو شعيب البلخي المجاشعي (ت: ٢١٥هـ).

- خلف الأحمر، ابن حيان أبو صالح (ت: ١٨٠ هـ).

- أبو عبد الله النيسابوري، عبد الله بن محمد هانئ (ت: ٢٣٦ هـ).

- ابـن عرفـة، إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سـليمان بـن مغيرة بن حبيب بن المهلب.

- ابن أبي صفرة، أبو عبد الله العُتَكي المعروف بنِفْطَوَيه (ت: ٣٢٣ هـ).

- علي بن المبارك الحراني الأحمر.

- أبو عمرو البصري، ابن العلاء بن زيان (ت: ١٥٤ هـ).

- أبو عمرو الهروي، شَمِر بن حمدويه (ت: ٣٥٥ هـ).

- أبو مالك البصري، عمرو بن كِركِرة.

- أبو محمد الأمري، عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص.

- أبو معاذ الباهلي، الفضل بن خالد (ت: ٣١١ هـ).

- أبو محمد اليزيدي، يحيى بن المبارك (ت: ٣٠٣ هـ).

- نصير بن أبي نصير الرازي (ت: ٣٤٠ هـ).

- أبو اليقظان، سُحيم بن حفص (ت: ١٩٠ هـ).

حواشي وتعليقات

(١) انظر لترجمته:

. تاريخ بغداد، لابن رافع: ٤٨- ٤٩.

. الحوادث الجامعة، لابن الفوطي: ٣٦٢-٣٦٤.

. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٣٦/٧.

. بغية الوعاة للسيوطي: ٥١٩/١-٥٣١.

. معجم الأدباء ،لياقوت الحموي: ١٨٩/٩-١٩١.

. الجواهر المضيئة، للقرشي: ٢٠١/١-٢٠٢.

. الفوائد البهية، للكنوي: ٦٣-٦٤.

. معجم الشيوخ، للدمياطي: خطي، نسخته بالأرشيف القومي بتونس ، و الآن مطبوع.

. مقدمات كتب الصغاني المطبوعة ، مثل كتاب الانفعال، تحقيق الدكتور أحمد خان: ما بنته العرب على فعال، تحقيق الدكتور عزة حسن؛ الشوارد من اللغات، تحقيق الأستاذ مصطفى حجازي والدكتور عدنان الرحمن الدوري، على حدة؛ العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق الدكتور فير محمد حسن (إسلام آباد) ومحمد حسن آل ياسين (بغداد)؛ وكتبه ورسائله الأخرى التي رأت نورا.

(٢) العباب الزاخر: (بضع)

(٣) المعجم العربي، نشأته وتطوره: ٤٩٧.

(٤) انتسخ محمد بن عبد المعز بن عثمان بن عبد الملك بن عبد الله بن أحمد بن سعيد الدمانجير المعروف بابن أفضل الكرجي في بيت الصغاني كتاب التكملة و الذيل و الصلة و قرأ عليه في ٧ ربيع الثاني سنة ٦٤٢هـ .(انظرفهرست دار الكتب المصرية الكتب الموجوة بالدار لغاية شهر سبتمبرسنة ١٩٢٥ م. القاهرة:دار الكتب المصرية،١٩٢٦ م. وهذه النسخة كانت أمام علامة سيد مرتضى الزبيدي في تأليف معجمه»تأج العروس» كما كتب بآخرهذه النسخة أنه «استخدم هذه النسخة حتى ٢ ربيع الأول سنة ١١٩١هـ) .ونسخ محمد بن عبيد الله بن علي الشيرازي نسخة العباب الزاخر عام ٦٤٧ هـ ، قطعة منها موجودة في كوبريلي بالرقم: ١٥١. ومجموعة كتب التي انتسخها شرف الدين الدمياطي في بيت الصغاني وقرأ عليه وقام بتصديقه الصغاني بآخر كل كتاب ورسالة، نسخة هذه المجموعة موجودة بمكتبة بودليان، بالرقم: ١٠٧ ARAB-D-. وقطعة من العباب الزاخر، من المادة (صبر) إلى المادة (سيس). كتبت وقرئت على الصغاني سنة ٦٤٨ هـ في بيته، وهي موجودة في مكتبة كوبريلي بالرقم: ١٥٥٢.

(٥) التكملة : (عجلز).

٥أ-العباب الزاخر: (صنغ).

(٦) نفس المكان.

(٧) تاريخ ثغر عدن، لابن أبي مخرمة: ترجمة سليمان بن بطال [ص:٩٧].ومجمع البحرين، للصغاني:

ذكر بآخره.

(٨) العباب الزاخر: مقدمة .

(٩) العباب الزاخر: المقدمة ؛ وعلاوة على ذلك وجدنا فهرسا -كاد أن يكون كاملا -لمؤلفات ابن فارس بين الرسائل التي انتسخها شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت:٧٠٥ هـ) تلميذ الصغاني الأخير، من عنده وعليها خط الصغاني في مجموعة الدمياطي، ونورد هنا هذا الفهرس لتعميم الفائدة منها، ومن المحتمل أن هذه الرسائل والكتب كلّها كانت لدى الصغاني:

- التفسير لكلام الله عزّ وجلّ. -كتاب الصلاة على النبي . -كتاب أسماء النبي . -كتاب جامع تأويل القرآن. - كتاب أفراد كلمات في القرآن. -كتاب مقاييس اللغة. -كتاب النحت في اللغة. -كتاب كلّا. -كتاب دراري الكلم. -كتابا لمجلى-كتاب تمام فصيح الكلام. -كتاب الفرق. -كتاب المصاريع المماثلة بأنفسها. -كتاب فقه اللغة المسمى بالصاحبي. -كتاب السَّلام. -كتاب علل الغريب المصنف. -كتاب خضارة. -كتاب الحبير المذهب. -كتاب حلية الفقهاء. -كتاب المعاريض. -كتاب الأسجاع. -كتاب المسائل الخمسة. -كتاب العم والخال. -كتاب النيروز. -كتاب ذم الخطأ في الشعر. -كتاب الرد على أصحاب العروض. -كتاب ما أخذ العلم. -رسالة فيما يحتاج إليه الشاعر من قوانين الشعر. -الرسالة المباركية إلى أبي عبد الله المبارك بن علي، كاتب أبي فضل بن فضلان. -كتاب مجمل اللغة. -كتاب الإتباع والمزواجة. -كتاب الثلاثة. -كتاب يواقيت الحكم. -كتاب ترتيب الساعات. -كتاب الشجاج. -كتاب الرد على الزجاج فيما ردعلى ..... -كتاب استعارة أعضاء الإنسان. -كتاب فتيا فقيه العرب. -كتاب العطايا. -كتاب فرائض الصدقات. -كتاب الموازنة. -كتاب متخير الألفاظ. -كتاب الأطمعة. -كتاب الوشاح المفصل. -كتاب الأعداد. -كتاب أنساب الطالبية. -كتاب الأضداد. -كتاب دلالة اللغة على أن القرآن غير مخلوق. -كتاب مقدمة النحويين. -كتاب الدارات والبرق والحمات والعرف. -رسالة أنشأها إلى رسول ورد من مصر إلى.... .

(١٠) العباب الزاخر: (زرر، مجج).

(١١) العباب الزاخر: (زعف).

(١٢) العباب الزاخر: (خبعج).

(١٣) معجم الأدباء، لياقوت الحموي: ٣٢٥/٦.

(١٤) العباب الزاخر: (دردج).

(١٥) مقدمة تهذيب اللغة، لعبد السلام هارون: ٢٦.

(١٦) العباب الزاخر: (زطط).

(١٧) العباب الزاخر: (دكس).

(١٨) العباب الزاخر: (صنغ).

(١٩) العباب الزاخر: (قفع) و(رمص).

(٢٠) العباب الزاخر: (جهس).

(٢١) مجلة العرب :سنة ٢١ ، ص ٢٩٤، وقد طبع هذا المختصر.

(٢٢) العباب الزاخر: (عقب، حمر).

(٢٣) العباب الزاخر: (قدد، جهس).

(٢٤) مجموعة الدمياطي.

(٢٥) العباب الزاخر: (خلج).

(٢٦) العباب الزاخر: (حمر).

(٢٧) مجموعة الدمياطي.

(٢٨) كتاب الذيل والصلة وحاشيتها: (فتى).

(٢٩) دَعْلَج اسم فرس، قال أبو تمام: هو لعامر بن الطفيل، وأنشد في كتاب الحماسة لعامر:

أكرّ عليهم دعلجا ولباته إذا اشتكى وقع الرماح تحَمْحَمَا

وقال أبو محمد الأعرابي في كتاب الخيل من تأليفه: هو فرس عبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. قال فيه يوم فيف الريح، وأنشد البيت وروايته:

أقدم فيهم دعلجا وأكرّه إذا كرهوا فيه الرِّمـاح

كذلك أنشد ابن الكلبي لعبد عمرو، وروايته:

أرد عليهم دعلجا وأكره ....

(٣٠) الجمُوح فرس، قال فيه صاحبه:

فأني بالجموح وأم عمـرو ودَولَح فأعلموا حجيء ضنين

قال ابن الأنباري في كتاب المقصور والممدود، من تأليفه: رواه ابن الأعرابي: دولج بالجيم، ورواه الفراء: دولح بالحاء، ودولح ناقته.

(٣١) اختلف في اسم ذي الثديّة، فقيل: حرقُوص بن زهير، وذكر القتبي في «المعارف» أن اسمه نرملة ، وذكر أبو محمد أحمد بن ثابت الخطيب في «الأسماء المبهمة»: أن اسمه نافع.

(٣٢) قال ياقوت الحموي: عالم جيد الضـبط، صـحيح الخط، معتمد عليه، معتبر، أخذ عن السيرافي، والرماني، والفارسي. معجم الأدباء: ت ٩٧٥.

(٣٣) وفي نسخ المحيط: دحنج، ذكره في الرباعي في باب الحاء والجيم، وهو تصحيف. وإنما ذكرته هنا

لئلا يغتر قليل البضاعة في اللغة ويُنسبني إلى إسقاط التركيب، والصواب: دحندح.

(٣٤) قال المعلى بن جمّال العبدي، وأنشده الأزهري في تهذيب اللغة لأوس بن حجر، وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب المثالب لحماد بن سلمة ، و هو للمعلّى، و أورد الصغاني بعده ثلاثة أبيات له (ظأب).

(٣٥) قال الصغاني: قد شرحت قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إيه أبا وذحة» في كتاب «تفويف النسج في شرح النهج»، من تأليفي، فمن رام زيادة البيان فليطلبها هناك.

(٣٦) مخطوطته موجودة في المتحف العراقي. انظر فهرس مخطوطات الأدب في المتحف العراقي: ص: ٤٥٤.

(٣٧) العباب الزاخر: (بلخ).

* * *

مراجع الدراسة والتحقيق

- ابن تغري بردي:

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ١٣٦٩هـ.

- حسين نصار:

المعجم العربي، نشأته وتطوره. القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٦ م.

- الدمياطي، شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (ت:٧٠٥ هـ).

معجم الشيوخ، خطي، ونسخته بآرشيف القومي بتونس، والمطبوع الآن.

- ابن رافع السلامي:

تاريخ علماء بغداد، المسمى بـ: منتخب المختار. تحقيق المحامي عباس العزاوي. بغداد: مطبعة الأهالي، ١٩٣٨ م.

- السيوطي، جلال الدين:

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٩ هـ .

- الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، أبو الفضائل (ت٦٥٠ هـ):

أسماء الذئب وكناه. طبع مع مقامات الحنفي وابن ناقيا وغيرهما. آستانة، ١٩١٤ م.

- أسما الغادة في أسماء العادة. تحقيق الدكتور أحمد خان. بغداد: مجلة المورد المجلد: ٩، والعدد: ٣ (خريف ١٩٨٠ م).

- كتاب الأضداد. تحقيق الدكتور أوغست هفنر. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٣ م.

- كتاب الانفعال. تحقيق الدكتور أحمد خان. إسلام آباد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٧ م.
- تعزيـز بيتـي الحريري. تحقيق الدكتور أحمد خان. دمشـق: مجلة مجمع اللغـة العربية، المجلد: ٥٤، العدد: ٤ (١٩٧٩ م).
- كتاب التكملة والذيل والصلة. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٧٠ م.
- كتاب الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها. خطي، باستنبول: خزانة مراد ملا، رقمه: ١٧٩٤.
- شـرح القلادة السـمطية في توشـيح الدريدية. تحقيق الدكتور أحمد خان. بمكـة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٩٨ م.
- كتاب الشوارد من اللغات. تحقيق مصطفى حجازي. القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٣ م.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر. خطي، تصويره بمكتبة مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد لنسخة له بآيا صوفيا، إستنبول.
- مجمع البحرين، خطي، تصويره بمكتبة مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد.
- مختصر أسامي الأسد وكناه. خطي، نسخته بمكتبة جستربيتي بدبلن وبدار الكتب المصرية.
- عبد السلام هارون:

مقدمة تهذيب اللغة. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ١٩٢٤ م.

- عبد العزيز الميمني:

إقليد الخزانة. لاهور: جامعة بنجاب، ١٩٢٧ م.

- عبد القادر بن عمر البغدادي:

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق. ٤ أجزاء.

- ابن فارس:

رسالة الثلاثة. في مجموعة الدمياطي.

- ابن الفوطي:

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة. بغداد: المكتبة العربية، ١٣٥١ هـ .

- اللكنوي، عبد الحي:

الفوائد البهية في تراجم الحنفية. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٤ هـ .

-ابن أبي مخرمة:

تاريخ ثغر عدن. ليدن: مطبعة بريل، ١٩٣٦ م.

-النقشبندي،أسامة و غيره:

مخطوطات الأدب في المتحف العراقي.الكويت: معهد المخوطات العربية،١٩٨٥م.

- ابن أبي الوفاء القرشي:

الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٢٣٢ هـ .

- ياقوت الحموي:

معجم الأدباء. تحقيق د. س مرجليوث. القاهرة: المطبعة الهندية، ١٩٢٣ م. ٦ أجزاء.

- يحيى محمود بن جنيد:

أبو سعد السمعاني وعالمية الثقافة العربية. الرياض: مركز البحوث والتواصل المعرفي، ١٤٣٩ هـ .

مجلة العرب لصاحبها الشيخ حمد الجاسر، الرياض ، سنة ١٦ ، ص ٢٩٤ .

* * *

كتاب «نتائج الفِكْر في النحو» بين تحقيقين

د.محمد عاطف التراس

يُعدُّ كتاب «نتائج الفِكْر» لأبي القاسم السُّهيلي الأندلسيِّ المتوفى ٥٨١ هـ - موسوعةً علميةً تتضمنُ فنونًا عديدةً كالنحو والصرف والبلاغة واللغة وأسرار الإعجاز اللغوي في القرآن، فهو بحقٍّ أنفس كُتب السهيلي قاطبةً. جمعَ فيه السهيلي فكره، وصاغ فيه عصارة ذهنه، ليخدمَ أهمَّ كتاب في النحو بعد كتاب سيبويه عند المغاربة، بل إنه يتفوقُ عليه عند بعضهم، ألا وهو كتاب «الجُمل» للزجاجي المتوفى ٣٤٠ هـ.

يقول السهيلي في خطبة كتابه مبيِّنًا موضوعَه: «وقد عُزِمَ لي بعد طول مطالبةٍ من الزمان، ومجاذبةٍ لأيدي الحَدَثان... على جمع نُبَذٍ من نتائج الفِكْر، اقتنيتُها في خلس من الدهر، معظمها من علل النحو اللطيفة، وأسرار هذه اللغة الشريفة. فالآن حين أردتُ زفافها إلى أسماع الطالبين، وإن لم يكونوا لأبكارها خاطبين، ولا في نفائسها بحكم هذا الزمن النائم أهلُه راغبين. ومقصدنا أن نُرتِّبَها على أبواب كتاب (الجمل) ليل قلوب الناس إليه، وقصرهم الهمم عليه». اهـ.

وقد خرجَ الكتاب لعالم المطبوعات أول مرَّة بتحقيق الراحل الدكتور محمد إبراهيم البنَّا، وكانت رسالته لنيل الدكتوراه من جامعة الأزهر، بالقاهرة في سنة ١٩٧١م.

ولقد اعتمد البنَّا في التحقيق على نسختَين خطيتَّين مصورتَين عن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية: الأولى: عن مكتبة فيض الله بتركيا، والثانية: عن مكتبة جامع الشيخ إبراهيم باشا بالإسكندرية.

وقد ركبَ البنَّا منهج التلفيق بين النسختين، ليصلَ بالنصِّ إلى ما يقاربُ مراد المؤلِّف. وطُبع الكتاب بتحقيقه أربعَ طبعاتٍ؛ آخرُها طبعة دار السلام بالقاهرة، وتُعدُّ الطبعةُ الرابعةُ هذه أنفسَ طبعات الكتاب؛ لأسباب منها:

- تضمُّنها لتقرير كتبه البنَّا نفسه قبل وفاته عن سرقة تحقيقه على يد دار الكتب.

- وتصويب ما وقع في المتن بالاعتماد على كتاب «بدائع الفوائد» لابن القيم، طبعة عالم الفوائد، ومعلوم ما بين الكتابين من صلة. وهذه التصويبات وقعتْ في عدة صفحات منها: ١١٤، ١٥٦، ١٥٧، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٧٠، ٤٠٣، وقد مُيِّزت هذه المواضع جميعًا بوضع كلمة [الناشر] عَقِيبها بين معقوفين.

وهذا بيان ببعض أهم هذه المواطن بصفحاتها من طبعة دار السلام:

١- في ص١١٤: إذا كانت واو الجمع ثبتت مع ياء المتكلم وهي زائدة [وهي] علامة إعراب عند بعض النحويين - فكيف يحذف ما هو لام الفعل وأحق بالثبات منها؟! اهـ.

قلتُ: سقط «وهي» من كل الطبعات السابقة.

٢- في ص١٥٧: ومع هذا فإن الأصل في دخول حروف الزوائد الأربع [شبهُ] الأسماء.

٣- في ص٢٨١: ألا ترى لقوله - عليه السلام - لعمرو بن العاص - رضي الله عنه-: «أبعثُكَ وجهًا يُسلِّمك الله ويُغنِمُكَ، وأزعبُ لك زَعبةً من المال». اهـ.

قلتُ: وقع هذا النص في الطبعات السابقة كلها بتصحيف الزاي راءً، والعينِ غينًا: «وأرغب لك رغبة»!

٤- فإن قيل: ألم يجيزوا في: «ضربتُ ضربًا، وقتلتُ قتلًا» أن يكون مفعولاً مطلقًا، فلِمَ [لَمْ] يكن مكسور الأول إذا كان مفعولًا مطلقًا، ومفتوحًا إذا كان مصدرًا مؤكدًا؟

قلتُ: سقطت «لم» من الطبعات السابقة، وبغيره لن يستقيم السياق.

- ضبط الأبيات الشعرية التي لم تكن مضبوطة في الطبعات السابقة كلها.

- تخريج النقول المستفادة من المعاجم كلها بذكر المادة، وكانت جميعها غير مخرَّجة.

- ضبط ما يُشكِل من النص وَفق منهج المحقِّق.

- وكان من جرَّاء هذا كلِّه أن أضيف لحقٌ بالمراجع التي اعتُمد عليها في هذه الطبعة الميمونة تضمن عشرة مراجع بعنوان «مراجع إضافية».

تحريف عنوانه في طبعة دار الكتب العلمية:

حُرِّفَ العنوانُ في طبعة العلمية تحريفًا قبيحًا؛ إذ ضبطوا كلمة «الفكر» بكسر الفاء وفتح الكاف، ولم يستفيدوا ممن سبقهم، والصواب ما حرَّره البنَّا في صدارة طبعته، فقال ما معناه: وقد كان الظاهر أن يكون ضبط «الفكر» بكسر ففتح؛ جمع فكرة. ولكن رجَّح الإفراد - أعني أن تكون «الفِكْر» بكسر فسكون - ما ذكره السهيلي في المقدمة، وما نقلتُه من نصِّ ابنِ دحيةَ، ففيهما سجعة لا يحسن معها أن تكون الكلمة جمعًا. ويؤيد هذا قول ابن قاضي شهبة في طبقاته في ترجمة السهيلي: «وكتاب نتائج الفِكْر في النحو، وهو بكسر الفاء وسكون الكاف. كذلك قيده قاضي القضاة أبو البقاء الشبلي». اهـ.

سرقته على يد دار الكتب العلمية بيروت:

كتب البنَّا قبل وفاته تقريرًا يُثبتُ سرقة تحقيقه لكتاب «نتائج الفِكْر» على يد دار الكتب العلمية، التي صَدَرَتْ طبعتُها بتحقيقِ الشيخينِ: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، سنة ١٩٩٢م.

وقد اعتمد الشيخان - كذا زعموا - على نفس النسختين الخطيتين اللتين اعتمد عليهما البنَّا، بل إنهما اعتمدا نفس الرموز التي وضعَها البنَّا لنسختَيه.

ولقد ذكر البنَّا في تقريره المختصر في صدارة طبعة دار السلام أدلةَ هذه السرقة؛ من نقل المقدمة، وعلامات الترقيم، وعناوين الفصول والمسائل بتغيير أو بغير تغيير، والتعليقات على النص، وفروق النسخ، وتصويبات النص، والزيادات على النص نفسها، نقلوا كل هذا - لله درهم!! - نقلًا أمينًا.

وليتهم إذ نقلوا كانوا أهلًا للنقل؛ فقد جَنَتْ أيديهم على النص كثيرًا، وليس أدلَّ على هذا مما صنعوه في تحريف عنوان الكتاب نفسه.

ومن الأدلة التي ساقَها البنَّا دلالةً على هذه السرقة:

- يقول البنَّا تحت عنوان «تصويبات النص»: «وقد صادفتُ في تحقيق هذا الكتاب ١٤٧ نصًّا عانيتُ في سبيل إقامته، وقد قام هذان الرجلان بنقل ما صنعتُ في جرأة عجيبة إلا في بعض النصوص لإحداث نوع من المخالفة، وهي نصوص محدودة».

بل إنهم تبعوا البنَّا نفسه فيما وقع فيه، وقد نصَّ البنَّا على عدة مواطن تُبيِّن أنهما لم يستدركا عليه أيَّ شيء، بل لم يقرآ ما ادعياه من نُسخ الكتاب، ومن أمثلة ذلك:

في ص٢١٨ وَهَمَ البنَّا في حديث: «وأزعبُ لك زعبةً»، فحرَّفه إلى: «أرغب لك رغبةً»، فتبعَ المحققان النبيهان ما وقع فيه البنَّا، انظر طبعة العلمية (ص٢١٣) السطر الثاني والثالث.

- والأنكى من هذا أنهم نقلوا ما زاده البنَّا في نصِّ المؤلِّف ليستقيمَ السياق بلا عزو لأحد، يقول البنَّا: «وقد وقعتْ في نص نتائج الفِكْر من نسخته أساقطُ كثيرة بلغتْ ٦٢ سقطًا، وقد أثبتُّها، وجاء هذان الرجلان مُدَّعيا التحقيق، فأثبتَا ما أثبتُّه».

- ولقد أثبت البنَّا ترقيم المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما في صلب الكتاب، وكان يكفيه أن يثبت ترقيم النسخة (أ) التي اعتمدها أصلًا؛ لأنها كاملة، ومع ذلك سقط

منه أربع ورقات من ترقيم النسخة (ب) وهي: (٣، ٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٤٧)، وليس من بين هذه الأوراق ما نصَّ عليه البنَّا أنه خرمٌ في هذه النسخة.

ثم رجعتُ أنظر في طبعة الرجلين لأرى ترقيم المخطوطات، فلم أرَ شيئًا؛ إذ أغفلا ترقيم النسختين جميعًا!

هل سرقَ ابنُ القيم كتابَ «نتائج الفكر»؟

زعم البنَّا في مقدمة كتاب «نتائج الفكر» أن ابن القيم ادَّعى نحو السهيلي لنفسه بتضمينه كتابَ «النتائج» كتابَه «بدائع الفوائد»، بعد أن حذف مقدمته، وقدَّم وأخَّر، وزاد قليلًا واختصر، حتى ليظن القارئ أن النحو الذي يسوقه ابن القيم في كتابه من بدائعه، والحق أنه ليس له فيه نصيب من قريب أو بعيد... إلخ.

وفي هذا الصدد أقول: إن النقل عند المتقدمين عن بعضهم له ضربان: أحدهما: أن ينقل مؤلِّفٌ عن كاتب سابق دون ذكر للمنقول عنه، ولو مرةً واحدة. وثانيهما: أن يعزو المؤلف بعض ما نقله دون بعض؛ اعتمادًا على أنه إما أن يكون قد نصَّ على مصادره التي نقل عنها في خطبة كتابه، وإما أن يكون معتمدًا على فطنة القارئ، وأنه قد صرح في مواطن من كتابه على مصدره.

وهذا النوع الأخير هو ما صنعه ابن القيم في كتابه «بدائع الفوائد»؛ فقد صرَّح ابنُ القيم باسم السهيلي في بضعة وخمسين موضعًا من كتابه، ولو أراد أن يسرق الكتاب لأسقط ذكر السهيلي جملةً.

ولعل الناظر في كتاب «بدائع الفوائد» يُلفيه أشبه بكتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي؛ فهي خواطر دوَّنها ابن القيم اتكالًا على ذاكرته غالبًا. والدليل على هذا قول ابن القيم نفسه في كتابه (٢/٥٩٢، ٥٩٣): «هذا ما في هذه المسألة المشكلة من الأسئلة والمباحث، علقتُها صيدًا لسوانح الخاطر فيها خشيةَ أن لا يعودَ، فليُسامِح الناظرُ فيها؛ فإنها عُلِّقتْ على حين بُعدي من كُتبي وعدم تمكُّني من مراجعتها، وهكذا غالب هذا التعليق إنما هو صيد خاطر، والله المستعان».

هذا فضلًا عن أنه ناقش السهيلي في عدة مسائل، ولم يُسلِّم له.

- وأخيرًا فإن البنَّا ختمَ تحقيقه باثني عشر فهرسًا لا نظير لها في طبعة الرجلين المذكورين، كشف بها كنوز الكتاب للباحثين؛ منها فهرس لإعجاز النظم القرآني تضمن أسرارًا لطيفة، وفوائد بديعة.

د. محمد عاطف الترَّاس

العَلَّامَةُ المُحَقِّقُ يَحْيى بنُ وَهِيْبِ الجبُورِيّ
(١٣٤٩ -١٤٤٠هـ = ١٩٣٠ -٢٠١٩م)
إِنارَةٌ عَلى حَياتِهِ وعَطائِهِ العِلْمِيّ

«عَرَفْتُ في صَديْقي يَحْيى القُدْرَةَ عَلى مُتابَعَة الدَّرْس، والصَّبْرَ عَلى مَكارهه، ومُعالَجَةَ مَضايْقه، والدَّأْبَ الذي لا يُلْغي الشَّخْصيَّة، أو يَتَحَوَّلُ إلى آليَّة رَتيْبَة، وتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ يَمْلكُ منْ أَسْباب الدَّرْس ووَسائله ما هُو جَديرٌ أَنْ يَمْضي به إلى الغايَة المَرْجُوَّة». الدّكتور مُحمَّد طه الحاجريّ سَنَةَ ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م

أ.د. مُحمَّد محمُود الدُّرُوبيّ[١]

(٢)

(*) عَطاؤهُ العِلْميّ.

تَنوَّعتْ مَجالاتُ العَطاء العِلْميِّ التي ذَرَعها الجبوريّ، بما يَقِفُ دَليلاً على قُدْرته على ولُوج مَيادِيْنَ مُنوَّعَة في البَحْث، وعَدَم الاقْتصار على ضَرْب واحد منَ الإنْتاج، ويُمْكننا حَصْرُ مَجالات إنْتاجه المَعْرِفيِّ في خَمْسَة أَبْواب، هي[٩٣]:

أَوَّلاً: التَّأليف، ووَضَعَ الجبوريُّ في هَذا الباب (٢٠) كتاباً، تَنَوَّعَتْ بَيْنَ الدِّراسات الأَدَبيَّة والنَّقْديَّة والتّاريْخيَّة والحَضاريَّة والثَّقافيَّة.

ثانيـاً: التَّحْقيْق، وأَنْجَزَ الجبوريُّ في هَـذا الباب (٣٦) عَملاً، منْها (١٧) ديْواناً ومَجْمُوعاً شِعْريّاً، و(١٩) كتاباً لمُؤَلِّفيْنَ مَعْرُوفيْن.

ثالثاً: الاخْتِيارُ الأَدَبيّ، وللجبوريِّ في هَذا البابِ عَمَلٌ واحدٌ فَحَسب، ضَمَّنهُ ما راقَ له مِنْ قَصائدِ الشِّعْرِ العَرَبيّ.

رابعاً: التَّرْجَمَة، وتَرَكَ الجبوريُّ في هذا الباب (٣) أَعْمالٍ نَقَلها عَن الإنجليزيَّة، مع الاعْتِناءِ بإثباتِ تَعْليقاتِه المُهِمَّة على النَّصِّ المنقُول، إنِ اسْتَدْعى الأَمْر.

خامساً: البُحُوثُ والدِّراساتُ والمَقالاتُ والتَّحْقيقاتُ والتَّرْجَماتُ المنشُورَةُ في المَجلّات، وتَبْلُغُ العَشَرات، نَشَرها يحيى الجبوريُّ على مَدارِ خَمْسينَ عاماً ونَيِّف في طائفَةٍ مِنَ المَجلَّاتِ العَرَبيَّة، وبَعْضِ أَعْمالِ المُؤتمراتِ والكُتُبِ التِّذْكاريَّة.

وعَليه، يَكونُ مَجْمُوعُ ما صَدَرَ عنه الجبوريّ، تَحْقيقاً وتأليفاً وتَرْجَمةً واخْتياراً، (٦٠) عَمَلاً علْميّاً، وَقَعَ أَضْخَمُها حَجْماً في مُجلَّدَيْنِ ضافيَيْن: (كتاب المُنْتَخَل للميكالي)، ونَزَلَ أَقلُّها إلى (٨٧) صَفْحَة: (شِعْر عَبْد الله بن الزِّبعْرى)، فَضْلاً عمّا نُشِرَ في المَجلّاتِ والدَّوريّات.

بَدأَتْ مَسيرَةُ عَطاءِ الجبوريِّ العلْميَّةُ مُذْ كانَ في العَقْدِ الرَّابعِ مِنَ العُمر، أَي في سَتينيات القَرْنِ الميلاديِّ المُنْصَرم، فَقَدْ نَشَرَ باكُورَةَ أَعْمالِه العلْميَّة، في بَغْداد، سَنَةَ (١٣٨٢هـ=١٩٦٢م)، قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ على دَرجَةِ الماجستير، وكانَ يَعْمَلُ وَقْتَها في سِلْكِ التَّعليم الثّانويّ، وحَمَلَتْ دراستُهُ الأُولى عُنْوانَ: «لَبيد بن رَبيعَة العامريّ: دراسَةٌ أَدَبيَّة»، وقد أَكْملَ دراسَةَ لَبيد في رسالَته الدَّكتوراه، كما ذُكرَ آنفاً. ونَشَرَ في العامّ (١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م) عَمَلَهُ الثّاني، وهُو كِتابٌ مُهِمٌّ حَمَلَ عُنْواناً جَدَليّاً لافِتاً، هو: «الإسْلام والشِّعْر».

تَعَرَّضَ هَذا الجُهْدُ الرِّياديُّ لسَرِقَة علْميَّة مَعْرُوفَة، إذْ أَغارَ عليه في وضَح النَّهار أُسْتاذٌ عراقيٌّ مَعْرُوف، ذُو نُفُوذٍ في الدَّولَة آنذاك، فَسَطا عَليه، ونَحَلهُ لنَفْسه، ولَفَّقَ منه ومِنْ كتاب الجبوريّ الآخَر: «شِعْر المُخَضْرِيْن وأَثر الإسْلام فيه» كتاباً نَشَرَهُ بالعُنوان ذاته: «الإسْلام والشِّعْر»، في الكُوَيْت، سَنَةَ (١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م)[٩٤]!! ومن عَجائبِ المقدُورِ أَنْ يَنالَ هَذا العَمَلُ شُهْرَةً واسعَةً في أَوْساطِ الدَّارسيْنَ غَطَّتْ على صَنيعِ الجبوريِّ الرّائد في مَيْدانه، ممّا جَعَلَ الرَّجُلَ يَشْعُرُ بمَزيدِ غَصَّة للحالِ التي تَناهَتْ إليها الأَمانَةُ العلْميَّةُ عِنْدَ بَعْضِ الأَسْماءِ الطَّنانَة.

وقَدْ قامَتْ حَولَ هَذه الحادثَة مَعْرَكَةٌ أَدبيَّة، بَيْنَ الجبوريِّ وخَصْمه، فَقامَ الجبوريُّ –بَدْءاً- بالكتابَة إلى الجهَة التي تَوَرَّطَتْ بنَشْر الكتاب، وتابَعَ ذلكَ بإعْلام الجامعات العَرَبيَّة بواقعَة السَّرقَة العلْميَّة، ثُمَّ نَشَرَ مَقالات حَولَ ذلكَ في الدَّوحَة وبَغْدادَ و(باريس)[٩٥]. وحاولَ الفاعلُ الدِّفاعَ عَنْ مَوْقفه الضَّعيف، فَردَّ عليه الجبوريُّ رَدّاً عَنيفاً، وكَشَفَ كَثْيراً من أَسْرار مَسيرْته الآنفَة القائمَة على التَّعدي عَلى جُهُود الآخرينَ وسَرقَتها[٩٦].

وأَرْدَفَ الجبوريُّ - في العامّ نَفْسه (١٣٨٤هـ=١٩٦٤م)- بنَشْر رسالَته الماجستير: «شعْر المُخَضْرِين وأَثر الإسْلام فيه» التي قَدَّم لها مُشْرفُهُ الدّكتور مُحمَّد طه الحاجريّ، رَحمَهُ اللّه. وبَعْدَ حُصُوله على الدّكتوراه، جَدَّ الجبوريُّ في نَشْر طائفَة من الأَعْمال التي انْصبَّتْ على جَمْع الشِّعْر الجاهليِّ والإسْلاميّ، وبَعْض العَبّاسيّ، وصناعَة مُدَوَّناته، وتَحْقيق عُيُونه، فَضْلاً عَنْ تَقْديم عَدَد من الدِّراسات الأَدَبيَّة والنَّقْديَّة والحَضاريَّة الجادَّة في هَذه السَّبيل. وتَكَلَّلَ جُهدُهُ البَحْثيُّ سَنةَ (١٣٨٨هـ=١٩٦٨م) بثَلاثَة إصْدارات جَديْدَة، نُشرَتْ جَميْعُها في بَغْداد، وهي: «ديْوان العبّاس بن مرْداس السُّلميّ» الذي أَكْمَلَهُ سَنةَ (١٣٨٦هـ=١٩٦٦م) [٩٧]، وتأَخَّرَ نَشْرُهُ بسَبب ما وَصَفهُ الجبوريُّ بقَوله: «بفَضْل دَسائس الأُخوة الأَلِّداء وسُلْطَتهم في دار الحُرِّيَّة»[٩٨]، وكتابه: «الجاهليَّة: مُقَدِّمةٌ في الحياة العَرَبيَّة لدَراسة الشِّعْر الجاهليّ»، و«شعْر النُّعمان بن بَشيْر الأَنْصاريّ».

ورَسَخَتْ قَدَمُ الجبوريِّ العلْميَّةُ في عَقْد السَّبْعينيات منَ القَرْن الفائت، وبَلَغَ أَوْجَ عَطائه العلْميّ، فَقَدْ أَصْدرَ في هَذا العَقْد خَمْسَةَ عَشرَ عَمَلاً جَديْداً، نُشرَتْ في: بَغْداد، ودمَشْق، وبَيْروت، والقاهرَة، منها أَحَدَ عَشرَ عَمَلاً انْصَبَّتْ عَلى صَنْعَة الدَّواوين الشِّعْريَّة وتَحْقيْقها[٩٩]، وضَمَّتْ دَواوينَ الشُّعَراء: عُرْوة بن أُذَيْنَة (١٣٩٠هـ=١٩٧٠م) [١٠٠]، والمُتَوكِّل الليثيّ (١٣٩١هـ=١٩٧١م)[١٠١]، والحارث بن خالد المخْزُوميّ (١٣٩١هـ=١٩٧٢م)[١٠٢]، وعَبْدة بن الطَّبيْب (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م)، وعَبْد اللّه بن الزَّبيْر- بفَتْح الزّاي- الأَسَديّ (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م) [١٠٣]، وأبي حَيَّة النُّمَيْريّ (١٣٩٥هـ=١٩٧٥م)، وعَمرو بن شأس الأَسَديّ (١٣٩٦هـ=١٩٧٦م)، وعُمَر بن لجأ

التَّيمـيّ (١٣٩٦هـ=١٩٧٦م)، والطُّغرائيّ (١٣٩٦هـ=١٩٧٦م)، وهُدْبَة بن الخَشْـرم العُذْريّ (١٣٩٦هـ=١٩٧٦م)، وعَبْد الله بن الزِّبعْرى (١٣٩٩هـ=١٩٧٨م). ومِنْها دراسَةٌ مَنْهَجيَّـةٌ حَمَلَتْ عُنْوانَ: «الشِّـعْر الجاهليّ: خَصائصُـهُ وفُنُونُه»(١٣٧٢هـ=١٩٧٢م)، عُـدَّتْ مِنْ أَشْـهَر مَراجع مـادَّة: «الأَدَب الجاهليّ» في الجامعات العَرَبيَّـة عُقُوداً عدَّة. ويُعـدُّ هَذا الكتابُ أَكْثَرَ كُتُب الجبوريِّ طباعَةً وتَداولاً، إذْ طُبِعَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْـر طَبعات، وسُرِقَتْ طَبعاتُهُ غَيْرَ مَرَّة، واشْتَدَّ تَطلُّبُ الباحِثِيْنَ والدَّارِسِيْنَ والنّاشِرِيْنَ وطُلاَّب العِلْم له.

وتَمَّـمَ الجبـوريُّ إنجازاتـه العِلْميَّةَ في هذا العَقْـد المُثْمِر بنَقْل ثَلاثَـة أَعْمال عَن الإنْجليزيَّـة إلـى العَرَبيَّة، وهُي: كتـاب: «الحيْرة ومَكَّة وصِـلَتُهُما بالقبائـل العَرَبيَّة»، (لكسـتر) (١٣٩٦هـ=١٩٧٦م)، وكتـاب «أُصُـول الشِّـعْر العَرَبـيّ»، (لمرجليـوث) (١٣٩٩هـ=١٩٧٨م)، والحـقُّ أَنَّ عَمَلَهُ تَجاوزَ التَّرْجَمـةَ إلى إثْبـات تَعْليقات وحَواشٍ يَـرُدُّ فيها أَوْهـامَ (مرجليوث) حَولَ صِـحَّة الشِّـعْر الجاهليّ، و«فهْرس المَخْطُوطات الإسْـلاميَّة بجامعَة كامبردج»، (لأدوارد بروان)، وهُو فهْرسٌ مَخْطُوطيٌّ مُهِمّ، نُشِرَ في ستَّة أَقْسـام، في مَجلَّة «المورد»، فيما بَيْنَ سَـنَتي (١٣٩٤-١٤٠٤هـ=١٩٧٤-١٩٨٤م)، كَما أَشَرْنا آنفاً، وقد فَتَحَتْ هَذه المُترجَماتُ وغَيْرُها مِنَ المقالات التي عَرَّبها الجبوريُّ نافذةً على مُكْنَته اللُغويَّة، وتَضَلُّعِه بغَيْر اللسانِ العَرَبيّ، رُغْمَ أَنَّه لَمْ يَتَخَرَّجْ في مَدارِس الغَرْب وجامعاته.

والجَدِيْرُ ذِكْرُهُ أَنَّ أَكْثَرَ الأَعْمال التي نَشَرَها الجبوريّ في السِّتّينيات والسِّبْعينيات - مِنَ القَرْن الميلاديِّ المُنْصَـرم- كانَ تَولَّى خَطَّ عُنْواناتها الخَطّاطُ العِراقيُّ المَشْـهُورُ هاشِـم مُحمَّد البَغْـداديّ[١٠٤]، وهـو أَخٌ للدّكتور نُوري حَمـودي القَيْسـيّ، وكانَ وأَخوهُ صَـديْقَيْن للجبـوريّ. ولَـذا، جاءَتْ غُلفُـهُ المَرْقُونَةُ بخَـطِّ الثُّلُث، وغَـيْرِه مِنَ الخُطُوط الجَمِيْلَـة المُناسـبَة، آيَةً في الحُسْـن والجَمال والإبْـداع. وكانَ مِنْ نَباهَـة الجبوريِّ أَن اسْتَثْمَرَ وجُودَ هَذا الخطّاط البارِع عَلى قَيْد الحَياة، فَطَلَبَ إليه أَنْ يَخُطَّ له طائفَةً مِنْ عُنْوانات مَشْـرُوعات كُتُبه وتَحْقيْقاته التي كانَ يُزْمِعُ إنْجازَها لاحقاً، وفِعْلاً اسْـتَجابَ الخَطّـاطُ البَغْداديُّ لهـذه الرَّغْبَـة[١٠٥]، وغادرَ -عليـه الرَّحْمةُ- الحَياةَ الدُّنْيا سَـنَةَ

(١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، وظَهَرَتْ خُطاطَتُهُ المُمَيَّزةُ على آثارِ الجبوريِّ الجَديْدةِ وهُوَ تَحْتَ أَطْباقِ الثَّرى.

لَمْ يَتَسَنَّ للجبوريِّ أَنْ يَنْشرَ جَديْداً فيما بَيْنَ سَنَتي (١٣٩٩-١٤٠١هـ=١٩٧٩-١٩٨١م)، سوى بَعْضِ البُحُوثِ في المَجلَّات؛ لأَسْبابٍ غَيْرِ علْميَّةٍ خارجَةٍ عن إرادَتِه. واسْتأنفَ نَشاطَهُ العلْميَّ - في قَطَرَ- بإخْراجِ تَحْقيْقِه: «قصائد جاهليَّة نادرَة»(١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، مُتَضِّمناً طائفةً منَ القَصائدِ التي لَمْ يَسبقْ نَشْرُها لستَّةَ عَشرَ شاعراً جاهليّاً، اسْتَخْرجَها الجبوريُّ منْ مَخْطُوطَة: « مُنْتهى الطَّلب منْ أَشْعار العَرَب»، لابنِ ميمُون، وهي نُسْخَةٌ نَفيْسَةٌ منَ الكتابِ وَقَفَ عليها الجبوريُّ في أَثْناءِ وجُودِه في جامعَة (كامبردج)، سَنةَ (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م). ثُمَّ حَقَّقَ دِيْوان الشّاعرِ القَطَريِّ أَحْمَد بن يُوسف الجابر (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م).

ونَشَرَ في العامِ ذاتِه - عَنْ نُسْخَة خَطيَّة يَتيْمَة، كتابَ: «المحَن»، لأبي العَرَب التَّميميّ؛ سَلْوةً لنَفْسِه المَكْلُومَة، وتأسِّياً بالقافلَة الطَّويْلَة ممَّن جارَ عَليهم الزَّمانُ بحُكْمِه، وأَنْشَبت المحَنُ أَظْفارَها فيْهم. وقَدْ قَصَّ المُحَقِّقُ في تَقْدمَة هَذا السِّفْر اللطيْف حكايَةَ مُعايَشَتِه سَنَوات، وتَعَرُّضَ المَطْبَعة التي شَرَعتْ بطَبْعِه - في بَيْرُوت- للقَصْف المَدْفَعيّ، ممّا أَفْضى إلى تَهدُّمها، وضَياع أُصُول الكتاب تَحْتَ الأَنْقاض، ممّا جَعَلَ الجبوريَّ يَلْزمُ الفراشَ شَهْراً، بسَبب تَعَبه النَّفسيِّ وإرْهاقه ويأسه. ولَكنَّ عنايةَ اللّه - عَزَّ وجَلَّ-تَدارَكَتْ هَذا الجُهْدَ المُخْلص، إذْ جاءَ البَشيْرُ- بَعْدَ سَنَة - بالعُثُور على أَصْل الكتاب حَيّاً يُرْزقُ تَحْتَ رَدْم المَطْبَعَة، ممّا أَدْخَلَ المَسرَّةَ الغامرَةَ إلى نَفْس الجبوريّ، ونَفى عنه الكَدَرَ المُقيْم، يَقُولُ: «وما هو إلَّا شَهْرٌ حتّى تَسلَّمتُ نُسَخاً منَ الكتاب، وفَرِحْتُ به فَرَحَ الأَب بوَليْدٍ جَديْد، وفَرَحَ الأُمِّ بعَوْدَة ابنٍ فَقيْدٍ طالَ غيابُهُ وانْتظارُه»[١٠٦].

تَرادفَتْ جُهُودُ الجبوريِّ - منْ ثَمَّ - طيْلَةَ هذا العَقْد، فأَخْرَجَ كتابَه: «الزِّينة في الشِّعْر الجاهليّ» (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، وتَحْقيْقَه: «شعْر خداش بن زُهيْر العامريّ» (١٤٠٧هـ=١٩٨٦م)، وتَحْقيْقَه: «الأَقْوال الكافية والفُصُول الشّافية في الخَيْل»، للمَلك عليِّ بن داود الرَّسوليّ الغسّانيّ (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، وكتابَه: «المَلابس العَرَبيَّة في الشِّعْر الجاهليّ» (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م).

وأَسْفَرَتْ جُهُودُهُ في عَقْدِ التِّسعينيات، رُغْمَ ما واجهَ منْ مَصاعبِ الحَياةِ التي تَكالَبَتْ عَليه، والمَرَض، وعَدَمِ الاسْتقرارِ النَّفسيّ، عَنْ سَبْعَةِ أَعْمالٍ مُهِمَّةٍ نَوَّعَ فيها بَيْنَ التّأليفِ والتَّحْقيق، فَنَشَرَ كِتابَ: «الرِّدَّة»، للواقديّ (١٤١١هـ=١٩٩١م)، وكِتابَ: «الفاضل في صِفَةِ الأَدَبِ الكامل»، للوشّاء (١٤١٢هـ=١٩٩٢م). ووَضَعَ خُلاصَةَ تَجْرِبَتِه في صَنْعَةِ التَّحْقيقِ في كتاب: «مَنْهجِ البَحْثِ وتَحْقيقِ النُّصُوص» (١٤١٤هـ= ١٩٩٣م). ثُمَّ أَصْدَرَ كِتابَه: «الخَطّ والكِتابَة في الحَضارَةِ العَرَبيَّة» (١٤١٥هـ=١٩٩٤م)، وأَنْجَزَ -مِنْ بَعْدُ- تَحْقيقَ: «أَمالي المَرْزُوقيّ» (١٤١٦هـ=١٩٩٥م)، ثُمَّ نَشَرَ سَنَةَ (١٤١٩هـ=١٩٩٧م) كِتاباً مُهِمّاً مَوسُوماً بـ «المُسْتَشْرِقُون والشِّعْر الجاهليّ: بَيْنَ الشَّكّ والتَّوْثيق»، دَحَضَ فيه أَباطيلَ لَفيفٍ منْ أَهْلِ الاسْتِشْراقِ حَولَ صِحَّةِ الشِّعْرِ الجاهليّ، بِمَنْهجٍ عِلْميٍّ عَمُودُهُ الاسْتِدْلالُ العَقْليُّ والنَّقْليُّ مَعاً.

وتَمَّمَ الجبوريُّ جُهُودَهُ في هَذا العَقْدِ بإنْجازِ عَمَلِه المُبْهِج: «الكِتاب في الحَضارَةِ الإسْلاميَّة» (١٤١٩هـ=١٩٩٨م)، في نِطاقِ اهْتماماتِه بالدِّراساتِ الحَضاريَّةِ التي تُعيدُ الاعْتبارَ لمكانَةِ العِلْمِ والعُلَماءِ والمُنْجَزِ الثَّقافيِّ في الحَضارَةِ الإسْلاميَّة. ويُعَدُّ هَذا الكتابُ - بحَقٍّ- منْ أَجْوَدِ ما كُتِبَ في مِضْمارِه، وقَدْ شَحَنَهُ الجبوريُّ بنَوادِرِ المَقُولاتِ وأَثْمَنِ المنقُولاتِ التي تَدلُّ عَلى سَعَةِ عِلْمِه واطِّلاعِه الدَّقيقِ على إنْجازاتِ العُلَماءِ المُسْلِمينَ الثَّقافيَّةِ عَبرَ قُرُونٍ طَويلَة، وإخْلاصِه لعَمَلِه، ونَفْحِه عن مَكانَةِ أُمَّتِه العِلْميَّةِ والحَضاريَّة. يَقُولُ: «أَنْفَقْتُ في هَذا الكتابِ بِضْعَ سَنوات، هي خَيْرَةُ ما تَبَقّى من سَنَواتِ العُمُرِ القَليلَةِ الباقية، قَضَيْتُ فيها اللَّيالي والأَيّام، جَمْعاً ومُقارَنَةً ومُدارَسَةً وكِتابَةً ومُراجَعَة، وكُنْتُ خِلالَها سَعيداً جَلْداً، رُغْمَ الإرْهاقِ والتَّعَبِ والمَرَض»[١٠٧].

ومُنْذُ مَطْلَعِ الأَلْفيَّةِ الثّالثة إلى رَحيلِه عن الدُّنيا، قَهَرَ الجبوريُّ أَدْواءَ الشَّيخُوخَةِ وتَحدِّياتِها الصِّعابَ بالانْقطاعِ إلى التَّأليفِ والتَّحْقيق، والحَفْرِ العَميقِ في زَوايا المورُوث. وكانَ له اعْتقادٌ ثابتٌ لا يَريمُ في أَنَّ أَنْضجَ ثَمَراتِ العُلَماءِ ما كان بَعْدَ السَّبعين، وأَنَّ العَطاءَ العِلْميَّ لا يَعْرِفُ سِنَّ التَّقاعُدِ مُطْلَقاً، يَقُولُ: «وأَمّا العُلَماءُ، فَسِنُّ السَّبعينَ هي سِنُّ النُّضْجِ والكَمالِ الفِكْريِّ والعَطاءِ النّاضِجِ الغَزيرِ... وقَدْ تَمتدُّ إلى الثَّمانينَ والتِّسْعين»[١٠٨]. وهَكَذا، ظَلَّ -رَحِمَهُ اللّه- كالجَبَلِ الشّامِخِ والنَّخْلَةِ السّامِقَةِ والسَّيفِ

المُنْصلت يُمْضي جُلَّ يَوْمه وساعات منْ لَيْله مُنْهَمكاً في العَمَل، مُكبّاً عَلى القراءة والكتابَة والتّأليف والتَّحْقيق، عَلى صُورَة تُذَكِّرُنا بأُولي العَزْم منْ عُلَماء الأُمَّة والأماثل العظام الذين تَخَرَّمَتْهُم المنايا - شُيُوخاً - والكتابُ عَلى صُدُورهم، كالجاحظ، والطَّبريّ، والمعَريّ، وابن الجَوْزيّ، والأُسْتاذ محمُود شاكر، والأُسْتاذ حَسَن حُسني عَبْد الوهّاب، والأُسْتاذ خَيْر الدِّين الزِّركليّ، والأُسْتاذ أَحْمَد عُبَيْد، والأُسْتاذ حَمَد الجاسر، والأُسْتاذ كُوركيس عَوّاد، والدّكتور شَوقي ضَيْف، والدّكتور إحْسان عبّاس، والدّكتورة عائشة عَبْد الرَّحمن، والأُسْتاذ عَبْد العزيز المَيْمَنيّ، والدّكتور حُسين مُؤنس، والشَّيخ شُعَيْب الأَناؤوط، وغَيْرهم منْ سَدَنَة العلْم العَرَبيِّ الذينَ نسّأَ اللّه في آجالهم، وبارَكَ في أَعْمارهم، ولَمْ يُبدِّدُوا ثَمينَ أَوْقاتهم إلّا بما فيه نَفْعُ الأُمَّة، وإعْلاءُ سُهْمَتها الحَضاريَّة.

تَكلَّلَ جُهْدُ الجبوريِّ السَّبعينيُّ والثَّمانينيُّ بنَشْر أَكْثَرَ منْ عشْرينَ كتاباً جَديداً، تأليفاً وتَحْقيقاً، صَدَرَ كَثيرٌ منْها في مَدينة عَمّان، ممّا يُعَدُّ مثالاً نادراً وإنْجازاً جَليلاً في تاريخ العلْم، ورَقَماً قياسيّاً في مَسيرَة التّأليف العَرَبيّ. وحَقّاً، لَقَدْ حازَ الجبوريُّ القدْحَ المُعلَّى في هَذه البابَة خاصَّة، وضَرَبَ بسَهْم وافر في عدَّة التّآليف التي أَفْرَغَها وهُو عَلى تلْكَ السِّنِّ العالية، وقَدْ ضَربتهُ عِلَلُ الهَرَم، ودَبَّ الوَهْنُ إلى أَعْضائه الرَّقيقَة، لَكنَّ عَقْلَهُ ظَلَّ حَيّاً، ولُبابَهُ بَقيَ نابضاً بالحَياة وحُبِّ العلْم. وما أَشْبهَهُ - لَعَمْري- بالجاحظ البَصْريّ[١٠٩]. حينَ دَهَتهُ الأَسْقامُ المُقْعدَة، فَظَلَّ مُمْسكاً بعُرْوة القَلَم الوُثْقى إلى أَن جازَ - وهُو عَلى تلْكَ الحال العَسيرَة إلى فَراديس العَلْياء.

اسْتَهلَّ الجبوريُّ الطَّورَ الأَخيرَ منْ حَياته العلْميَّة المملُوءة عَطاءً وعَمَلاً بتَحْقيق كتاب: «المُنْتَخَل»، للميكاليّ (١٤٢١هـ=٢٠٠٠م)، وأَتْبعهُ بإنْجاز كتابه وتَحْقيقه: «مُحمَّد بن عَبْد المَلك الزَّيّات: سيرْته، أَدَبه، تَحْقيق ديْوانه» (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م)، وكتاب: «المُحاضرات والمُحاورات»، للسّيوطيّ (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م). ونَشَرَ في العام نَفْسه كتابَهُ الطَّريف: «محَن الشُّعَراء والأُدَباء وما أَصابهم منَ السِّجن والتَّعذيب والقَتْل والبَلاء»؛ ليكُونَ رَديفاً واسْتكْمالاً لكتاب: «المحَن» الذي حَقَّقهُ قَبْلاً؛ وليُجَدِّدَ سَلْوَتهُ بمَنْ نَزَلَتْ بهم محَنُ الزَّمان ومَصائبُ الدَّهْر، وما لَقوا منْ عَسَف وتَضْييق

وسـجْنٍ وضُـرٍّ وتَشْـريدٍ وتَعْذيبٍ وإزْهاق. وأَرْدَفَ ذَلكَ في العام نَفْسـه بتَحْقيق الجُزْء العاشـر منْ كتاب «مَسـالك الأَبْصار في مَمالك الأَمْصـار»، لابن فَضْل الله العُمَريّ، ضـمنَ مَشْـرُوع إخْراج هَذا الكتاب الموسُـوعيِّ الـذي نَهَضَ به المجمـعُ الثَّقافيّ، في أبو ظَبي. وأَنْجَزَ الجبوريُّ في السَّـنَة اللَّاحقَة تَحْقيقَ الجُزْء الرّابع والعشرينَ منَ الكتاب نَفْسه.

ونَشَـرَ الجبـوريُّ في عام (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م) ثَلاثَةَ كُتُب جَديْدَة، هي: «الشِّـعْر الإسْـلاميّ والأُمـويّ»، و«الغَزَل العُذْريّ»، وتَحْقيق كتاب: «المجمُـوع اللفيْف»، لابن هبَة اللَّه الأَفْطسـيّ. وتَسنّى له - منْ ثَمَّ- نَشْرُ كتابه: "مَجالس العُلَماء والأُدَباء والخُلَفاء: مرْآةٌ للحَضارَة العَرَبيَّة الإسْلاميَّة»، وكتابه: «دَوْر بَيْت الحكْمَة ودُور العلْم في الحَضارَة الإسْـلاميَّة" (١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م). وتابَعَ في سَـنَة (١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م) نَشْـرَ كتابيْن جَديْدَيْن، هُما: «الحَنيْن والغُرْبة في الشِّـعْر العَرَبيّ»، و تَحْقيق كتاب: «مُؤنس الوحْدَة»، لضـياء الدِّين ابـن الأَثيْر. وأَعْقَبهُ نَشْـرُ كتابـيْن آخريْن في العامّ اللَّاحـق، هُما: «مع المَخْطُوطـات العَرَبيَّـة: ذكْرياتٌ وأَسْـفارٌ وصـلات»، وتَحْقيق كتاب: «التُّحـف والأَنْوار المُنْتَخَب من البَلاغات والأَشْـعار»، للثَّعالبيّ. وقَدْ أَمَدَّنا كتابُهُ عَن المَخْطُوطات العَرَبيَّة بمَعارفَ قَيِّمَة عَنْ حَياته الشَّخْصيَّة والعلْميَّة، وصلاته بنَفَرٍ منَ التُّراثيينَ المُعاصريْن.

لَمْ تَنْقَطـعْ رحْلـةُ الجبوريِّ في إحْياء التُّراث ودراسَـته وخدْمَته بَعْـدَ أَنْ نافَ عَلى الثَّمانيْن، وثَقُلَ سَمْعُهُ، وتَراخى بَصَرُهُ، وتَراجَفَتْ يَداه، بَلْ ظَلَّ مُصرّاً إصْراراً جاحظيّاً عَجيْبـاً عَلى إتْمام رحْلَته، مَهما كانَتْ كُلْفَةُ العَمَل الشّـاقّ، مُتَحدِّياً كُلَّ أَشْـكال المَرَض التي اصْـطَلَحَتْ عَلى جَسَده النَّحيْل، فَنَشَرَ كُتُبَهُ وتَحْقيقاته الأَخيْرَة، وهي: «في رحاب التُّراث العَرَبيّ: دراسـاتٌ في تجليّـات الفكْر والحَضـارَة والأَدَ» (١٤٣١هـ=٢٠١٠م)، و«النِّسـاء الحاكمات من الجَـواري والمَلَـكات» (١٤٣٢هـ=٢٠١١م)، وكتـابُ: «أَخْبار وأَشْعار وآداب ونَوادر وحكَم»، لياقُوت المُسْتَعْصميّ (١٤٣٢هـ=٢٠١١م)، وكتاب: «الذَّيل على المُحاضـرات والمُحاورات المُسـمَّى بالزِّيـارات»، للسّـيوطيّ (١٤٣٢هـ=٢٠١١م)، وكتاب: «المعاني والاشْـتقاق»، لأُسامةَ ابنِ مُنْقذ الكنانيّ (١٤٣٣هـ=٢٠١٢م)، وكتابُ: «الشِّـعْر»، لابن شَـمْس الخلافَة (١٤٣٣هـ=٢٠١٢م)، وكتابُ: «الآداب»، لابنِ شَـمْس

الخلافَة أَيضـاً (١٤٣٣هـ=٢٠١٢م)، واخْتيارُهُ الموسُـوم: «المُنْتَخـب المُخْتار من نَوادر الأَشْـعا» (١٤٣٤هـ=٢٠١٣م)، وهُـو اخْتيـاراتٌ طَرِيْفَةٌ مُمتعَـةٌ مِنْ أَغْراض الشِّـعْر العَرَبـيِّ المُخْتَلفَـة انْتَقاها الجبوريُّ مِنْ رِحْلَته الطَّوِيْلَة مع التُّراث والضَّـرب في أَعْماق المَظانّ، وكتاب: «رياض الألباب بمَحاسـن الآداب»، للسـيوطيّ (١٤٣٥هـ=٢٠١٤م)، وخَتَـمَ سـجلَّ أَعْمالـه – رَحِمَـهُ اللهُ- بتَحْقِيق كتـاب: «أَحْسـن المَحاسـن»، للثَّعالبيّ (١٤٣٧هـ=٢٠١٦م)؛ لِيَكُونَ خاتمَةَ مَحاسنه العِلْميَّة الثَّمينَة.

ويُلاحظُ النّاظرُ أَنَّ جَميْعَ أَعْمال التّأْليْف التي نَهَضَ بها الجبوريُّ جاءَتْ مُنْفَرِدَة، لا يَشْـرُكُهُ أَحَدٌ فيهـا، وكَذا الأَمْرُ في جُلِّ تَحْقِيْقاته العِلْميَّة، خَـلا عَمَلَيْن، هُما: «ديْوان الطُّغرائيّ»، أَنْجَزَهُ شَـرِكَةً مـع الدّكتور علي جَواد الطَّاهر، و«ديْوان أَحْمَد بن يُوسـف الجابر»، أَنْجَزَهُ – كَذا الأَمْر – شَـرِكَةً مع الدّكتور مُحمَّد عَبْد الرَّحيم كافود، فَضْـلاً عن اسْتقْلاله بتَحْقِيْق جُزأين مِنْ كتاب: «مَسالك الأَبْصار» الذي تَقاسَمَ تَحْقِيْقَهُ عَدَدٌ مِنَ المُحَقِّقِيْنَ العَرَب. كما يُلاحَظُ – بالمِثْل– أَنَّ اعْتناءَ الجبوريّ تَرَكَّزَ في شَبابه – أَكْثَرَ ما يَكُونُ – عَلى تَحْقِيْق الدَّواوِيْن وصناعَة المُدَوَّنات الشِّعْريَّة الخاصَّة بشُعَراء الجاهليَّة والعَصْـرَيْن: الإِسْـلاميِّ والأُمويّ، وتَحوَّلَتْ هَذه العِنايَةُ في طَوْر الاكْتمال والشَّـيخُوخَة إِلى الاعْتناء بتَحْقِيْق أَسْفار التُّراث الأَدَبيّ والاختيارات الشِّعْريَّة.

كانَ مَنْهَـجُ الجبـوريِّ العِلْميُّ في التَّحْقِيْق قائماً على اخْتيار ما هو جَديْدٌ في بابته، في الغالب، وعَدَم الانْجرار وَراءَ تَحْقِيْق ما سَـبَقَ نَشْـرُهُ قَبْلاً، إِلَّا إِذا قامَت المُسـوِّغاتُ المَنْهَجيَّةُ الكافيةُ التي تَدْعو إِلى إِعادَة إِخْراج الكتاب المَنْشُور آنفاً بحُلَّة عِلْميَّة مُحَقَّقَة، وهَـذا ما جَرى مع المُحَقِّق وهُـو يُعِيْدُ إِخْراجَ كتاب: «المُنْتَخَل»، للميكالي، وديْوان الوَزِيْر الزَّيّـات، عَلـى وَفْق مَنْهَج عِلْميٍّ رَصـيْن. وأَمّا ما نَشَـرَهُ مِنْ دَواوِيْنَ شـعْريَّة، فَقَدْ كانَ بَعْضُـهُ قائمـاً على أُصُـولٍ خَطيَّة، مِثْـل: «ديْوان الطُّغرائـيّ»، الذي أُنْجِزَ شَـراكَةً مع صَـديْقه الدّكتور علي جَواد الطَّاهر، على تِسْـع نُسَـخ خَطيَّة، وجاءَ بَعْضُـهُ قائماً عَلى صناعَة مَجاميْعَ شعْريَّة مِنْ بُطُون المَظانّ مثل: «شعْر عَبْد الله بن الزِّبعْرى». وغالباً ما كانَ الجبوريُّ يُزاوجُ بَيْنَ المَنْهَجَيْن، مُعْتَمداً الرِّوايَةَ المَخْطُوطةَ والرِّوايَةَ المَطْبُوعةَ في آن، مُتَّكئاً على أَصْـلٍ خَطيّ، ناهداً – في الوَقْت نَفْسـه- إِلى ضَمِّ ما أَخَلَّ به المَخْطُوط، ممّا

يُوجدُ مُفرَّقاً في زَوايا كُتُب التُّراث المَطْبُوعة، كَما هو شـأنُ صـنْيعه في أَشْعار: عُمَر بن لجأ التَّيميّ، وأَبي حَيَّةَ النُّميريّ، وعَمرو بن شأس الأَسَديّ، وهُدْبَة بن الخَشْرم العُذْريّ، وخداش بـن زُهير، والحارث بن خالد المخْزُوميّ. فَقَدْ أَخْـرَجَ الجبوريُّ هَذه المَجاميْعَ من مَخْطُوطة كتاب: «مُنْتهى الطَّلب من أَشْـعار العَرَب»، لابن ميمُون، واسْتَدْرك عَليها ما وَجَدهُ في المَظانِّ المَطْبُوعَة.

ولَيْسَ الوُكْدُ أَنْ أَسْتَجْليَ– هَهُنا– القَولَ في مَنْهَج الجبوريِّ القارِّ في تَحْقيْق النَّصِّ وخدْمَتـه، فَهَذا مـا يَطُولُ الكَلامُ عَليه، ولَكنِّي أُضـيءُ للقارئ الكَـريْم بمُوجز العبارَة الخُطُـوطَ الرَّئيْسَـةَ لهـذا المَنْهَج، كالاعْتنـاء بالنَّصّ، تَصْـحيْحاً وتَنْقيْحـاً وتَحْريْراً، والتَّنْبيه عَلى حُدُوث التَّصـحيْف ووقُوع التَّحْريْف، والاهْتمام بألوان التَّخْريْج المُخْتَلفَة، مع المُعارضَـة ورَصْـد اخْتلافـات النُّسَـخ المُعْتَمدَة في التَّحْقيْـق، ورَتْق عُيُوب السَّـقْط والنَّقصِّ في مَتْن النَّصّ، والتَّوثيْق والأَمانَة العلْميَّة في العَزْو إلى المَظانِّ وأُمّات المَصادر، وضَـبْط المُشْـكل؛ دَفْعاً للَبْس والوَهْم، وشَـرْح الغَريْب، وتَصْـحيْح الأَوْهـام، والتَّعليْق الرَّشيْق الخَفيْف، والتَّرْجَمَة المُقْتَضبة لغَيْر المَشاهيْر، وإنارَة بَعْض المَعارف التي تَحْتاجُ إلى فَضْـل بَيان، وعَدَم إثْقال النَّصِّ بالحواشي والشُّرُوح الطَّويْلَة والاسْتطْراد الثَّقيْل، مع الاعْتناء بمُكَمِّلات التَّحْقيْق كالدِّراسَة التَّمْهيديَّة الاسْتكْشافيَّة الفاحصَة التي تُنْبئُ عَنْ قيْمَة الكتاب ومَنْزلَة صـاحبه، وإثْبات نَماذجَ مُصَـوَّرَة منْ أَصْـل النُّسَـخ الخَطِّيَّة في صَـدْر التَّحْقيْق، عُقْبَ وَصْـفها بدقَّة، فَضْـلاً عَنْ بَذْل المَجْهُود في صناعَة الفَهارس والكشّـافات المُنَوَّعَة التي تُعَبِّدُ سَـبيْلَ الكتاب، وتُيسِّرُ طَريْقَ الباحث والقارئ إليه. ولَمْ تَنْجَل عنايتَهُ المُثْلى بالفَهْرسَـة –التي هي مَخَخَةُ المُتُون– في تَحْقيْقاته فَحَسْـب، بَلْهَ في أَكْـثر تآليفه. ومثالاً عَلى هذا الاعْتناء، صَـنَعَ الجبوريُّ لكتابه: «الكتاب في الحَضـارَة الإسْـلاميَّة» ثَلاثَةَ عَشرَ فهْرسـاً، اسْـتَغْرَقتْ [١٥٨] صَفْحَةً منْ صَـفَحات الكتاب[١١٠]. ومُسْـتَخْلَصُ القَوْل إنَّ مَنْهَجَ الجبوريِّ في التَّحْقيْق يُوصَفُ بالتَّوسُّط، وعَدَم الإفْراط أَو التَّفْريْط، في كُلِّ خُطُوات تَحْقيْق النَّصّ، وتَقْديْمه عَلى صُـورَةٍ تَقْتَربُ منَ الأَصْل الذي رامَهُ مُؤلِّفُه.

وتَقْمُنُ الإشارَةُ – هَهُنا– إلى أَنَّ الجبوريَّ كانَ مَوْضعَ ثقَة منْ لَدُن كبار النّاشريْنَ العَرَب، إذْ كانُوا يَتسابَقُونَ إلى نَشْر كُتُبه وتَحْقيْقاته؛ لمنْزلَتها العلْميَّة، وسُمْعَة صاحبها

الرّائقَة، ويَكْفي أَنْ أُشيرَ إلى ما رَبَطَ الجبوريَّ بالحاجِّ الحَبيْب اللمسيّ، صاحب دار الغَرْب الإسْلاميّ، رَحمهُ الله، والأُسْتاذ رَضْوان دَعْبُول، صاحب مُؤسَّسة الرِّسالَة ودار البَشيْر، منْ صلاتٍ طَيِّبةٍ كَريْمَة، تَرْجَمَ عَنْها نَشْرُ أَكْثَرِ الآثارِ التي صَدَرَ عَنْها الجبوريُّ على يَدي هَذيْنِ النّاشريْنِ النّابهَيْن.

ويُلاحظُ النّاظرُ أَنَّ أَكْثَرَ كُتُب الجبوريِّ وتَحْقيْقاته أُعيدَ نَشْرُها مَرّات؛ بسَبب تَزايُد الطَّلَب عليها، من قبل الباحثيْنَ والقُرّاء، وقد نُشرَتْ طَبعاتُ هَذه الأَعْمال على مَدار خَمْسَة عُقُود ونَيِّف - فيْما بين سَنَتي (١٣٨٢هـ-١٤٣٧هـ=١٩٦٢-٢٠١٦م)، في إحْدى عَشرةَ مَدينةً عَرَبيَّة، هي: بَغْداد، والنَّجَف، ودمَشْق، وبَيْرُوت، وعَمّان، والكُوَيْت، والدَّوْحَة، وأبو ظَبي، والقاهرَة، وبَنْغازي، وتُونس.

وفَضْلاً عَنْ جُهُوده الوافرَة في التّأليْف والتَّحْقيْق، نَشَرَ الجبوريُّ عشَرات البُحُوث والدِّراسات والمَقالات والتَّرْجمات الرَّصيْنَة عَلى مَدار نصْف قَرْن في المَجلَّات العَرَبيَّة السَّيّارة، ولا سيّما العراقيَّة، مثْل: مَجلَّة «المورد»[١١١]، ومَجلَّة «كُلِّيَّة الآداب- جامعَة بَغْداد»[١١٢]، ومَجلَّة «كُلِّيَّة الشَّريْعة- جامعَة بَغْداد»[١١٣]، ومَجلَّة «الجامعَة المُسْتَنْصريَّة»[١١٤]، ومَجلَّة «المَجْمَع العلْميّ العراقيّ»[١١٥]، ومَجلَّة «الأَقْلام»[١١٦]، ومَجلَّة «البَلاغ»[١١٧]، ومَجلَّة «الأُسْتاذ»[١١٨]، ومَجلَّة «المُعلِّم الجَديْد»[١١٩]، ومَجلَّة «الكُتّاب»[١٢٠]، فَضْلاً عن بَعْض المَجلَّات العَرَبيَّة، مثل: مَجلَّة «العَرَب» السّعوديَّة[١٢١]، ومَجلَّة «عالم الكُتُب»، السّعوديَّة[١٢٢]، ومَجلَّة «المَعْرفَة» السُّوريَّة[١٢٣]، ومَجلَّة «العُلُوم» اللُبنانيَّة[١٢٤]، ومَجلَّة «المنارَة - جامعَة آل البَيْت الأُردنيَّة»[١٢٥]، ومَجلَّة «البَيان- جامعَة آل البَيْت الأُردنيَّة»[١٢٦]، ومَجلَّة «مَعْهد المَخْطُوطات العَرَبيَّة»[١٢٧]، و«حَوليَّة كُليَّة الإنْسانيّات والعُلُوم الاجْتماعيَّة- جامعَة قَطَر»[١٢٨]، و«حوليَّة كُليَّة الشَّريعة - جامعَة قَطَر»[١٢٩]، و«مَجلَّة مَرْكز الوثائق والدِّراسات الإنْسانيَّة- جامعَة قَطَر»[١٣٠]، ومَجلَّة «الدَّوحة»[١٣١] القَطَريَّة، ومَجلَّة «البَيان» الكُوَيْتيَّة[١٣٢]، فَوقَ ما نَشَرَهُ في أَعْمال المُؤتمرات والنَّدوات[١٣٣]، والكُتُب التِّذْكاريَّة[١٣٤]، ممّا يُعَدُّ إضافَةً علْميَّةً مُبْهجَةً في هذه السَّبيْل، ما أَحْرى أَن يَضُمَّها كِتابٌ قائمٌ برأْسه، ولا سيّما ما لَمْ يُعِدُ الجبوريُّ إدْراجَهُ في تآليْفه المطبُوعَة.

أَحَبَّ الجبوريُّ الكِتابَ أَيّما حُبّ، وأَخْلصَ في سَبيْل العلْم إخْلاصاً نادراً، وها هي

كَلماتُهُ الزّاهيةُ المُذهَّبةُ تُعبِّرُ عَمّا تَناهى إليه حُبُّهُ الجاحظيُّ الدّافقُ للكتاب، وما تَرَكَهُ مِـنْ آثـارٍ عَميقة لا تُمحى مِنْ حَياته، يَقُـولُ: «وقَدْ أَحْبَبْتُ الكتابَ طِفْلاً ويافِعاً وشـابّاً وكَهْلاً وشَيْخاً، وسَـيكُونُ الكتابُ مَعي، وعلى صَدْري حَتّى اللَحَظاتِ والأَنْفاسِ الأَخيرة من حَياتي، وسـأَلقى رَبِّي وبَيَميني كتابٌ هو شَـفيعي، بَعْدَ كتابِ اللّه تعالى. وقد كانت وما زالت أَحْلى الأَيّام وأَسْعَدها – عِنْدي- حِيْنَ أَخْلو بكتابٍ أَقرأُ فيه، وأُناجي صاحبَه، وأُسـامِرُ أَهلَه، فهو سَـميْري عِنْـدَ الوِحْدَة، ورَفيقي في الحلِّ والتِّرحـال، وأَوَّلُ ما أَلقاهُ عنـد بدْء يَومي، وآخرُ ما يُودّعُني حِيْنَ يُغالبُني النَّوْم. وقَدْ عَرَفْتُ بالكتاب رَبِّي ودِيْني، وتَعَرَّفتُ – بَفَضْله – على أَفاضلِ العُلَماء، مِنْ عَرَبٍ ومُسْلمِيْنَ وأَجانب، في شَرْقي العالم وغَرْبيـه، سَـواءَ مَنْ رأيتُهم، ومَنْ تَعلَّمتُ مِنْهم مِنْ أَسـاتذَة كـرام، أَو مَنْ علَّمتُهُم مِنْ طَلَبة لامعيْنَ نُجَباءَ أَوْفياء، أَو مَنْ لَمْ أَرَهُم وتَوثَّقتْ أَواصـرُ الودِّ بَيْني وبَيْنهم بوسـاطَة الكتاب، ذِكْـراً وتَنْويهاً وتَهادياً وإفادَة. والكتابُ- بَعْدَ ذلكَ – عِنْدي دُنيا، وهَذه الدُّنيا كُلُّها خَيْرٌ وعِلْمٌ وعِبادَة، ونَفْعٌ وأُنْسٌ وسَمَر، لَيْسَ فيها ما في دُنْيا النّاسِ مِنْ غَدْرٍ وخِيانَة ونِفاق»[١٣٥].

*** العَلَّامةُ الجبوريّ: شَهادةٌ ذاتيَّة.**

عَرَفْتُ العَلَّامةَ يَحْيى الجبوريّ مُنْذُ ثَلاثَة وعِشْـرِيْنَ عاماً، وتَوثَّقَتْ صِلَتي العِلْميَّةُ به مُنذُ عُيِّنْتُ في جامعَة آل البَيْت، فَوَجَدْتُني أَمامَ بَحْرٍ زخّارٍ مِنْ بُحُورِ العِلْم، وأَلفيْتُني أَمـامَ مَكْتبـة في رَجُل، وأَيّ رَجُل !! وما زِلْتُ أَسْـتَذْكرُ لِقاءَنـا الأَوَّلَ في مَكْتَبه، في مبنى الإمام الشّـافعيّ، فَقَدْ لَقيتُ هَيْبَةَ العُلَماء الأَجِلّاء حاضِـرَةً في شَخْصـه، كان يَتَحدَّثُ عَـنْ جُهْده في إكْمال تَحْقيق كتـاب: «المُنْتَخَل»، للميكاليّ. كانَتْ عادَتُهُ أَنْ يَتولّى طباعةَ كُلِّ كتابٍ يُؤَلِّفُه، أَو يُحَقِّقُه، بِنَفْسـه، فَنالَني إعْجابٌ شَـديْدٌ بهذا الشَّيْخ الذي أَطَلَّ عَلى السَّـبعيْن، وهـو يُتْقنُ مَهارات الحاسُـوب، وتِقانـات الطِّباعَة والتَّنْسـيْق، ويَتَعاملُ مع بَرامج (المكيرو سوفت)، بِصُورَةٍ تَدْعو إلى التّأَمُّل، في وَقْتٍ كانَ انْتشارُ وَسائلِ التِّقانَة فيه مَحْدُوداً.

كُنْتُ أُقابلُهُ بِصُـورَة دائمَة، فأَجْلسُ بَيْنَ يَدَيه، وأَسْـتَمِعُ إليه بِشَديْد انْتباه، مُفيْداً من خبْراته وتَجاربه العَميْقَة. كانَ يَسْتَرْسِـلُ – دَوْماً- مُتَحَدِّثاً عن حَياته الشَّخْصـيَّة وسِـيْرَته العِلْميَّـة، وما لَقي مِنَ العَسَـف والغَبْن والنَّفاسَـة، ممّا اضْـطرَّهُ إلـى الغُرْبَة

الدّائمَة غَيْرَ طائع، ولَشـدَّ ما سَمِعْتُهُ يَتَحَدَّثُ عَما أَصابَ وَطَنَهُ العراقَ مِنْ دَواهٍ ونَوازلَ بِحُرْقَةٍ جَوانيَّة، فأَشْعُرُ بِفَيْضِ ألمٍ حِيْنَ يُرَدِّدُ مَقُولَتَهُ النّازِفَة: «... يَومَ كانَ لنا وَطَن».

كانَ– رَحِمَهُ اللّه– يُدْنيني مِنْه مَلِيّاً، ويَصِـفُني بـ «الصَّـدِيْق»، رُغْمَ أَنَّهُ يَكْبُرني بِأَرْبعِيْنَ سَـنَة، ويُسِرُّ إليَّ بَعْضَ الأَشْياء، ويَخْتارني للمُشاركَة معه في مُناقَشة الرَّسائل العِلْميَّـة التـي كان يُشْـرِفُ عَليها، رُغْمَ طَـراوة عُودي وَقْتهـا، مُقَدِّماً إيّـاي على كِبار الأَسـاتِيْذ في القِسْم، ممّا ولَّدَ في نَفْسـي مَحبّةً زائدَةً له، وتَوْقِيْراً مُضافاً لعِلْمه الوَفِيْر وشَخْصـه الكَرِيْم وشَـمائله المُسْتَحْسَـنَة. وكَثِيْراً ما كان يَسْـتَمِعُ إلى تَساؤلاتي العِلْميَّة بِشَدِيْد إصْغاء، فَيُوَجِّهُني أَحْسَنَ تَوْجيه. وكُنْتُ – إذا تَحَدَّثَ في أي باب– أقرأُ في عَيْنَيه الدّامِعَتَيْن دَوْماً– جَرّاءَ إدْمانِ القِراءة – رَسِيسَ المعاني المَخْبُوءة التي لم يَسْتَطِعْ لِسانُهُ أَنْ يَبُوحَ بِها.

ولَمّا عَزَمَ – رَحِمَهُ اللّه– على إعادَة تَحْقِيْق دِيْوان الوَزِيْر العَبّاسـيِّ مُحمَّد بن عَبْد المَلِك الزَّيّات، الذي نَشَرَهُ أُسْتاذُهُ الدّكتور جَميل سَعِيْد نَشْرَةً قَدِيْمَة، وجَمْع ما بَقي مِنْ شَتات نَثْرِه الأَدبيّ، قَدَّمتُ إليه ضُمامَةً فيها ما عَثَرتُ عَليه من تَوْقيعات هَذا الوَزِيْر، في سِياق اعْتنائي بصناعَة مُدَوَّنَة: «جَمْهرة تَوْقيعات العَرَب»[١٣٦]، فَسُرَّ بذلكَ أيمَّا سُرُور، وطَلَبَ إليَّ أَن يَضُـمَّها إلى مَجْمُوع نَثْرِه الذي عُني بِجَمْعه، وما لَبِثَ أَنْ صَـدَرَ الدِّيْوان، فأَهْـدى إليَّ رَحمـهُ اللّه – على عادته الكَرِيْمة– نُسْـخَةً منه، ووَجدتُ شُـكْراً مَرْقُوناً بِحَقّي في ذَلكُم السِّفْر العِلْميّ[١٣٧]، وشَعَرْتُ بالغِبْطَة.

وغَدا العَلّامةُ الجبوريّ – مع مُرُور الزَّمَن – أُسْتاذي ومُوَجِّهي الذي أَفِيْءُ إليه في كَثِيْر منَ الاسْتشـارات العِلْميَّة، فَيضيءُ لي عَتَمَةَ الطَّرِيْق، و يُبَدِّدُ عَوائقَ الدَّرْب، فَكانَ فَضْلُهُ عَليَّ عَظِيْماً بِحَقّ، ورِعايَتُهُ لي مُثْلى عَنْ صِدْق. وتَلَقَّيتُ عَليه بَعْضَ قَواعد تَحْقيق النَّصّ، وأَفَـدْتُ مِنْ عَمِيْـق خِبْراته في هَذه الصَّـنْعة، ممّا يَلْزَمُني أَن أُنـوِّهَ به. وقَدَّم لي – رَحِمَـهُ اللّه– عَدَداً وافِراً مِنْ كُتُبه وتَحْقِيْقاته هَدِيَّةً عِلْمِيَّةً كَرِيْمَةً منْه، وكُنْتُ مِنْ أَوائل الذينَ يُسْـعَدُونَ بالاطِّلاع على آثاره الجَدِيْدَة، غَداةَ وُصُـولها إليه. ولَسْـتُ أُنْكِرُ أَنّي تأَثَّرتُ بِمَسْلَكه العِلْميِّ في جَوانبَ لا يَتَّسِعُ المَقامُ للإفاضَة فيها.

وإذا مَـنَّ اللّه عَليَّ بِأَنْ تَكُونَ شَـهادَتي في هذا الرَّجُـلِ النَّبِيْلِ غَيْرَ مَجْرُوحة، فَلَقَدْ

رأيتُ مِنْ سَعَة علْمه، وطَويل صَبره، وعَجيب جَلَده، ونَقاء سَريرته، وصَفاء قَلْبه، وكَرم نَفْسه، وزُهْد مَسْلَكه، وإخْلاصه للُغة القُرآن الكَريم، وآداب اللسان العَرَبيّ، وعشْقه القُدسيِّ للكتاب، وإخْلاصه العَجيب لتُراث الأسْلاف، وحُبِّه -قَبْلَ ذلك كُلِّه- للعُروبَة والإسْلام، وانْتمائه الصّادق لَهما، وغَيْرته عَلى حماهُما، ما يَدْعو إلى ذكْره بكُلِّ أُحْدُوثَة حَسَنة وذكْر طَيِّب، مَع ما عَرفتُهُ من اعْتداده بآرائه، واعْتصامه بمَنْهجه العلْميّ، وذوْده عَنْ حياض أفْكاره ومَبادئه، وتَشَبُّثه بقَناعاته العلْميَّة والشَّخْصيَّة، فَضْلاً عَنْ قُوَّة النَّفس، وحدَّة المزاج، وسَورَة الغَضَب التي كانَتْ تَسْتَبدُّ به في بَعْض الأحايين، وصَلابَة الشَّكيمَة، وعَدَم الاسْتكانَة والخَشْيَة في الحقّ، ممّا كَلَّفَهُ أثْماناً باهظَةً دَفَعَها- عاجلاً غَيْرَ آجلٍ- في كُلِّ أطْوار حَياته.

وأشْهَدُ أنّي لَمْ أرَ في حَياتي كُلِّها نَظيراً له في كَسْب الوَقْت، وعَدْم هَدْره فيما لا طائلَ تَحْتَه، فَلَقَدْ كان يُمْضي سَحابَةَ يَوْمه الجامعيّ، منَ السّاعَة الثّامنَة صَباحاً إلى الخامسة مَساء، مُنْشَغلاً بالكتابَة والقراءة والتّأليف والتَّحْقيق، وكانَ وَقْتُهُ بَيْنَ مُحاضراته التَّدْريسيَّة مُكْتَظّاً بالعَمَل الدَّؤوب النّافع، يَتردَّدُ على مَكْتبة الجامعَة، القَريبة منه، يَوميّاً، وقد يَزُورُها مَرّات في اليَوْم نَفْسه؛ لتَحْقيق بَعْض ما يَعْتَري طَريقَهُ منْ مَسائلَ تَحْتاجُ إلى تَحْرير وإضاءة، ولجَلْب طائفَة منَ المَظانِّ التي تَلْزمُهُ في الكتابَة والتَّحْقيق. وكُنْتُ أرَى سَيّارتَهُ مَلأى بعُدَّته منَ المَصادر اللّازمَة للعَمَل ممّا اسْتَعارَهُ منَ المَكْتبة، أو جَلَبهُ معه منَ البَيْت. وكانَ -منْ عادته الرّاسخَة - القيامُ بكُلِّ خُطوات البَحْث العلْميِّ بنَفْسه، منْ غَيْر أن يَتَّكلَ على أحَد منْ طُلَّابه، صَنيعَ كَثيرٍ منَ المُحَقِّقيْنَ والمُؤلِّفيْنَ في هَذا الزَّمان. وكانَ - عَلى ما عايَنْتُ وعَرَفْتُ- لا يتوانى - ألْبَتة- في مُساعَدَة طَلبة العلْم، وتَقْديم النَّصائح العلْميَّة السَّديدَة لهم، وسَمعْتُهُ يُطْري أهْلَ العلْم، منْ غابريْنَ ومُعاصريْنَ بالحُسْنى دَوْماً، ويَذْكُرُ أساتذَتَهُ الذين دَرَسَ عَليهم - في العراق ومصْر- بالخَيْريَّة، ويَتَزَلَّفُ إلى الله بالتَّرحُّم عَليهم.

عاشَ أبو الفُرات عَذْباً مَشْرَبُه، سائغاً شَرابُه، مُخْلصاً لأُمَّته ولُغَته ودينه، مُحبّاً لثَقافته وتُراثه وتاريخه، مُجاهداً بعَقله ولسانه وقَلَمه، لَمْ يَعشْ لذاته ولَذَّاته، وإنَّما عاشَ مَحْروماً صابراً في سَبيْل عُلُوم قَوْمه، ما لانَ ولا اسْتكانَ في قَوْلَة الحقّ، وما نَكَلَ

ولا اسْتَنْكَفَ عَنْ خِدْمَة التُّراث، والنَّفْح عَنْ ذَخائره وكُنُوزه العِلْميَّة النّادرَة، حتّى نَزَلت المنيَّةُ بساحه، فَتَهدَّمَ بُنْيانُ عِلْم، وأُصِيْبَ التُّراثُ بِثَلْم عَميْق.

رَحِمَكَ اللّٰهُ أَيُّها المُجلِّي في سَماء التُّراث، ورَحْمَةُ اللّٰه على ثَوائك، إذ أَحْيا اللّٰهُ بِكَ - يا يَحْيى- ما رَثَّ مِنْ حَبْل التُّراث، وأَضاءَ بعَزيْمتكَ الرّاسخَة نائرَته، فَكُنْتَ العَرَبيَّ اليَعْرُبيَّ بحَقِّ السَّماء، والأَمِيْنَ المأْمُونَ على فَيْض خَزائنه الثَّرَّة، والسّادنَ الذّابَّ عَنْ حِماهُ المَصُون، والشَّيْخَ المُعَمَّرَ الذي أَخَذَ الكتابَ بقُوَّة. فَرَحْمَةُ اللّٰه عَليكَ تَتْرى في الخالدِيْن، وسَلامٌ عَليكَ في أَعْلام المُحَقِّقيْن، وطُوبى لِرُوحكَ الرَّفْرافَة في عِلِّيِّيْن. ووأَسَفاهُ عَليكَ إذْ رَحَلْتَ غَريْباً عَنْ هَذه الغَريْبة، وواحَسْرتاهُ عَليكَ إذْ تَرَجَّلتَ عَنْ ركاب مَجْدكَ الأَثيْل، وأَوَيْتَ إلى مُنْتَهى سِدْرَتكَ المُورِقَة، تُحامي عَنكَ أَقْلامُكَ وأَوْرِقُكَ النَّاصعات، وتَذُبُّ عَنكَ آثارُكَ وتَحْقيقاتُكَ الباقيات، وتَذُودُ عَنكَ جُهُودُكَ ومَواقِفُكَ المَشْهُودات. صَفْوةُ القَوْلِ إنَّكَ حَيٌّ والجاهِلُونَ أَمْوات.

الهوامش:

(٩٣) انظر: ثَبَتَ آثارِ الجبوريّ المُلحق بالدِّراسة.

(٩٤) انظر: الجبوريّ، مع المَخْطُوطات العَرَبيَّة، ص٢١- ٢٢.

(٩٥) انظر: المَصْدَر نفسه، ص٢١-٢٢.

(٩٦) انظر: الجبوريّ، حَولَ «الإسْلام والشِّعْر»: إشاراتٌ لا بُدَّ منها، مَجلَّة الدَّوْحَة، العَدَد٣، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ص١٣٥- ١٣٧.

(٩٧) اسْتدركَ عليه عَبْد اللّٰه عَبْد الرَّحيم عُسَيْلان، مَجلَّة كُليَّة اللُّغة العَرَبيَّة والعُلُوم الاجْتماعيَّة – جامعَة الإمام مُحمَّد بن سعود، العَدَد٥، الرِّياض، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م، ص٣٦٧-٣٨٢.

(٩٨) الجبوريّ، مع المَخْطُوطات العَرَبيَّة، ص١٧.

(٩٩) نُوقشت، بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٢٨م، رسالةُ دكتوراه في جامعَة ديالى – العراق، بعُنوان: «جُهُود الدّكتور يَحْيى الجبوريّ في جَمْع الشِّعر العَرَبيّ وتَحْقيْقه»، أَعدَّها الباحثُ وِسام جَعْفر مَهْدي التَّميميّ، أَخْبرني بذَلك الباحثُ نفسُهُ مُراسلَةً بالهاتف، ولم أَقف على العَمَل.

(١٠٠) اسْتدركَ عليه هِلال ناجي، مَجلَّة العَرَب، المُجلَّد٤٧، الجُزْء٧-٨، الرِّياض، ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م،

ص٤٩٤-٤٩٥.

(١٠١) اسْتدركَ عليه هِلال ناجي، المَصْدَر نفسه، ص٥٠٠-٥٠١.

(١٠٢) اسْتدركَ عليه الجبوريّ نَفْسُه، مَجلَّة البلاغ، السَّنة٦، العَدَد١، بَغْداد، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، ص٢٣-٣١.

(١٠٣) اسْتدركَ عليه مُحمَّد وليد السّراقبيّ، مَجلَّة العَرَب، المُجلَّد ٤٢، الجُزْء٣-٤، الرِّياض، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، ص١٨٩-١٩٠، واسْتدركَ عليه هِلال ناجي، مَجلَّة العَرَب، المُجلَّد٤٧، ج٥-٦، الرِّياض، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م، ص٣٤٩، واسْتدركَ عليه مُحمَّد رمضان الجوهريّ، مَجلَّة العَرَب، المُجلَّد٤٩، الجُزْء ٣-٤، الرِّياض، ١٤٣٤هـ=٢٠١٣م، ص٢٥٨-٢٥٩.

(١٠٤) انظر: الجبوريّ، الفنّان هاشِم مُحمَّد البَغْداديّ، مَجلَّة البيان، المُجلَّد٣، العَدَد٣، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م، ص١٨١، ١٨٣-١٨٤، ١٨٦.

(١٠٥) انظر: المَصْدر نفسه، ص١٨٦.

(١٠٦) أَبو العَرَب التَّميميّ، كِتاب المِحَن، ص١٣- ١٤ (مُقدِّمة التَّحْقِيق).

(١٠٧) الجبوريّ، يَحْيى وَهيب، الكِتاب في الحَضارَةِ الإِسْلاميَّة، الطَّبعة الأُولى، دار الغَرْب الإِسْلاميّ، بَيْرُوت، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م، ص١٢.

(١٠٨) انظر: الجبوريّ، مع العُلَماء الكِبار وعَطاؤهم الفكريّ، مَجلَّة البيان، المُجلَّد٥، العَدَد٢، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م، ص١٧٠.

(١٠٩) أُتيحَ للجبوريِّ أَن يُحقِّق بَعْضَ آثارِ الجاحظ التي وَصَلت إِلينا مَبْتورةً، ضمنَ مجمُوعةِ اختيارات عُبَيْد الله بن حسّان، التي نَشَرَتها مَجلَّةُ «المورِد» في الإِصْدارِ الخاصّ عَنْ أَبي عُثْمان الجاحِظ، المُجلَّد٧، العَدَد٤، بَغْداد، ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م، ص٢٠٩- ٢٤٢.

(١١٠) ص٣٨٥- ٥٤٣.

(١١١) المُجلَّد٧، العَدَد٤، بَغْداد، ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م، ص٢٠٩- ٢٤٢، والمُجلَّد٨، العَدَد٤، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م، ص٥٨٩- ٦١٢.

(١١٢) العَدَد١٦، بَغْداد، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م، ص٤٤٤- ٤٦٩، والعَدَد١٧، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م، ص٧- ٢١، والعَدَد١٩، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، ص١٧٢- ٢٠٥، والعَدَد٢١، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م، ص٢٣٩- ٢٦٤.

(١١٣) العَدَد٣، بَغْداد، ١٣٨٦-١٣٨٧هـ=١٩٦٦-١٩٦٧م، ص٢٤٦- ٢٦٢.

(١١٤) العَدَد٣، بَغْداد، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م، ص١٠٩- ١٣٣.

(١١٥) العَدَد١٢، بَغْداد، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م، ص٢٢٣- ٢٣٢.

(١١٦) السَّنة٦، العَدَد١، بَغْداد، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م، ص١٢١- ١٢٥، والسَّنة١، العَدَد٢، ،

١٣٨٤هـ=١٩٦٤م، ص١٥٤- ١٥٧، والسَّـنة٤، العَدَد٦، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م، ص١٢- ٢٥، والسَّـنة٢، العَدَد١٠، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م، ص١٤٩- ١٥٢.

(١١٧) العَـدَد١، بَغْـداد، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، صـ٢٣- ٣١، والعَـدَد٤، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، صـ٣٢- ٤٣، والعَـدَد٥، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، صـ٢٦- ٣٤، والعَـدَد٦، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، صـ٢٣- ٣٧، والعَـدَد٧، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، صـ٢٤-٣١، والعَـدَد٨، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، صـ٣٧- ٤٣، والعَدَد٩، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م، ص١١- ١٨.

(١١٨) العَدَد١، بَغْداد، ١٣٩٧-١٣٩٨هـ=١٩٧٧-١٩٧٨م، ص٢٩- ٥٤.

(١١٩) المُجلَّـد٢٥، الجُـزْء١، بَغْـداد، ١٣٨٢هـ=١٩٦٢م، صـ١٢٧- ١٣٨، والمُجلَّـد٢٦، الجُـزْء١- ٢، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م، ص٨٠- ٨٦، والمُجلَّد٢٨، الجُزْء١، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م، ص٦٩- ٧٤.

(١٢٠) السَّـنة١، العَدَد٢، بَغْداد، ١٣٨٢هـ=١٩٦٢م، ص٥٧- ٦٢، والسَّنة٢، العَدَد١، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م، صـ٧٠- ٧٨، والسَّـنة٩، العَـدَد٢، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م، صـ٧٨- ٨٨، والسَّـنة٩، العَـدَد٣، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م، ص٧١- ٨٩، والسَّنة٩، العَدَد٤، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م، ص٥٦- ٦٥.

(١٢١) المُجلَّـد٥، الجُـزْء٣، الرِّياض، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م، صـ٢٢٦- ٢٣٧، والمُجلَّـد٥، الجُـزْء٨، ١٣٩١هـ=١٩٧١م، ص٧٣٦- ٧٥٠، والمُجلَّـد٥، الجُزْء١٢، ١٣٩١هـ=١٩٧١م، ص١١٣٠- ١١٤٦، والمُجلَّـد٢٨، الجُـزْء٩- ١٠، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م، صـ٥٨١- ٥٨٩، والمُجلَّـد٣١، الجُـزْء٣ – ٤، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، ص١٨٧- ٢٠١.

(١٢٢) المُجلَّـد٣، العَـدَد٢، الرِّياض، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، صـ١٨٤- ١٩٥، والمُجلَّـد٤، العَـدَد١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ص٣٧- ٤٥.

(١٢٣) السَّنة٣، العَدَد٣١، دِمَشْق، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، ص٢٢-٢٧، والسَّنة٤، العَدَد٣٧، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م، ص٦٣- ٧١.

(١٢٤) السَّنة٩، العَدَد٦، بَيْرُوت، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، ص٤٣- ٤٦، والسَّنة٩، العَدَد١٠، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، ص٤٥- ٤٨.

(١٢٥) المُجلَّد١، العَدَد١، المَفْرَق، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، ص٥٥-٨٨ ، والمُجلَّد١، العَدَد٣، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ص١١-٧٧.

(١٢٦) المُجلَّـد٣، العَـدَد٢، المَفْـرَق، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، صـ٢١٥- ٢٣٩، والمُجلَّـد٣، العَـدَد٣، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م، ص١٧٥-١٩٢، والمُجلَّد٤، العَدَد١، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٢م، ص٢٠٦-٢١٦، والمُجلَّد٥، العَدَد٢، ١٤١٩هـ=٢٠٠٨م، ١٧٠-١٧٨.